

في رحاب العقيدة

حوار مع

سماحة المرجع الديني الكبير

السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم دام ظله

الجزء الثاني

دار الهلال



في رحاب العقيدة

في رحاب العقيدة

حوار مع

سماحة المرجع الديني الكبير
السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم دام ظله

الجزء الثاني

دار الهلال

الطبعة الرابعة

١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م

مزيدة ومصححة

جميع الحقوق محفوظة

اسم الكتاب ....في رحاب العقيدة / ج٢

المؤلف ....السيد الحكيم "مد ظله"

الطبعة .... الرابعة

الناشر... دار الهلال

الكمية ٣٠٠٠

ISBN: 964-8276-15-3

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المكرمين.

إلى السيد العلامة فضيلة الشيخ محمد سعيد الحكيم. حفظكم الله تعالى وأطال عمركم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد..

فقد وصلني بحمد الله تعالى ردكم على الأسئلة التي وجهتها لكم. وهو جواب فيه جهد عظيم مشكور. فلكم الشكر الخاص بتوليكم للإجابة عليها، وعلى وسع صدركم، بأن فتحتم الحوار بين أهل السنة ومعاشر الشيعة. وهو موضوع في غاية الأهمية، وخاصة فيما يتعلق بفهم القضايا الشيعية حسب تصوراتهم الشرعية، مما يؤدي لإزالة الغموض والتفسير الخاطئ لدى بعض أهل السنة، فيتم تحديد موقفهم اتجاه الآراء الشيعية تحديداً منصفاً، يتسم بالموضوعية.

وربما كانت هناك بعض التعليقات على هذه الأجوبة. لكنها ـ كما تعلمون ـ تحتاج إلى جهد كبير جداً، إذ لابد من قراءة هذه الأجوبة بدقة وتمعن شديدين، وكذا معرفة رأي علماء أهل السنة في بلدنا، وموقفهم من هذا الحوار وهذه الأجوبة، وإعلامكم بذلك بمراسلات أخرى إن شاء الله تعالى.

نعم تيسر لنا ـ والحمد لله تعالى ـ بعض الأسئلة الأخرى تحمل نفس الهدف. وها أنا أرسلها إليكم، وأرجو من فضيلتكم الإجابة عليها،

من أجل التعرف على وجهة نظركم.

وفي الختام أود أن أنبه إلى أمر، وهو: أن كلمة سقطت أثناء التبييض لسؤال الغدير وهو كلمة (بيعة).

فالسؤال المطروح والذي يدور عليه الإشكال (واقعة بيعة الغدير)، لا واقعة الغدير نفسها، فإنني على إطلاع واسع حولها. وخاصة معرفتها من مصادر أهل السنة، فأرجو إن شاء الله تعالى في مراسلات أخرى التعليق حول هذا الموضوع.

والحمد لله تعالى لم يذهب جهدكم في الإجابة عليها سدى، بل فيه فائدة جليلة، بحسن الإجابة، والترتيب فيها، النادر حصوله لمن أجاب على مثل هذا السؤال.

وأخيراً أرجو من فضيلتكم الدعاء لي بظهر الغيب. وأرجو من الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، ولما فيه خير المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

□س١ ـ ما موقف الشيعة من هذه القضية القرآنية وهي:

أن القرآن الكريم عند تعرضه لحال الأمة المحمدية ودرجتها ومنزلتها عند الله قد قسمها إلى قسمين:

قسم محدود بزمن. وهؤلاء أطلق الله عليهم السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار. وعامة ما يرد في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من ذكر للصحابة ـ بلفظ الصحابة أو أمثالها ـ يُعنى به السابقون الأول. وهذا القسم قد رضي ربنا عزوجل عنهم، دون أن يشترط فيهم الاتباع بإحسان، بخلاف القسم الثاني، وهو:

القسم الثاني الذي اشترط فيهم الاتباع بإحسان. مع العلم بأن

كثيراً ممن يطلق عليه لفظ الصحابة مذكور في الشطر الثاني من الآية، حيث قال عز من قائل: [وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] التوبة/١٠٠.

فإن نقل عن أحد من السابقين الأول ـ مهاجراً كان أم أنصارياً ـ قضية فيها إثم أو معصية ، أو خلاف أو شقاق، أيصح لنا نحن المتأخرين أن نطلق ألسنتنا في هذا الصحابي؟! مع أن السنة النبوية اقتضت أن لا نفعل ذلك، وأن لا نقتدي بهذا العمل الظاهر فساده، وأن نَكِل حال هذا الصحابي ومنزلته عند الله تعالى إلى الله عزوجل، لأنه وحده المختص بهم.

كما هو الحاصل في قضية حاطب بن أبي بلتعة، حيث إن رسول الله(ص) احتج على من أنكر على حاطب بقوله: «لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم، فإنني قد غفرت لكم».

❑ س٢ـ لا ننكر بأن الصحابة (السابقين الأولين) قد تجتاحهم النزعات الشخصية، وقد يتسلط على أحدهم مصلحة ما، وقد يغبطون بعضهم بعضاً، وهذه القضايا يستحيل القول بأن الصحابة منزهون عن هذه النزعات البشرية، ومع ذلك نرى أن الله تعالى قد رضي عنهم مع حصول وصدور ذلك منهم. وليس الترضي مؤقتاً بزمن النبي(ص)، بل هو عام مطلق، ولا يستثنى منهم أحداً إلا بنص شرعي خاص.

فلماذا لا يؤول علماء الشيعة حال أبي بكر وعمر وعثمان، وتوليهم الخلافة في حياة علي ابن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين)، بأن فعلهم ـ أي الخلفاء الثلاثة الأول ـ من قبل هذه النزعات غير المؤاخذ

عليها شرعاً، أوغيرها من الأمور التي ارتضوها فيما بينهم في توليهم للخلافة. مع اعتقاد الشيعة بأن الأحقية لعلي(رض)،

❑ س٣ ـ لماذا لا نسلك نحن أهل السنة وأنتم معاشر الشيعة في القضايا التي حصلت في صدر الإسلام سيرة الإمام علي وآل بيته (عليهم الصلاة والسلام)، وخصوصاً الإمام الحسن (رضي الله عنه). فما أقروه نقرُّ به، وما أنكروه ننكره، فنلتزم:

١ ـ إقرار سيدنا علي خلافة أبي بكر(رض).

٢ ـ إقراره تنصيب أبي بكر لعمر(رض).

٣ ـ إقراره أمر الشورى، وأن يكون أحد أفرادهم.

٤ ـ عدم إقراره معاوية والياً على الشام، لأنه لا يراه أهلاً لذلك، مع أن ذلك يترتب عليه مفسدة في المجتمع المسلم.

❑ س٤ ـ هل يجوز على الجمهور الأعظم من الصحابة(رض) أن يغفلوا عن النص الشرعي البين ـ إن وجد ـ في بيعة الإمام علي، ويتعاموا عنه؟ والله يقول عنهم: [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ] آل عمران/١١٠.

❑ س٥ ـ الا ترون أن الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر المؤلم من يوم هدم الخلافة الإسلامية إلى يومنا هذا ـ سنة وشيعة ـ يتوجب عليهم تنصيب رجل يقوم بأعباء الأمة وحاجاتها وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية السمحة. خصوصاً أن أهل السنة اليوم لا يتمثلهم خليفة. وكذلك أنتم في زمن الغيبة، حيث أن الشيعة من زمن الغيبة لا يختلفون عن أهل السنة في احتياجهم إلى شخص يقوم بأعباء الأمة، فهل ترون إمكان حصول ذلك و السعي لتحقيقه.

❑ س٦ ـ ما قولكم فيما ورد من أمر الرسول(ص) لأبي بكر

الصديق(رض) بإمامة المسلمين في صلاتهم إبان اشتداد مرضه(ص)، أليس فيها إشارة إلى أنه ارتضاه خليفة له من بعده؟

❑ س٧ ـ هل يصح اختصاص الأئمة بعلم قضايا حيوية وضرورية في الدين، دون غيرهم؟ مع أن الله تعالى يقول: [**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**] المائدة/٣.

❑ س٨ ـ يتفق المسلمون من السنة والشيعة على حجية القرآن وقطعية صدوره، لكن يختلفون في مصدر السنة وتلقيها، حيث إن أهل السنة لا يأخذون إلا ما روي عن رسول الله(ص) من رواية الثقات، والشيعة يأخذون برواية الأئمة وإن تطاول الأمد عن رسول الله(ص) بدعوى العصمة فيهم، والذين يروون عن الأئمة هم رجال غير معصومين، شأنهم شأن رواة أهل السنة. فلماذا لا تكون كتب أهل السنة مرجعاً معتمداً عند الشيعة؟ خصوصاً عند القائلين من الشيعة بجواز الرواية عن الثقة وإن كان مذهبه مخالفاً وخالفت روايته مذهب الشيعة. وهذا غير لازم لأهل السنة ـ أي الاعتماد على كتب الشيعة ـ لأنهم اكتفوا بالرواية عن الرسول (ص)، ولعدم قولهم بعصمة الأئمة.

❑ س٩ ـ خبر الآحاد لا يعمل به في أصول الدين عند الشيعة، وهم لا يرون أن تشخيص الأئمة ثابت بالتواتر، فإن كان تشخيص الإمام يثبت بخبر الآحاد، فلا يجب العمل به من حيث اتباع الإمام المشخص.

(..............)

عمان ـ الأردن

٧ / ١٢ / ٢٠٠٠م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المكرمين.

إلى السيد العلامة فضيلة الشيخ محمد سعيد الحكيم. حفظكم الله تعالى وأطال عمركم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد..

فقد وصلني بحمد الله تعالى ردكم على الأسئلة التي وجهتها لكم. وهو جواب فيه جهد عظيم مشكور. فلكم الشكر الخاص بتوليكم للإجابة عليها، وعلى وسع صدركم، بأن فتحتم الحوار بين أهل السنة ومعاشر الشيعة. وهو موضوع في غاية الأهمية، وخاصة فيما يتعلق بفهم القضايا الشيعية حسب تصوراتهم الشرعية، مما يؤدي لإزالة الغموض والتفسير الخاطئ لدى بعض أهل السنة، فيتم تحديد موقفهم اتجاه الآراء الشيعية تحديداً منصفاً، يتسم بالموضوعية.

وربما كانت هناك بعض التعليقات على هذه الأجوبة. لكنها ـ كما تعلمون ـ تحتاج إلى جهد كبير جداً، إذ لابد من قراءة هذه الأجوبة بدقة وتمعن شديدين، وكذا معرفة رأي علماء أهل السنة في بلدنا، وموقفهم من هذا الحوار وهذه الأجوبة، وإعلامكم بذلك بمراسلات أخرى إن شاء الله تعالى.

نعم تيسر لنا ـ والحمد لله تعالى ـ بعض الأسئلة الأخرى تحمل نفس الهدف. وها أنا أرسلها إليكم، وأرجو من فضيلتكم الإجابة عليها، من أجل التعرف على وجهة نظركم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين. ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

إلى الأخ الكريم (. . . . .) المحترم (زيد توفيقه)..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ونبتهل إلى الله جل شأنه في أن يوفقك وإخوانك، ويجعلكم من عباد الله المتقين ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[1]، وأن يفيض عليكم من رحمته ما يصلح به أمركم في دينكم ودنياكم، ومنقلبكم ومثواكم، إنه أرحم الراحمين، وولي المؤمنين.

وبعد.. فقد وصلنا كتابك الكريم، فسرّنا ما تضمنه، حيث ظهر منه أن الحوار المذكور كان نافعاً في كشف الحقيقة، ورفع الغموض فيها لو كان فيها غموض.

وإن كنا على قناعة تامة بأنها من الوضوح والجلاء بحيث لا تحتاج إلى أكثر من الاهتمام بها والنظر في مصادرها. كما لعله ظهر من حوارنا السابق، ويتضح من حوارنا هذا إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الزمر الآية: ١٨.

لابد من كون الغرض من البحث عن الحقيقة أداء حقها

ونحـن في الوقت الذي نرحـب فيه بالحوار الموضوعـي الهادئ، من أجـل معرفـة الحقيقـة، والوصـول إليها، نؤكد عـلى أنه لابد مـن أن يكون الغـرض من البحـث عن الحقيقة والتعـرف عليها هـو أداء حقها، بالعمل عليهـا، والخـروج عن عهدتها، فـإن من عمل بـما علم كفي مـا لم يعلم[١]، والعلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر[٢]، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام.

بـل لو خلت المعرفة عـن العمل أضرت بصاحبهـا، لأنها تتم الحجة عليـه أو تؤكدهـا، وتزيد في مسـؤوليته إزاء الحقيقة التـي عرفها، والتي قد فرضهـا الله تعـالى، وكان هو المطالب بها، والمحاسـب عليها، يوم **﴿لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾**[٣].

وهـو يـوم قد يأتي بغتـة، من دون سـابق إنذار، فلابد مـن التهيؤ له، والتحفظ من مخاطره، وإحراز العذر مع الله تعالى فيه.

ولا نريد بذلك أن ندعو للتسرع في أمر العقائد الدينية، من دون بصيرة وبيّنة، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: **﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤولاً﴾**[٤]. بل كل ما نريده أن يتحرر الباحث من رواسبه، ويبعد عن اللجاج والتحكم، ويحكّم وجدانه وضميره في أمر الحقيقة التي يبحث عنها، فإذا وصلت واتضحت أدّى حقها، ليخرج عن مسؤوليتها مع الله سبحانه وتعالى.

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق : ٤١٦. بحار الأنوار ٢ : ٣٠،٢٨١. نور البراهين ٢ : ٤٤٧

(٢) عيون الحكم والمواعظ : ٣٤٠. محاسبة النفس : ١٦٦.

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٥٨.

(٤) سورة الإسراء الآية: ٣٦.

أما متى تتضح وكيف تتضح، فهو أمر موكول للباحث نفسه، وهو الذي يحدده بوجدانه، و﴿الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[1]. والله جل شأنه هو الحاكم العدل بعد ذلك، إما له، وإما عليه.

ونسأله سبحانه التوفيق والتسديد لنا، ولكم، ولجميع من يهمه معرفة الحق والوصول إليه، والخروج عن تبعته.

---

(١) سورة القيامة الآية: ١٤.

❑ وفي الختام أود أن أنبه إلى أمر، وهو: أن كلمة سقطت أثناء التبييض لسؤال الغدير وهو كلمة (بيعة).
فالسؤال المطروح والذي يدور عليه الإشكال (واقعة بيعة الغدير)، لا واقعة الغدير نفسها، فإنني على إطلاع واسع حولها. وخاصة معرفتها من مصادر أهل السنة، فأرجو إن شاء الله تعالى في مراسلات أخرى التعليق حول هذا الموضوع.
والحمد لله تعالى لم يذهب جهدكم في الإجابة عليها سدى، بل فيه فائدة جليلة، بحسن الإجابة، والترتيب فيها، النادر حصوله لمن أجاب على مثل هذا السؤال.
وأخيراً أرجو من فضيلتكم الدعاء لي بظهر الغيب. وأرجو من الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، ولما فيه خير المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❑ المراد بالبيعة إن كان هو مسح من شهد خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأيديهم على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام إقراراً لمضمون الخطبة وإذعاناً به. فهذا ليس من الشهرة بحدّ يدعى معه التواتر، عند الشيعة، فضلاً عن السنة.

رواية البيعة بمعنى مسح اليد عن الشيعة والسنة

وإنما رواه الشيعة بطرق متعددة، ذكر المجلسي عدداً منها[١].

كما أن الطبرسي تَدَسَّ ذكر ـ بسنده عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطبة طويلة في المناسبة المذكورة، يقول فيها بعد أن نص على أمير المؤمنين عليه السلام بالولاية:

«معاشر الناس إنكم أكثر من أن تصافقوني بكف واحدة، وقد أمرني الله عزوجل أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدت لعلي من إمرة المؤمنين، ومن جاء بعده من الأئمة مني ومنه، على ما أعلمتكم أن ذريتي من صلبه. فقولوا بأجمعكم: إنا سامعون، مطيعون، راضون، منقادون، لما بلغت عن ربنا وربك في أمر علي، وأمر ولده من صلبه من الأئمة، نبايعك على ذلك بقلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وأيدينا... معاشر الناس قولوا ما يرضى الله به عنكم من القول. فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فلن تضروا الله شيئاً. اللهم اغفر للمؤمنين، واغضب على الكافرين. والحمد لله رب العالمين».

قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «فناداه القوم: سمعنا، وأطعنا، على أمر الله وأمر رسوله، بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا. وتداكوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى علي عليه السلام، فصافقوا بأيديهم...»[٢].

وقد حكى المجلسي تَدَسَّ هذا الحديث عن الطبرسي، ثم ذكر أن الحديث نفسه قد ذكره في كتاب (كشف اليقين) عن أحمد بن محمد الطبري من علماء المخالفين[٣].

---

(١) بحار الأنوار ٣٧ الباب الثاني والخمسون: ١٣٨، ١٣٣، ١١٩.

(٢) الاحتجاج ١: ٨٢ ـ ٨٤، في احتجاج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير على الخلق كلهم وفي غيره من الأيام بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده ....

(٣) بحار الأنوار ٣٧: ٢١٨ الباب الثاني والخمسون من أبواب النصوص الدالة على الخصوص ←

كما ذكر الشيخ الأميني تنتئ عند الكلام في التهنئة عن بعض علماء الجمهور أنه روى ذلك أيضاً[١].

إلا أن ذلك كله لا يبلغ حدّ التواتر. ولا نظن أحداً يدعيه. إلا أن يطلع على ما لم نطلع عليه.

البيعة بمعنى الإقرار بالولاية والاستجابة لها حاصلة

نعم لا يبعد أن يراد بالبيعة إعلان الاستجابة والإذعان، من قبل من شهد الخطبة، بما تضمنته من فرض ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، كما يشير إليه الحديث السابق. إذ كثيراً ما يراد بالبيعة ذلك. لما هو المعلوم من سيرة المسلمين في جميع العصور من أن بيعة عموم الناس للخليفة الجديد إنما تكون بتسليمهم بخلافته، وانقيادهم لها. ولا يمسح على يده إلا القليل من ذوي المكانة، لإعلان إقرارهم.

ومن الظاهر حصول هذا الأمر في واقعة الغدير. لأنه الأمر الطبيعي ممن حضر من المسلمين خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإعلانه ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. ولو ظهر منهم الردّ له والاعتراض عليه لظهر وبان، ونقل تاريخياً، كما نقل اعتراض الحارث بن النعمان الفهري الذي ذكرناه في سلسلة أحداث واقعة الغدير وما يتعلق بها، في جواب السؤال السابع من الأسئلة السابقة.

كما أنه المناسب لما تقدم في سلسلة الأحداث من تهنئة الحضور لأمير المؤمنين عليه السلام بالولاية. وقد تقدم أن الشيخ الأميني تنتئ أنهى مصادر ذلك من طريق الجمهور إلى ستين.

على إمامة أمير المؤمنين(صلوات الله وسلامه عليه) من طرق الخاصة والعامة وبعض الدلائل التي أقيمت عليها.

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب ١ : ٢٧٠ ـ ٢٧١.

ولا سيما مع ما تضمنته بعض طرقها من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجلس أمير المؤمنين عليه السلام في خيمة، وأمر المسلمين بالدخول عليه وتهنئته[١].

إذ من المعلوم رجوع التهنئة بالوجه المذكور للإقرار والتسليم، اللذين تؤديهما البيعة.

والحاصل: أن البيعة بمعنى إعلان الاستجابة والإذعان بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ملازمة عادة لخطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الغدير، وتواتر الخطبة يقضي بتواتر البيعة بالمعنى المذكور.

الاستدلال بحديث الغدير لا يتوقف على البيعة

على أن الاستدلال بحديث الغدير لا يتوقف على البيعة، إذ بعد أن فرض الله تعالى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وبلَّغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها، يجب على الناس الإذعان بها، والانقياد لها، والعمل عليها. وليست البيعة ـ تحققت أو لم تتحقق ـ إلا من توابع ذلك، من دون أن يتوقف عليها وجوب الإذعان والانقياد للولاية، والعمل عليها.

ولو فرض عدم تحققها، أو عدم مطالبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها، فلعله لعدم ظهور الأثر لها إلا بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يحتاج لها قبل ذلك. وإنما يحتاج لها بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، لأنها مظهر للانصياع لما جعله الله تعالى والعمل عليه، من دون أن يتوقف عليها ثبوت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ووجوب عمل الناس عليها بالانقياد له عليه السلام وطاعته، كما ذكرنا.

وإنما يتجه توقف الولاية والخلافة على البيعة على مذهب الجمهور، الذين يرون عدم ثبوت الخلافة بالنص، وأنها لا تثبت للشخص إلا ببيعة الناس له، حيث يكون دور البيعة مهماً جداً، ويحتاج لإثباتها.

---

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب ١ : ٢٧١، وما بعدها.

اهتمام الشيعة بالبيعة تأكيد دلالة حديث الغدير على الإمامة

والمظنون أن اهتمام بعض الشيعة بالبيعة من أجل تأكيد دلالة الحديث الشريف على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ونصبه علماً بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين، ليتولى الأمر من بعده صلى الله عليه وآله وسلم. ويكون خليفة عليهم وإماماً لهم.

هذا الأمر الذي حاول كثير من المخالفين بل عامتهم التشكيك فيه، بعد أن تعذر عليهم ـ إلا من شذّ ـ الطعن في سند الحديث، لشهرته واستفاضة طرقه، وزيادتها على حدّ التواتر. فادعوا إجمال لفظ المولى، لتردده بين معاني كثيرة ـ كالمحب، والناصر، وابن العم، وغير ذلك ـ وعدم اختصاصه بمعنى واحد، وهو الأولى بالأمر.

ومن أجل ذلك يؤكد بعض الشيعة على البيعة، ليسوقها قرينة على أن المراد بالمولى هو الأولى، لأن ذلك هو المناسب للبيعة، دون بقية المعاني المذكورة.

وهو وإن كان أمراً جيداً، إلا أن الحديث مع من؟ فإن كان مع المتعصب المعاند الذي يتشبث بالطحالب، فهو غير مجد، إذ ما من حقيقة إلا وقد أثيرت حولها شبهات، يتشبث بها المعاندون. والأولى ترك الحديث معهم، لأنه من المراء، الذي ورد النهي عنه، كما تقدم في مقدمة الأسئلة السابقة، بل يوكل أمرهم إلى الله تعالى، حيث لا ينفعهم العناد معه جل شأنه.

وإن كان مع المنصف الذي يريد الوصول للحقيقة ويطلبها كيف كانت، فالأمر أوضح من ذلك. إذ لو تم أن للمولى معاني كثيرة متباينة ـ وأنها لا ترجع جميعها إلى معنى واحد، وهو الأولى ـ فيكفي في حمل المولى على الأولى أمران في متن الحديث نفسه..

بعض القرائن المتممة لدلالة حديث الغدير على الإمامة

الأول: أن الحديث كما روي بلفظ: «من كنت مولاه، فعلي مولاه»، روي بلفظ «من كنت وليه فعلي وليه»، أو نحو ذلك.

ومن الظاهر أن الخلاف المذكور لا يرجع عرفاً للتكاذب بين الروايتين، ولا للخطأ في إحداهما، بل للنقل بالمعنى من دون تقيد بألفاظ النص. وذلك شاهد بأن المولى بمعنى الولي، وهو المسلط الذي يتولى الأمر.

الثاني: أن كثيراً من طرق الحديث ـ تبلغ التواتر، أو تزيد عليه، كما تقدم هناك ـ قد تضمنت قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقدمة للنص على أمير المؤمنين: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»، أو نحو ذلك، ثم قوله صلى الله عليه وآله وسلم معقباً من دون فصل: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، حيث تكون المقدمة المذكورة مفسرة لما بعدها، وملزمة بحمل المولى على الأولى، دون بقية المعاني المذكورة للمولى، لو أمكن الحمل على بعض تلك المعاني في نفسه.

وهناك بعض القرائن الداخلية الأخر، والخارجية الكثيرة، قد أطال الكلام فيها علماؤنا (رضوان الله تعالى عليهم). ولعل من أوسع من كتب في ذلك المرحوم الشيخ الأميني قدس سره [1].

ونقترح على من يحاول تأويل الحديث على خلاف ذلك أن يحدد المعنى الذي يحاول حمل الحديث عليه، ثم ينظر في متن الحديث من أوله إلى آخره، وفي القرائن المحيطة به، ويحكم وجدانه في قبول ذلك المعنى وعدمه. ثم له بعد ذلك أن يختار ما يراه مناسباً.

---

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب ١ : ٣٤٠ ـ ٣٩٩، مفاد حديث الغدير.

الولاية ترجع للإمامة ووجوب الطاعة

أما إذا ثبت أن الحديث قد تضمن الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام على المسلمين، وأنه عليه السلام أولى بهم من أنفسهم، فذلك مساوق لإمامته وخلافته ووجوب طاعته عليهم، لعدم صلوح الولاية المذكورة إلا للإمام، وعدم تمامية الإمامة إلا بالولاية ووجوب الطاعة.

ولم تثبت إمامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المسلمين في حياته إلا مما دل ـ من الآيات والأحاديث ـ على وجوب طاعته صلى الله عليه وآله وسلم عليهم، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم وليهم، وأولى بهم من أنفسهم، كما لعله ظاهر.

والله سبحانه وتعالى العالم العاصم. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

❑س١: ما هو موقف الشيعة من هذه القضية القرآنية وهي:

أن القرآن الكريم عند تعرضه لحال الأمة المحمدية ودرجتها ومنزلتها عند الله قد قسمها إلى قسمين:

قسم محدود بزمن. وهؤلاء أطلق الله عليهم السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار. وعامة ما يرد في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من ذكر للصحابة ـ بلفظ الصحابة أو أمثالها ـ يُعنى به السابقون الأول. وهذا القسم قد رضي ربنا عزوجل عنهم، دون أن يشترط فيهم الاتباع بإحسان، بخلاف القسم الثاني، وهو:

القسم الثاني الذي اشترط فيهم الاتباع بإحسان. مع العلم بأن كثيراً ممن يطلق عليه لفظ الصحابة مذكور في الشطر الثاني من الآية، حيث قال عز من قائل: [وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ]
التوبة/١٠٠.
فإن نقل عن أحد من السابقين الأول ـ مهاجراً كان أم أنصارياً ـ قضية فيها إثم أو معصية ، أو خلاف أو شقاق، أيصح لنا نحن المتأخرين أن نطلق ألسنتنا في هذا الصحابي؟! مع أن السنة النبوية اقتضت أن لا نفعل ذلك، وأن لا نقتدي بهذا العمل الظاهر فساده، وأن نَكِل حال هذا الصحابي ومنزلته عند الله تعالى إلى الله عزوجل، لأنه وحده المختص بهم.

كما هو الحاصل في قضية حاطب ابن أبي بلتعة، حيث إن رسول الله(ص) احتج على من أنكر على حاطب بقوله: «لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم، فإنني قد غفرت لكم».

ج: يحسن التعرض في جواب ذلك لأمور..

الأمر الأول: أنه لم يتعرض القرآن الكريم للسابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان إلا في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ

جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

ولا يخفى أن الآية الشريفة قد تضمنت أمرين:

أولهما: الإخبار عن رضا الله تعالى عن السابقين الأولين.

ثانيهما: وعد الله لهم بالجنة، والحكم لهم بالفوز العظيم.

الإخبار بالرضا لا يدل على استمراره إلى حين موته

أما الإخبار بالرضا فهو لا يدل إلا على أنه تعالى راض عنهم حينما أخبر بذلك، وهو وقت نزول الآية الشريفة، ولا يكشف عن استمرار رضا الله تعالى عنهم إلى حين موتهم، بحيث يلقاهم راضياً عنهم. لوضوح أن رضا المولى عن عبده تابع لطاعة العبد له، ولو بتوبته من ذنبه، وهو يختلف باختلاف حالات العبد، واختلاف أعماله. فالله سبحانه وتعالى قد يرضى عن عبده في يوم، لطاعته له، ثم يغضب عليه بعد ذلك، لمعصيته له، ثم يعود فيرضى عنه إذا تاب وأطاعه، ثم يغضب عليه إذا عصاه... وهكذا. وليس من شأن الرضا البقاء، بحيث لا يزول.

ومن ثم لا مجال للاستدلال بالرضا عنهم على نجاتهم.

الاستدلال على نجاة السابقين الأولين بالوعد لهم بالجنة

وأما الوعد لهم بالجنة، والحكم لهم بالفوز العظيم، فقد يستدل به في المقام على المدعى. وهو ما سوف نتحدث عنه.

إذا عرفت هذا فلابد .. أولاً: من تحديد المدعى، ثم النظر في أن الآية الشريفة هل تدل عليه أو لا؟. ويمكن توجيه المدعى بوجهين:

---

(١) سورة التوبة الآية: ١٠٠.

الكلام في أن السابقين الأولين مقطوع لهم بالسلامة والفوز بالجنة

الوجه الأول: أن السابقين الأولين مقطوع لهم بالسلامة والنجاة في الآخرة، والفوز بالجنة، إما لكونهم معصومين من الذنوب، أو لأنه يختم لهم بالتوبة المقبولة، أو لأن الله تعالى يتفضل عليهم بالعفو والمغفرة، وإن ماتوا على الذنوب والمعاصي.

وقد يستدل على ذلك بالآية الكريمة، لأنها قد تضمنت تعقيب الرضا عنهم بإعداد الجنات لهم، وبفوزهم، المناسب للقطع بسلامتهم.

لكنه يندفع بأن ذلك لا يختص بالسابقين الأولين، بل كما ورد ذلك فيهم، ورد نظيره في غيرهم.

الوعد بالجنة والفوز لكل مهاجر وأنصاري

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[2].

ونحوهما غيرهما مما تضمن الوعد لكل مهاجر ولو من غير السابقين.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩٥.

(٢) سورة الحج الآية: ٥٨ ـ ٥٩.

بل يظهر منها العموم لكل مهاجر من بلاد الكفر لبلاد الإسلام، ولو بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال عزوجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(١) ومقتضاه عموم السلامة والفوز لجميع المهاجرين والأنصار.

الوعد بالفوز لكل مؤمن عمل صالحاً

كما أنه قد استفاضت الآيات الكريمة في الوعد بالفوز لعامة المؤمنين الذين يعملون الصالحات، كقوله عز من قائل: ﴿وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾(٢).

وقوله عزوجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(٣).

وقوله جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ* ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾(٤). ونحوها كثير جداً.

الوعد بالفوز والجنة لكل مؤمن

بل أطلق في بعضها الوعد بذلك للمؤمنين، من دون تقييد بالعمل الصالح. كقوله عز اسمه: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٧٤.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٥.

(٣) سورة العنكبوت الآية: ٥٨.

(٤) سورة الشورى الآية: ٢٢ ـ ٢٣.

تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[١].

إطلاق الوعيد بالخسران والعذاب لكل عاص وزائغ

كما أنه ورد مستفيضاً في الكتاب المجيد والسنة الشريفة إطلاق الوعيد بالعذاب والخسران بسبب الزيغ والمعاصي، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣].

وقوله عزوجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[٤].

وقال جل شأنه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾[٥]... إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة. وكذا الحال في السنة الشريفة.

الجمع بين أدلة الوعد والوعيد باشتراط حسن الخاتمة في الوعد

ومن هنا لابد من الجمع بين الطائفتين: طائفة الوعد، وطائفة الوعيد. وذلك بحمل أدلة الوعد المطلقة على اشتراط حسن الخاتمة، إما بالاستقامة على الحق حتى النهاية، وإما بالتوبة والرجوع للحق بعد الزيغ والخروج عنه.

---

(١) سورة التوبة الآية: ٧٢.

(٢) سورة الأنفال الآية: ١٣.

(٣) سورة الحشر الآية: ٤.

(٤) سورة النساء الآية: ١١٤.

(٥) سورة النساء الآية: ٩٣.

وهو المستفاد من الآيات والأحاديث الكثيرة أيضاً. قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ المَلائِكَةُ أَلاّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2].

وقال عزوجل: ﴿أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]... إلى غير ذلك.

وذلك جار في الآية الأولى الواردة في السابقين الأولين، والتي تقدم منك الاستدلال بها. حيث يتعين حملها على خصوص من استقام منهم وحفظ العهد ولم يزغ عن أمر الله تعالى.

تحذير الصحابة من الفتنة والانقلاب

ولاسيما مع ما ورد من تحذير الصحابة أنفسهم من الفتنة والانقلاب والوعيد للمنقلبين بالعذاب والخسران.

قال عز من قائل: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[4].

ومن الظاهر أن المراد بذلك غير من عرف بالنفاق قبل نزول الآية

---

(١) سورة الشعراء الآية: ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) سورة فصلت الآية: ٣٠.

(٣) سورة آل عمران الآية: ٨٧ ـ ٨٩.

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٧٩.

الشريفة، كما تقدم التنبيه لذلك في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة.

وقال جل شأنه، مخاطباً المسلمين في أوائل الهجرة، بمناسبة واقعة بدر، حيث كان أكثرهم أو كلهم من السابقين ـ بالمعنى الذي تريده ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

وقد ورد عن عون بن قتادة قال: «حدثني الزبير بن العوام. قال: لقد حذرنا رسول الله ﷺ فتنة لم نر أنا نخلق لها. ثم قرأ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ فقرأناها زماناً، فإذا نحن المعنيون بها. قال: فحيث كان هذا فلِمَ خرجتم؟ قال: ويحك، نحن نعلم، ولكن لا نصبر»[2].

وقال عز اسمه مخاطباً المسلمين ومعاتباً لهم على فرارهم يوم أحد، وكلهم أو كثير منهم من السابقين الأولين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) السنن الواردة في الفتن ١ : ٢٠٤ باب: قول الله عز وجل [وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً]، واللفظ له. تفسير ابن كثير ٢ : ٣٠٠ في تفسير الآية.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٤٤.

تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[2].

ومثل ذلك نصوص الحوض الكثيرة، وغير ذلك مما تقدم في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة، ومما لم نذكره.

فإنه يتعين لأجل ذلك حمل الآية المتقدمة على التقييد بحسن الخاتمة. كما يجري ذلك في جميع ما قد يساق دليلاً على سلامتهم بوجه قاطع، مما يأتي في كلامك، ومما لم تذكره. ولا يسعنا استقصاؤه. ووضوح ذلك يغني عن إطالة الكلام فيه.

توجيه إطلاق الوعد بالفوز

وربما كان وجه الإطلاق في الآية المذكورة وغيرها هو أن اشتراط الاستقامة، أو حسن الخاتمة، من الوضوح بحدّ لا يحتاج إلى البيان، بحيث يفهم من الإطلاق من دون حاجة إلى أن ينص عليه. لما هو المعلوم من الشرع والعقل من أن سبب الفوز إذا كان هو الإيمان والعمل الصالح أو السبق لهما، فلا معنى لثبوت الفوز بعد فقدهما، والخروج عما فرضه الله تعالى، والزيغ عن صراطه المستقيم.

الكلام في التابعين

ولولا ذلك لتعين البناء على الإطلاق حتى في التابعين. لظهور أن إحسان السابقين الأولين إنما يكون بالإيمان والعمل الصالح. فإن أريد

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٢) سورة محمد الآية: ٣٣.

بإحسان السابقين الأولين تحقق ذلك منهم ولو في فترة قصيرة كفى في تبعية التابعين لهم في الإحسان حصول ذلك منهم في فترة قصيرة أيضاً حتى لو انقلبوا بعد ذلك. وإن أريد بإحسانهم تحقق ذلك منهم بنحو الاستمرار، وبشرط الاستقامة، وحسن الخاتمة، بحيث يمضون إلى الله تعالى على الحق، لم تتحقق التبعية في التابعين إلا بذلك أيضاً. ولا وجه لجعل الاستقامة والاستمرار على الطاعة شرطاً في التابعين، دون السابقين الأولين.

نعم قد يتجه ذلك لو كان التعبير هكذا: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان واستقاموا على ذلك ومضوا عليه رضي الله عنهم...». أما عبارة الآية الشريفة فلا تنهض إلا بما ذكرنا. كما لعله يتضح بقليل من التأمل.

ويؤكد ذلك أمور..

في السابقين الأولين من ارتد عن الإسلام

الأول: أن في السابقين الأولين من ارتد عن الإسلام، وهو عبيد الله ابن جحش، فإنه هاجر إلى الحبشة، وتنصّر هناك ومات[1].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٤ : ٢١ كتاب معرفة الصحابة: ذكر أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها. حاشية ابن القيم ٦ : ٧٥. عون المعبود ٦ : ٧٤. تهذيب التهذيب ١٢ : ٤٣٧ في ترجمة حبيبة بنت عبيد الله بن جحش. تهذيب الكمال ٣٥ : ١٧٥ في ترجمة رملة بنت أبي سفيان. التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ٣ : ١٢٨٣ في ترجمة رملة بنت أبي سفيان. الاستيعاب ٣ : ٨٧٧ في ترجمة عبد الله بن جحش، ٤ : ١٨٠٩ في ترجمة حبيبة ابنة أبي سفيان، ٤ : ١٨٤٤ في ترجمة رملة بنت أبي سفيان. الإصابة ٧ : ٦٥١ في ترجمة رملة بنت أبي سفيان. الإكمال لابن ماكولا ٧ : ١٢٥ باب كبير وكثير وكثير وكنيز وكنيز. السيرة النبوية ٢ : ٥١ ذكر ورقة ابن نوفل بن أسد. تاريخ دمشق ٣ : ١٧٣ في ترجمة النبي محمد بن عبدالله بن عبد المطلب: باب ذكر بنيه وبناته عليه الصلاة والسلام وأزواجه، : ٤١٥ باب إخبار الأحبار بنبوته والرهبان وما يذكر من أمره عن العلماء والكهان.

ولا ريب في هلاكه، وقصور إطلاق الآية عنه، ولا منشأ لقصوره إلا التقييد بالاستقامة، كما سبق.

وكذا النضير بن الحارث العبدري، أخو النضر الذي قتله أمير المؤمنين عليه السلام صبراً بعد واقعة بدر بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد رووا أن النضير هذا كان من السابقين الأولين وقد هاجر إلى الحبشة، ثم رجع مرتداً إلى مكة، ثم أسلم يوم الفتح[1]، وكان من المؤلفة قلوبهم وقد دفع إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين مائة ناقة، يتألفه بها، وقتل يوم اليرموك[2].

واقع السابقين الأولين لا يناسب القطع لهم جميعاً بالفوز

الثاني: أن ملاحظة واقع السابقين الأولين وما شجر بينهم، ونظرتهم لأنفسهم، ونظرة بقية الصحابة ومن بعدهم لهم، لا تناسب القطع لهم بالسلامة والفوز. وقد تقدم في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة ما ينفع في المقام. فإنه وإن كان وارداً في عموم الصحابة، إلا أن كثيراً من الوقائع المتقدمة هناك تخص السابقين الأولين، كما يتضح بالرجوع للجواب المذكور، بنحو يغنينا عن الإعادة والنص على خصوصيات الوقائع.

وقد قال أبو عبيدة للأنصار يوم السقيفة حينما حاولوا مبايعة سعد ابن عبادة: «يا معشر الأنصار، إنكم كنتم أول من نصر، فلا تكونوا أول

---

(١) الإصابة ٦ : ٤٣٠ في ترجمة النضر بن الحارث. أنساب الأشراف ١ : ٢٣٢ في أسماء من هاجر إلى الحبشة من المسلمين هرباً بأديانهم من مشركي قريش بإذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. تاريخ دمشق ٦٢ : ١٠٥ في ترجمة نضير بن الحارث.

(٢) الإصابة ٦ : ٤٣٦ في ترجمة النضير بن الحارث. الاستيعاب ٤ : ١٥٢٥ في ترجمة النضير بن الحارث. تاريخ دمشق ٦٢ : ١٠١ في ترجمة نضير بن الحارث.

من غير وبدل»[١].

فتراه حذرهم من التغيير، مشيراً إلى أن السبق إلى النصرة لا ينفع مع التغيير، بل لابد من الاستقامة.

وذلك كله شاهد بأن الصحابة أنفسهم لم يفهموا من الآية الشريفة المتقدمة القطع للسابقين الأولين بالسلامة والفوز، وهم قد عاشوا ظرف نزولها، واستوعبوا القرائن المحيطة بها.

القطع للسابقين الأولين بالسلامة إغراء لهم بالقبيح

الثالث: أن من الظاهر أن الآية الكريمة المتقدمة قد نزلت في حياة أكثر السابقين الأولين، ومن البعيد جداً أن يعلمهم الله تعالى بسلامتهم وفوزهم بوجه قاطع، من دون أن يشترط عليهم الاستقامة، ويستثني حالة النكوص والانقلاب. لأن ذلك قد يغريهم بالقبيح، فإن من أعظم الروادع العقلية عن الانحراف والزيغ ـ في العقيدة والعمل ـ التي تقوم بها الحجة من الله تعالى على الناس، هو خوف الهلاك والعقاب في الآخرة، وإذا أمنوا ذلك خفّ الداعي الرادع لهم عن ذلك. وهو لا يناسب حكمة الله تعالى في إقامة الحجة على الناس، واستصلاحهم بها.

ولا سيما إذا لم يكن الوعد القاطع بسلامتهم تفضلاً ابتدائياً من الله تعالى، ليكون محفزاً على شكره تعالى بطاعته، بل كان نتيجة لعمل يقوم به الشخص الموعود، فإن العمل الحسن، والمراتب الموهومة، سبب للعجب والتفاخر والتبجح، في عامة الناس، إلا من عصم الله تعالى.

وما أكثر ما تناحر السابقون الأولون بينهم، لأن كلاً منهم يدعي

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٣ في خبر سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر، واللفظ له. تاريخ الطبري ٢ : ٢٤٣ ذكر الخبر عما جرى بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة. الإمامة والسياسة ١ : ١٢ ذكر السقيفة وماجرى فيها من القول.

الأولوية لنفسه، بسبب مواقفه السابقة، ومراتبه الموهومة، تناحراً أضرّ بالدعوة وبأتباعها. وإن تاريخ السابقين الأولين والصحابة عموماً مليء بالتفاخر والتبجح والتناحر، نتيجة ذلك، والحال أنه لم يظهر منهم القطع لأنفسهم بالسلامة والفوز في الآخرة. بل صدر عن كثير منهم ما يدل على الجهل بالمصير والخوف منه، كما يظهر بمراجعة ما سبق في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة وغيره. فكيف يا ترى يكون الحال لو علموا سلامة المصير، وتجلى لهم حسن العاقبة بوعد قاطع من الله تعالى؟!.

ولذا فمن البعيد جداً أن يقطع الله تعالى لآحاد البشر المتعارف في حياته بالسلامة، فضلاً عن جماعة كبيرة يتوقع منهم التفاخر والتناحر والتسابق على قيادة أمة ناشئة، كما حدث فعلاً.

كيف؟! ولم يغفل الله سبحانه تذكير النبي صلى الله عليه وآله وسلم على رفعة مقامه، وبعده عن دواعي الهوى ـ بوخيم عاقبة الزيغ والانحراف العقيدي والعملي، تأكيداً لداعي الردع في نفسه الشريفة، وتنبيهاً لغيره.

فقال عزوجل: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾[2].

وقال عز من قائل: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[3].

---

(١) سورة الزمر الآية: ٦٥.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٧٤ ـ ٧٥.

(٣) سورة الحاقة الآية: ٤٤ ـ ٤٧.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه: «إنه لا ينجي إلا عمل مع رحمة. ولو عصيت لهويت»[1] ... إلى غير ذلك.

فضيلة السبق للإيمان وعظم المسؤولية بسببه

نعم لا إشكال في ظهور الآية الشريفة في فضيلة السبق للإيمان والعمل الصالح. إلا أن المؤمن كلما ارتفع شأنه، وعظمت نعم الله تعالى عليه، وتكاثرت الحجج في حقه، كانت مسؤوليته أعظم، ومخاطره أشد وأدهى. فإن قام بمقتضى مسؤوليته، واستقام في سيرته وسريرته، ارتفع شأنه، وكان أجره أعظم. وإن زاغ وانقلب، هوى إلى الحضيض، وكان عقابه أشد وأنكى، لأن الحجة عليه آكد.

ولاسيما وأن السابقين إذا زاغوا وخرجوا عن الطريق قد يكونون أسوة لمن بعدهم، وسبباً في ضلالهم وانحرافهم، فتتضاعف مسؤوليتهم بسبب ذلك، كما تقدم في آخر جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة.

هل يجوز الدخول في أمر السابقين الأولين ؟

الوجه الثاني لتوجيه المدعى في السؤال: أن السابقين الأولين وإن لم يقطع لهم بالسلامة، والفوز في الآخرة، إلا أنه مهما صدر منهم من المعاصي والانحراف والشقاق، فلا ينبغي للمتأخرين النيل منهم، وجرحهم والطعن عليهم، لأن حرمة السبق تمنع من ذلك. بل يوكل أمرهم لله تعالى، ويكون حسابهم عليه، فإن شاء عذبهم بذنوبهم بعدله، وإن شاء عفا عنهم برحمته وفضله.

وبعبارة أخرى: نحن وإن لم نقطع على السابقين الأولين بالنجاة والفوز، لأن الله سبحانه قد يعذبهم بذنوبهم ويؤاخذهم بما كسبوا، إلا أنه

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٠ : ١٨٤. الإرشاد للشيخ المفيد ١ : ١٨٢.

ليس من حقنا ـ نحن المتأخرين ـ الدخول في أمرهم، والطعن عليهم، لأن حرمة السبق ترفعهم عنا، ونحن دون مستوى نقدهم. والله تعالى وحده يختص بذلك. وهذا ما قد يوحي به ذيل السؤال.

لكنه يندفع بأن ذلك يحتاج إلى إثبات، والآية الشريفة لا تدل عليه، إذ لا نظر فيها لموقف الناس من السابقين الأولين، بل قد تضمنت موقف الله سبحانه منهم. وهي وإن تضمنت وعده لهم بالفوز، إلا أنه حيث سبق تقييدها بصورة الاستقامة، وحسن الخاتمة، فهي تقصر حقيقة عمن لم يستقم منهم، وزاغ في عقيدته أو سلوكه.

ويتعين الرجوع فيه للأدلة العامة، وهي تقتضي حرمة الموالاة، وجواز اللعن والطعن والتجريح، كما يناسبه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[1].

وقوله عزوجل: ﴿ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[2].

وقوله عز اسمه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[3].

وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاعِنُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الممتحنة الآية: ١٣.

(٢) سورة هود الآية: ١١٣.

(٣) سورة محمد الآية: ٢٢ ـ ٢٣.

(٤) سورة البقرة الآية: ١٥٩.

وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(٢)... إلى غير ذلك.

وذلك هو المناسب لموقف الصحابة والتابعين ومن بعدهم، من السابقين الأولين ومن غيرهم من الصحابة، كما أشرنا إليه قريباً. وأحكامهم تجري علينا، مادمنا نشترك معهم في شريعة واحدة ودين واحد، كما هو ظاهر.

عدم تحديد السابقين الأولين بوجه دقيق

بقي شيء. وهو أن عنوان السابقين الأولين غير محدد بصورة دقيقة واضحة، فإن الكثرة الكاثرة من المهاجرين والأنصار متأخرون عمن قبلهم، سابقون لمن بعدهم، ولابد في تحديد منتهى السبق من دليل أخر.

بل الجمود على عنوان السابقين الأولين قد يقتضي الاقتصار على أول من دخل في الإسلام واستجاب لدعوته من المهاجرين، وأول من دخله من الأنصار. وهم أنفار معدودون، لا يتجاوزون عدد الأصابع. وربما يقطع بالسلامة لهم. لكن لا من جهة الآية الشريفة، لما سبق. بل بعد النظر لواقع حالهم، إن تيسر ذلك.

وحمل السابقين الأولين على ما هو الأعم من ذلك ـ المناسب لما يريده عامة الناس من هذا العنوان ـ يحتاج إلى دليل. وإن تم فهو غير محدد بصورة دقيقة، كما سبق.

---

(١) سورة الرعد الآية: ٢٥.

لا ميزة للسابقين الأولين في النقد والتجريح بإجماع المسلمين

على أنا لا نعهد في المسلمين القول بتميز السابقين الأولين ـ بالمعنى العام ـ بالقطع لهم بالنجاة والفوز، ولا بأنهم فوق مستوى نقدنا. أما الشيعة فظاهر. وأما الجمهور فهم بين من ميز الصحابة ـ بمعنى من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمع حديثه ـ عموماً، وبين من أخضعهم جميعاً للنقد والتمحيص، كما يظهر مما تقدم في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة.

الكلام في حمل الصحابة على خصوص السابقين الأولين

الأمر الثاني: تقول في سؤالك: «وعامة ما يرد في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، من ذكر للصحابة بلفظ الصحابة أو أمثالها، يُعنى به السابقون الأول».

ونقول: لم يرد في القرآن المجيد ذكر لصحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعنوان الصحبة إلا في قوله تعالى: ﴿**إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**﴾[1]، ومن الظاهر أن المراد به مجرد صحبة المكان. أما في بقية ذلك فالخطاب إنما هو للمؤمنين عموماً.

نعم، قال عز من قائل: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ...**﴾[2].

---

(١) سورة التوبة الآية: ٤٠.

(٢) سورة الفتح الآية: ٢٩.

وصدر الآية الشريفة يقضي بالعموم لكل من كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يناسب معنى الصحبة على عمومه. كما أنه يعمّ غير السابقين الأولين ـ بالمعنى الذي يريده عامة الناس منهم ـ قطعاً، فإن سورة الفتح نزلت حين كثر المسلمون، لأنها نزلت بعد صلح الحديبية، الصلح الذي كاد المسلمون يهلكون بعدم استجابتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه، كما ورد في أحاديث، تقدم بعضها في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة. بل ربما كان نزول الآية الشريفة في عمرة القضاء، التي هي بعد عام من الصلح المذكور، وهو العام الذي دخل الإسلام فيه كثير من ضعاف الإيمان.

نعم، الصفات التي تضمنتها الآية الشريفة ملزمة بحملها على خصوص من كان واجداً لتلك الصفات. ولا ريب في أنهم قسم خاص من الصحابة متميز بقوة الدين وبتفاعله به، وبتأثره بسلوك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته، المعبر عنه في عرف الناس بالخاصة. وربما يحمل عنوان الصحابة الوارد في مقام المدح عليهم. إذ كثيراً ما يطلق العرف صحابة الرئيس على خاصته الذين يعاشرونه، ويتفاعلون معه، ويسيرون على نهجه.

ومن الظاهر أنه لا ملزم بالتطابق بينهم وبين السابقين الأولين، بل يمكن أن يكون في السابقين الأولين من هو فاقد لتلك الصفات أو لبعضها، كما يمكن أن يكون في غيرهم من هو واجد لها. ولابد في تشخيصهم وتعيينهم من التعرف على واقعهم وسلوكهم، ودراسة سيرتهم الذاتية.

هذا، ولكن مع كل تلك الصفات العالية التي تضمنتها الآية الشريفة، لم يقطع الله سبحانه وتعالى لهم بالسلامة، ولم يعدهم بالفوز، إلا بشرط الاستقامة، والثبات على الإيمان والعمل الصالح.

قال عز من قائل: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[١]. وإذا كان الله جل شأنه قد شرط الاستقامة فيهم، فكيف لا يشترطها في غيرهم؟!

أما السنة الشريفة فقد تعرضت لعنوان الصحابة في أحاديث كثيرة. ولا ندري ما هي القرينة على حمل الأحاديث المادحة على السابقين الأولين، والأحاديث الذامة ـ كأحاديث الحوض المتقدم بعضها في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة ـ على غيرهم؟ وما هو إلا تخرص وتحكم من دون دليل.

ولا سيما وأن بعض المضامين والقرائن تناسب العموم. فقد سبق في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خاطبهم بقوله: «لتتبعن سنن من كان من قبلكم، شبر بشبر، وذراع بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم...». ولم ينقل عن أحد دعوى اختصاص الانحراف في الأمم السابقة بمن تأخرت استجابته للدعوة. بل ولا بذوي المقام العادي منه.

فقد انحرف قارون الذي هو ابن خالة موسى عليه السلام ـ كما عن الإمام الصادق عليه السلام [٢] وابن عباس[٣] ـ أو ابن عمه ـ كما عن محمد ابن إسحاق[٤] ـ والسامري الذي بلغ من شأنه أن ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[٥].

ومن البعيد جداً تأخرهما عن الاستجابة لموسى عليه السلام والتصديق له، لابتناء دعوة موسى عليه السلام على إنقاذ بني إسرائيل. حيث يناسب ذلك

---

(١) سورة الفتح الآية: ٢٩.

(٢)، (٣) مجمع البيان ٧ : ٤٥٩.

(٤) تفسير القرطبي ١٣ : ٣١٠. تفسير الطبري ٢٠ : ١٠٥. تفسير ابن كثير ٣ : ٤٠٠.

(٥) سورة طه الآية: ٩٦.

مسارعتهما لاعتناقها والاستجابة لها.

وسبق هناك أيضاً عن موطأ مالك: «وحدثني عن مالك، عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله: أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم... فقال رسول الله ﷺ: بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي...».

وسبق عن نافع عن عبد الله أنه قال: «قام النبي ﷺ خطيباً، فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: ههنا الفتنة ثلاثاً، من حيث يطلع قرن الشيطان»، وقريب منه أحاديث أخر.

كما سبق أمره صلى الله عليه وآله وسلم بقتال الناكثين، وفيهم طلحة والزبير وعائشة.

وقد أمرت أم سلمة عبد الرحمن بن عوف بالإنفاق في سبيل الله، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أصحابي من لا أراه ولا يراني بعد أن أموت أبداً».

لظهور أنها إنما أمرته بالإنفاق حذراً من أن يكون من هؤلاء، مع أنه من السابقين الأولين بالمعنى الذي يريده عامة الناس من هذا العنوان، حيث يشهد ذلك بأن الحديث المذكور يشمل السابقين الأولين... إلى غير ذلك مما تقدم بعضه.

ونعود فنؤكد ذلك بمواقف الصحابة من أنفسهم، ومواقف بعضهم من بعض، فإنها لا تناسب التخصيص المذكور، كما يظهر بالرجوع لما سبق هناك.

الكلام في الاستدلال بقصة حاطب

الأمر الثالث: تقول في سؤالك: «مع أن السنة النبوية اقتضت أن لا نفعل ذلك... وأن نَكِل حال هذا الصحابي ومنزلته عند الله تعالى إلى الله عزوجل، لأنه وحده المختص بهم، كما هو الحاصل في قصة حاطب بن أبي

بلتعة، حيث إن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم احتج على من أنكر على حاطب بقوله: لعلّ الله اطلع على أهل بدر، فقال: افعلوا ما شئتم فإنني قد غفرت لكم».

التحفظ على قصة حاطب بن أبي بلتعة

ونقـول: هـذا الحديـث وإن رواه الجمهـور بطـرق متعـددة ـ يـأتي بعضها ـ حتى صار كأنه من المسلمات عندهم.

ونحـن فعلاً لا نريـد إنكاره، إلا أننـا مع ذلك نتحفـظ في أمره، ولا يسـعنا الجزم بصدقـه، ولا بالمعنى الـذي يحاول الجمهور حملـه عليه، وهو القطع بالسلامة لأهل بدر.

محاولة إضفاء طابع القدسية على الصحابة في قبال أهل البيت عليهم السلام

ومقدمـة للحديث في ذلك يحسـن منا التنبيه على أمـر مهم جداً ينفع في المقام وغيره.

وهو أن المعلوم للباحث المنصف أن جمهور السنة ـ برواتهم وعلمائهم في الحديث والفقه، وبسـلطانهم المناوئ لأهل البيت (صلوات الله عليهم) مـن الصـدر الأول ـ يحـاول إضفاء طابع القدسـية على الصحابـة، في قبال قدسـية أهـل البيـت عليهم السلام التـي فرضهـا الكتـاب المجيـد، الـذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِـلُ مِـنْ بَيْنِ يَدَيْـهِ وَلا مِنْ خَلْفِـهِ تَنزِيلٌ مِـنْ حَكِيمٍ حَمِيـدٍ﴾[1]، وأكدتها السـنة الشريفة المسـتفيضة،والتي رواها حتى من لا يلتزم خط أهل البيت (صلوات الله عليهم).

وإنـما فعلـوا ذلك ليجعلوهم في قبال أهـل البيت عليهم السلام ، ويكونوا هم الوجهـة التي يتوجه لها المسـلمون،لينشـغلوا بهم، ويغفلـوا عن مقام أهل البيت(صلـوات الله عليهـم). وكلـما تعاقبـت العصـور، وظهـرت دعـوة

(١) سورة فصلت الآية: ٤٢.

الشيعة، وأخذوا يشيدون بمقام أهل البيت عليهم السلام، ويؤكدون عليه قولاً وعملاً، زاد تشبث الجمهور بالصحابة وبإضفاء طابع القدسية عليهم، حتى صار ديناً يتدينون به.

كل ذلك من أجل أن يتكئوا على الصحابة، وينتسبوا لهم، كما انتسب الشيعة لأهل البيت عليهم السلام. ويبرروا بذلك إعراضهم عن أهل البيت عليهم السلام. ولا أقل من عدم تمييزهم لأهل البيت عليهم السلام في التعظيم والتقديس.

موقف الجمهور من إلحاق أهل البيت في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ويكفي من الشواهد العملية لذلك أن الجمهور رووا في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلحاق أهل بيته به صلى الله عليه وآله وسلم.

ففي حديث كعب بن عجرة: «قيل: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[1]،ونحوه غيره.

بل ورد النهي عن الصلاة البتراء[2]، وهي الصلاة على

(١) صحيح البخاري ٤ : ١٨٠٢ كتاب التفسير: باب إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا...، واللفظ له، ٣ : ١٢٣٣ كتاب الأنبياء: باب يزفون النسلان في المشي، ٥ : ٢٣٣٨ كتاب الدعوات: باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. صحيح مسلم ١ : ٣٠٥ كتاب الصلاة: باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد. السنن الكبرى للنسائي ١ : ٣٨١، ٣٨٢ كتاب صفة الصلاة: الأمر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ٦ : ١٧ كتاب عمل اليوم والليلة، كيف المسألة وثواب من سأل له ذلك، ص: ٩٧ كيف الرد. صحيح ابن حبان ٣ : ١٩٣ باب الأدعية: ذكر الأخبار المفسرة لقوله جل وعلا: [ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما]، ٥ : ٢٨٦، باب صفة الصلاة، ذكر وصف الصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي يتعقب السلام الذي وصفنا، ص: ٢٨٩ ذكر البيان بأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما سئل عن الصلاة عليه في الصلاة عند ذكرهم إياه في التشهد، ص: ٢٩٥ ذكر الأمر بالصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم وذكر كيفيتها. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) جواهر العقدين القسم الثاني ١ : ٤٩ في الثاني ذكر أمره صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة عليهم في امتثال ما

←

النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دون إلحاق آله به.

ومع ذلك نرى جمهور السنة إما أن يفردوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة أو يلحقوا به آله وأصحابه معاً. وما ذلك إلا لضيقهم من تمييز آل البيت (صلوات الله عليهم) بالتكريم والتقديس.

حديث الطحطاوي في توجيه موقف الجمهور

ومن الطريف ما ذكره الطحطاوي في توجيه ما عليه الجمهور، حيث قال: «والظاهر أن ذكر الآل والأصحاب مندوب. أما الأصحاب فظاهر، لأنهم سلفنا، وقد أمرنا بالترضي عنهم، ونهينا عن لعنهم. وأما الآل فلقوله ﷺ: لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء. قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال: تقولون: اللهم صل على محمد، وتمسكون. بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. ذكره الفاسي وغيره»[1].

فانظر إليه كيف استدل على استحباب إلحاق الصحابة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أمر الصلاة، ومشاركتهم للآل في هذه الكرامة، بأنهم سلفنا، وقد أمرنا بالترضي عنهم، ونهينا عن لعنهم.

مع أن ما ذكره من الوجه ـ لو تم ـ إنما يصلح دليلاً على استحباب الترضي عن الصحابة، وحرمة لعنهم، كما هو الحال في كل مؤمن، ولا ينهض دليلاً على المدعى، وهو استحباب إلحاقهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة عليه، كالآل. ولا سيما مع اقتصار الأحاديث الشارحة للصلاة

← شرعه الله من الصلاة عليهم ووجه الدلالة على إيجاب ذلك في الصلاة. حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ١ : ٨. الصواعق المحرقة ٢ : ٤٣٠ الباب الحادي عشر في فضائل أهل البيت النبوي: الفصل الأول في الآيات الواردة فيهم. ينابيع المودة ١ : ٣٧، ٢ : ٤٣٤.

(١) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ١ : ٨.

عليه صلى الله عليه وآله وسلم والناهية عن الصلاة البتراء على آله عليهم السلام، من دون ذكر للصحابة فيها.

تفسير الطحطاوي للآل في حديث الصلاة البتراء

وأطرف من ذلك أن الطحطاوي ضاق ذرعاً بحديث الصلاة البتراء الذي ذكره، لما فيه من تمييز أهل البيت (صلوات الله عليهم) بكرامة لا يشركهم فيها غيرهم، فصرف الحديث عنهم عليهم السلام إلى الأمة أجمع حتى الفساق منهم.

قال بعد الكلام السابق بلا فصل: «والمراد بالآل هنا سائر أمة الإجابة مطلقاً. وقوله صلى الله عليه وسلم: آل محمد كل تقي. حمل على التقوى من الشرك. لأن المقام للدعاء»[1].

ولنا أن نسأل الطحطاوي عن أنه إذا كان المراد بالآل ذلك، فلماذا إذاً إلحاق الصحابة بهم؟

ولماذا احتاج للاستدلال على إلحاقهم بما سبق؟ أو ليسوا هم من أمة الإجابة؟

ثم لماذا يصرُّ بعد ذلك هو والجمهور على الصلاة البتراء، ولا يلحقون الآل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة مقتصرين عليهم، كما تضمنه الحديث الذي ذكره؟! أليس ذلك من أجل أن يتجنبوا تمييز أهل البيت (صلوات الله عليهم) بكرامة تثقل عليهم؟

كل ذلك لأنهم فهموا من الآل خصوص أهل البيت (صلوات الله عليهم)، لا سائر أمة الإجابة، حتى الفساق منهم.

---

(١) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ١ : ٨.

ونعود فنقول: الحديث عن أسباب تشبث الجمهور بالصحابة وإضفاء طابع القدسية عليهم والدواعي التي أدت إلى ذلك طويل متشعب. لا يسعنا استيعابه في هذه العجالة. وقد أفاض فيه علماء الشيعة وكتابهم، فليرجع إليه من يهمه الوصول للحقيقة.

كلام لأمير المؤمنين عليه السلام حول اختلاف الناس في الحديث النبوي

إلا أنه يحسن ذكر شيء من ذلك. فقد سأل سائل أمير المؤمنين عليه السلام عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر.

فقال عليه السلام: «إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً. ولقد كُذِّبَ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده، حتى قام خطيباً، فقال: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال، ليس لهم خامس: رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمداً. فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه، ولم يصدقوا قوله. ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رأى، وسمع منه، ولقف عنه، فيأخذون بقوله. وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك. ثم بقوا بعده (عليه وآله السلام)، فتقربوا إلى أئمة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولوهم الأعمال، وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا، إلا من عصم الله...»[1].

---

(١) نهج البلاغة ٢ : ١٨٨ ـ ١٨٩، واللفظ له. وقد ذكر المهم من هذا الكلام مع اختلاف يسير سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص من طريق الشعبي ومن طريق كميل بن زياد : ١٤٢-١٤٣. ينابيع المودة ٣ : ٤٠٩ ـ ٤١٠.

حديث ابن أبي الحديد حول المنافقين ونشاطهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال ابن أبي الحديد تعقيباً على الكلام المذكور: «واعلم أن هذا التقسيم صحيح. وقد كان في أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منافقون، وبقوا بعده. وليس يمكن أن يقال: إن النفاق مات بموته. والسبب في استتار حالهم بعده أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يزال يذكرهم بما ينزل عليه من القرآن، فإنه مشحون بذكرهم... فلما انقطع الوحي بموته صلى الله عليه وآله وسلم، لم يبق من ينعى عليهم سقطاتهم، ويوبخهم على أعمالهم، ويأمر بالحذر منهم، ويجاهرهم تارة، ويجاملهم تارة. وصار المتولي للأمر بعده يحمل الناس كلهم على كاهل المجاملة، ويعاملهم بالظاهر. وهو الواجب في حكم الشرع والسياسة الدنيوية... ولسكوت الخلفاء عنهم بعده خمل ذكرهم. فكان قصارى أمر المنافق أن يسر ما في قلبه، ويعامل المسلمين بظاهره[1]. ويعاملونه بحسب

(١) كأن ابن أبي الحديد يجهل أو يتجاهل مثل قول حذيفة المتقدم في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة: «إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا يومئذ يسرون، واليوم يجهرون»، وقوله الآخر: «إنما كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان». وكذا قوله: «إنكم اليوم معشر العرب لتأتون أموراً إنها لفي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم النفاق على وجهه» / مسند أحمد ٥ : ٣٩١ حديث حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم، واللفظ له. مجمع الزوائد ١٠ : ٦٤ كتاب المناقب: باب ما جاء في الكوفة.

وقوله الآخر: «إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير منافقاً وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات...» / مسند أحمد ٥ : ٣٩٠ حديث حذيفة اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم، واللفظ له. المصنف لابن أبي شيبة ٧ : ٤٦٠ كتاب الفتن: من كره الخروج في الفتنة وتعوذ عنها. تفسير ابن كثير ٢ : ٣٠٠. الزهد لابن حنبل: ٤٣. حلية الأولياء ١ : ٢٧٩ في ترجمة حذيفة بن اليمان.

كما غفل أو تغافل عن مغزى كلام أمير المؤمنين عليه السلام المتقدم، فإن سؤال السائل عن أحاديث البدع، واختلاف الأخبار، يعرب عن شيوع تلك الأحاديث

←

ذلك. ثم فتحت عليهم البلاد، وكثرت الغنائم، فاشتغلوا بها عن الحركات التـي كانوا يعتمدونها أيام رسـول الله، وبعثهم الخلفـاء مع الأمراء إلى بلاد فـارس والـروم، فألهتهم الدنيا عن الأمـور التي كانت تنقـم منهم في حياة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم من استقام في اعتقاده، وخلصت نيته، لما رأوا الفتوح....

وبالجملـة: لمـا تركـوا تركـوا، وحيـث سـكت عنهـم سـكتوا عـن الإسـلام، وأهله. إلا في دسيسـة خفية يعملونها، نحو الكذب الذي أشـار

← في عـصر أمـير المؤمنـين عليه السلام، بحيـث تناقلها النـاس وظهرت، واختلـط الباطل بالحق فلم يتميز، حتى حير السـائل ودعاه للسـؤال. وجـواب أمير المؤمنين عليه السلام يناسـب تعاون المنافقين مع من سـبقه من الحكام على علم منهم بحالهم، وتنسـيق منهـم معهـم، من دون أن يخفـوا حالهم عنهم. أمـا الأحاديث التـي انتشرت أيام معاويـة، وبجهوده التي يأتي التعـرض لها، فهي متأخرة عن أمير المؤمنين عليه السلام ولم تنتشر في عهده، فلا يحوم السؤال حولها.

ويناسب ما ذكرنا قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلـم دوننـا، كذباً وبغيـاً علينا، أن رفعنـا الله ووضعهم، وأعطانـا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يسـتعطى الهدى، ويسـتجلى العمى» / نهج البلاغة ٢ : ٢٧.

وقـد عقـب ابن أبي الحديد نفسـه عـلى ذلك فقـال: «قوله عليه السلام: أيـن الذين زعموا.... هذا الكلام كناية وإشارة إلى قوم من الصحابة كانوا ينازعونه الفضل، فمنهـم مـن كان يدعى له أنه أفرض، ومنهم من كان يدعى له أنه أقرأ، ومنهم من كان يدعـى لـه أنه أعلم بالحلال والحرام. هذا مع تسـليم هؤلاء له أنه عليه السلام أقضى الأمـة، وإن القضـاء يحتـاج إلى كل هـذه الفضائل، وكل واحدة منهـا لا تحتاج إلى غيرها، فهو إذاً أجمع للفقه وأكثرهم احتواء عليه. إلا أنه عليه السلام لم يرض بذلك، ولم يصـدق الخبر الـذي قيل: أفرضكم فلان إلى آخره. فقـال: إنه كذب وافتراء، حمل قوم على وضعه الحسـد، والبغي، والمنافسة لهذا الحي من بني هاشم أن رفعهم الله على غيرهم، واختصهم دون من سواهم»/ شرح نهج البلاغة ٩ : ٨٦.

إليـه أمير المؤمنين عليه السلام، فإنه خالط الحديث كذب كثير، صدر عن قوم غير صحيحي العقيدة، قصدوا به الإضلال، وتخبيط القلوب والعقائد، وقصد به بعضهم التنويه بذكر قوم كان لهم في التنويه بذكرهم غرض دنيوي. وقد قيل: إنه افتعل أيام معاوية خاصة حديث كثير على هذا الوجه.

ولم يسكت المحدثون الراسخون في علم الحديث عن هذا، بل ذكروا كثيراً من الأحاديث الموضوعة وبينوا وضعها. وأن رواتها غير موثوق بهم. إلا أن المحدثين إنما يطعنون فيما دون طبقة الصحابة. ولا يتجاسرون في الطعن على أحد من الصحابة، لأن عليه لفظ الصحبة[1]. على أنهم قد طعنوا في قوم لهم صحبة، كبسر بن أرطاة وغيره»[2].

كلام للإمام الباقر عليه السلام في الأحاديث النبوية الموضوعة

ثم قال ابن أبي الحديد أيضاً: «وقد روي أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس.

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبض، وقد أخبر أنا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش، حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا. ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد، حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كئود، حتى قتل.

فبويع الحسن ابنه، وعوهد، ثم غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العراق،

---

(١) لكن حديث أمير المؤمنين عليه السلام إنما كان عن الأحاديث التي وضعها وافتراها المنافقون من الصحابة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلابد من كونها قد فاتت على من عبر عنهم بالراسخين في علم الحديث، فرواها المحدثون على أنها حق لا يقبل الشك، لأن رواتها من الصحابة!!

(٢) شرح نهج البلاغة ١١ : ٤١ ـ ٤٢.

حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أمهات أولاده، فوادع معاوية، وحقن دمه ودماء أهل بيته، وهم قليل حق قليل.

ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً، ثم غدروا به، وخرجوا عليه ـ وبيعته في أعناقهم ـ وقتلوه.

ثم لم نزل ـ أهل البيت ـ نستذل، ونستضام، ونقصى، ونمتهن، ونحرم، ونقتل، ونخاف، ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء، وعمال السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله، ليبغضونا إلى الناس.

وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام... وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير ـ ولعله يكون ورعاً صدوقاً ـ يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت، وهو يحسب أنها حق، لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب، ولا بقلة ورع»[1].

رواية للمدائني ونفطويه في الأحاديث النبوية الموضوعة

ثم قال ابن أبي الحديد: «وروى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب «الأحداث»، قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة، وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته... وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم أن انظروا

(١) شرح نهج البلاغة ١١ : ٤٣ ـ ٤٤.

مـن قبلكم من شـيعة عثمان ومحبيه وأهـل ولايته، والذين يـروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسـهم، وقربوهم، وأكرموهم، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم، واسـمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه....

ثـم كتب إلى عمالـه: ان الحديث في عثمان قد كثر وفشـا في كل مصر، وفي كل وجـه وناحيـة. فـإذا جاءكـم كتابي هـذا فادعوا النـاس إلى الرواية في فضائـل الصحابـة والخلفـاء الأولين. ولا تتركـوا خبراً يرويـه أحد من المسـلمين في أبي تـراب إلا وتأتـوني بمناقـض لـه في الصحابـة. فـإن هـذا أحـب إليّ وأقرّ لعيني، وأدحض لـحجة أبي تراب وشـيعته، وأشـد عليهم مـن مناقب عثـمان وفضله. فقرئت كتبـه على الناس. فرويـت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشـادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب، فعلمـوا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسـع، حتـى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونسـاءهم وخدمهم وحشـمهم. فلبثـوا بذلـك ما شـاء الله... فظهر حديـث كثير موضوع، وبهتـان منتشر. ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة.

وكان أعظـم النـاس في ذلك بليـة القراء المـراؤون والمسـتضعفون، الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث، ليحظوا بذلك عند ولاتهـم، ويقربوا مجالسـهم، ويصيبوا به الأموال والضيـاع والمنازل. حتى انتقلـت تلك الأخبـار والأحاديث إلى أيدي الديانين، الذين لا يسـتحلون الكذب والبهتان، فقبلوها، ورووها، وهم يظنون أنها حق. ولو علموا أنها باطلة لما رووها، ولا تدينوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الإمام الحسـن بن علي عليه السلام، فازداد

البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض، ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام،وولي عبدالملك بن مروان،فاشتد على الشيعة،وولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة أعدائه، وموالاة من يدعي من الناس أنهم أيضاً أعداؤه، فاكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغض من علي عليه السلام وعيبه والطعن فيه، والشنآن له.

وقد روى ابن عرفة، المعروف بنفطويه ـ وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم ـ في تاريخه ما يناسب هذا الخبر. وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية، تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم»[1].

كلام الإسكافي:

ويناسب ذلك ما ذكره الإسكافي:

قال ابن أبي الحديد أيضاً: «وذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي رحمه الله تعالى.. .أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير.

روى الزهري أن عروة بن الزبير حدثه، قال: حدثتني عائشة، قالت: كنت عند رسول الله، إذ أقبل العباس وعلي، فقال: ياعائشة إن هذين يموتان على غير ملتي، أو قال: غير ديني، وروى عبد الرزاق عن

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١: ٤٤ـ٤٦.

معمر، قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي عليه السلام، فسألته عنهما يوماً، فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما؟! الله أعلم بهما . إني لأتهمهما في بني هاشم.

قال : فأما الحديث الأول فقد ذكرناه . وأما الحديث الثاني فهو أن عروة زعم ان عائشة حدثته، قالت: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل العباس وعلي ، فقال : ياعائشة إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا، فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب...»[1].

ثم قال بعد كلام طويل «قال أبو جعفر وروى الأعمش قال: لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلعته مراراً، وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أني أكذب على الله و على رسوله وأحرق نفسي بالنار؟! والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ان لكل نبي حرماً ، وان حرمي بالمدينة وما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيه حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها . فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه، وولاه إمارة المدينة...»[2].

ويشهد بذلك في الجملة تصفح كلمات غيرهم، والنظر لواقع الأحاديث الكثيرة وتصفحها بإمعان وتدبر في القرائن المشاهدة بكذبها. وربما يأتي في حديثنا هذا مايناسب ذلك.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤ ص : ٦٣، ٦٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ٤ ص ٦٧.

نصيب الصحاح من ذلك

وربما يدعي المدعي أن ذلك لا يعم ما وجد في الصحاح. لكنه ليس كذلك. فقد قال ابن أبي الحديد: «وأما عمرو بن العاص فروي عنه الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء. إنما وليي الله وصالح المؤمنين»[١].

نعم يبدو أن بشاعة الحديث، مع ما استحكم في نفوس المتأخرين من الجمهور من عدالة الصحابة، حتى مثل عمرو بن العاص، وتعظيمهم الصحيحين، كل ذلك بمجموعه اضطرهم إلى حذف كلمة (طالب) وجعل موضعها بياضاً أو إثبات (فلان) بدلها. ولابن حجر العسقلاني كلام طويل حول ذلك. فليراجع[٢].

ويأتي في جواب السؤال الثامن إن شاء الله تعالى بقية من الكلام عن تلك الصحاح.

ويزيد في تحفظنا على أحاديث الجمهور ما تبنوه من ضوابط في الجرح والتعديل تتناسب مع مواقفهم من أهل البيت (صلوات الله عليهم)، ومن مناوئيهم. ويأتي ما ينفع في المقام، خصوصاً في جواب السؤال الثامن إن شاء الله تعالى. وقد أطال أصحابنا (رضوان الله عليهم) في ذلك، فليرجع الباحث لما ذكروه إن أراد.

وإنما ذكرنا ما ذكرنا لنبدي تحفظنا على حديث أهل بدر، من دون ردّ له ولا إنكار. لأن الإنكار لابد له من دليل، كالإثبات، بخلاف التحفظ،

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤ : ٦٤. وذكره أيضاً تعقيباً على كلام أمير المؤمنين عليه السلام المتقدم ١١ : ٤٢.

(٢) فتح الباري ١ : ٣٣١ في المقدمة.

فإنه يكفي فيه ما مُني به الحديث من الظروف والسلبيات، التي تقدم التعرض لبعضها.

متن الحديث الوارد في أهل بدر

وعلى كل حال فالكلام حول هذا الحديث لا يحسن إلا بعد ذكر متنه. وقد روي بصور متقاربة، نثبت منها ما رواه مسلم، بسنده عن عبيد الله بن أبي رافع، قال: «سمعت علياً ﷺ وهو يقول: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: ائتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها، فانطلقنا... فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ قال: لا تعجل عليّ يا رسول الله. إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش... وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببت ـ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم ـ أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام.

فقال النبي ﷺ: صدق. فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك؟ لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم.

فأنزل الله عز وجل ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾»[1].

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ١٩٤١ كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم : باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، وقصة حاطب بن أبي بلتعة.

التعقيب على الحديث المذكور

وحينئذٍ نقول:

١ ـ الحديث ـ كما ترى ـ لا يتضمن ردع عمر عن الطعن على حاطب، وإنكار عمله، الذي هو محل الكلام في المقام، وإنما تضمن ردعه عن رميه لحاطب بالنفاق، ومحاولة قتله، بعد أن قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حاطب عذره، وصدقه في نفي النفاق عن نفسه، كما هو صريح الحديث المتقدم.

القرآن المجيد قد تضمن الإنكار على حاطب

كيف؟! وقد أنكر الله تعالى على حاطب في المناسبة المذكورة، فنزل قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُمْ مِنْ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ... قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ... لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1].

فيا ترى هل أعلن الله سبحانه تأنيبه والإنكار عليه بما عمل في كتابه المجيد، الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار، ثم لا يرضى من المسلمين تأنيبه

---

(١) سورة الممتحنة الآية: ١، ٤، ٦.

والإنكار عليه؟!. اللهم إلا أن يتوب. وهو أمر آخر خارج عن محل الكلام.

٢ ـ وإنما أنكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عمر محاولة قتله، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم يرى أنه لا يستحق القتل، أو لأنه عفا عنه. لا لأن أهل بدر لا يعاقبون على ذنوبهم في الدنيا. فإن ذلك أمر لا يلتزم به أحد.

وقد رووا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقام الحدّ على مسطح بن أثاثة في قضية الإفك[1].

كما تقدم في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة أن عمر بن الخطاب أقام الحدّ على قدامة بن مظعون. وكلاهما من أهل بدر[2].

الحديث لا يتضمن القطع بالسلامة والنجاة لأهل بدر

٣ ـ وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فإني قد غفرت لكم». فهو لا يتضمن القطع لهم بالسلامة، بل رجاءها. ورجاء السلامة لا يمنع من الطعن عليهم بما يستحقون نتيجة

---

(١) مسند أبي يعلى ٨ : ٣٣٨. السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ٢٥٠ كتاب المرتد: باب ماجاء في حد قذف المحصنات. سبل السلام ٤ : ١٥ كتاب الحدود: باب حدّ القذف. تفسير القرطبي ١٢: ٢٠١ـ٢٠٢. تفسير ابن كثير ٣ : ٢٧٢. فتح الباري ١٣ : ٣٤٢. تحفة المحتاج ٢ : ٤٨٠. تاريخ الطبري ٢ : ١١٤ حديث الإفك.

(٢) تفسير القرطبي ٦ : ٢٩٧. المستدرك على الصحيحين ٣ : ٤٢٦ كتاب معرفة الصحابة: ذكر مناقب قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي رضي الله عنه. المعجم الكبير ١٩ : ٣٧ من اسمه قدامة: قدامة بن مظعون الجحمي بدري. فتح الباري ٧ : ٣٠٦ سير أعلام النبلاء ١ : ١٦١ في ترجمة قدامة بن مظعون. الطبقات الكبرى ٣ : ٤٠١ في ترجمة قدامة بن مظعون. الإصابة ٥ : ٤٢٣ في ترجمة قدامة بن مظعون. تهذيب الأسماء ٢ : ٣٧١ في ترجمة قدامة بن مظعون. الاستيعاب ٤ : ١٤٧٢ في ترجمة مسطح بن أثاثة. المقتنى في سرد الكنى ١ : ٣٤٠ في ترجمة أبي عباد مسطح بن أثاثة. سير أعلام النبلاء ١ : ١٨٧ في ترجمة مسطح بن أثاثة. مشاهير علماء الأمصار : ١٢ في ترجمة مسطح بن أثاثة. الثقات ٣ : ٣٨٣ في ترجمة مسطح بن أثاثة. وغيرها من المصادر.

أعمالهم. فإن المتجاهر بالفسق ـ الذي لا إشكال في جواز ذمّه والطعن عليه ـ لا يقطع عليه بالهلاك، فإن رحمة الله وسعت كل شيء، وهو الغفور الرحيم.

٤ ـ أما حمل الحديث على القطع بالسلامة فهو تكلف لا شاهد له. ولا يدعو له إلا تسالم الجمهور من السنة على استقامة الصحابة وسلامتهم، التي هي محل الكلام هنا. فلا معنى لأن يستدل عليهما بالحديث المذكور.

بل كيف يمكن أن يعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياتهم القطع بسلامتهم؟!

إعلان القطع بسلامة أهل بدر إغراء بالقبيح

أولاً: لما في ذلك من الإغراء بالقبيح، نظير ما تقدم في الحديث عن آية السابقين الأولين.

وإذا أردت أن تستوضح ذلك فانظر إلى ما رواه البخاري بسنده عن فلان، قال: «تنازع أبو عبد الرحمن وحبان بن عطية، فقال أبو عبد الرحمن لحبان: لقد علمت ما الذي جرأ صاحبك على الدماء. يعني علياً. قال: ما هو، لا أبا لك؟ قال: شيء سمعته يقوله. قال: ما هو؟ قال: بعثني رسول الله ﷺ والزبير وأبا مرثد، وكلنا فارس... فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين، دعني فأضرب عنقه... قال: صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً. قال: فعاد عمر، فقال: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين. دعني فلأضرب عنقه. قال: أو ليس هو من أهل بدر؟ وما يدريك، لعل الله اطلع عليهم، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد أوجبت لكم الجنة، فاغرورقت عيناه، فقال: الله ورسوله أعلم»[1].

---

(١) صحيح البخاري ٦ : ٢٥٤٢ ـ ٢٥٤٣ كتاب استتابة المرتدين المعاندين وقتالهم: باب ما جاء في المتأولين حديث: ٦٥٤٠.

فإنـا وإن كنا نعتقد أن أمير المؤمنـين عليه السلام لم يرق الدماء إلا بحق، بل كان يرى وجوب الدخول في تلك الحروب، كما صرح بذلك كثيراً[1]، لأنهم مفسدون، وبغاة يجب قتالهم بحكم الكتاب المجيد ولعهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بذلك. وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم الأمر بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين[2].

إلا أن المحاورة المذكورة تكشف عن أن الناس ترى أن هذا الحديث ـ وإن كان بلسان الرجاء والاحتمال ـ يعرض الأمة لإراقة الدماء الكثيرة.

---

(١) يحسن هنا أن نثبت ما رواه نصر بن مزاحم وغيره في أحداث واقعة صفين بعد أن اشتدت الحرب وأنهكت الطرفين، قال: «وخرج رجل من أهل الشام ينادي بين الصفين: يا أبا الحسن ياعلي ابرز إلي، قال: فخرج إليه علي حتى إذا اختلف أعناق دابتيهما بين الصفين، فقال: ياعلي إن لك قدماً في الإسلام وهجرة فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء وتأخير هذه الحروب حتى ترى من رأيك، فقال له علي: وماذاك ؟ قال ترجع إلى عراقك فنخلي بينك وبين العراق ونرجع إلى شامنا فتخلي بيننا وبين شامنا. فقال له علي: لقد عرفت إنما عرضت هذا نصيحة وشفقة ولقد أهمني هذا الأمر وأسهرني وضربت أنفه وعينيه فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد (صلى الله عليه) إن الله تبارك وتعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون لايأمرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون علي من معالجة الأغلال في جهنم»/ وقعة صفين : ٤٧٤، واللفظ له. شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٠٧ ـ ٢٠٨. الأخبار الطوال : ١٨٧ ـ ١٨٨. ينابيع المودة ٢ : ٨ ـ ٩. وقريب منه في حلية الأولياء ١ : ٨٥ في ترجمة علي بن أبي طالب، والاستيعاب ١ : ٤١١ في ترجمة حوشب بن طخية الحميري، وتاريخ دمشق ٣٧ : ٢٩١ في ترجمة عبدالواحد، وأسد الغابة ٢ : ٦٣ في ترجمة حوشب بن طخية.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٥٠ كتاب معرفة الصحابة: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. مجمع الزوائد ٥ : ١٨٦ كتاب الخلافة: باب الخلفاء الأربعة، ٧ : ٢٣٨ كتاب الفتن: باب فيما كان بينهم في صفين. مسند أبي يعلى ١ : ٣٧٩ في مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه. مسند البزار ٢ : ٢١٥ فيما روى علقمة بن قيس عن علي، ٣: ٢٧ فيما روى علي بن ربيعة الأسدي عن علي ابن أبي طالب. مسند الشاشي ٢ : ٣٤٢ فيما روى علقمة بن قيس عن عبدالله بن مسعود. المعجم الكبير ١٠ : ٩١ فيما رواه علقمة بن قيس عن عبدالله بن مسعود.

وإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام منزهاً عن ذلك ـ لما سبق، ولعصمته عندنا ـ فما هو المؤمّن من غيره من ذوي النزعات البشرية المتعارفة، خصوصاً إذا سولت لهم أنفسهم، ومنَّتهم أن ذلك وعد قاطع، لا يقبل الشك.

القطع بسلامة أهل بدر لا يتناسب مع مواقفهم

وثانياً: لأن ذلك لا يتناسب مع موقف بعض أهل بدر في الواقعة وموقف القرآن الكريم منهم، وتعريضه بمواقف بعضهم وتأنيبه عليها، كما تقدم في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة عند الكلام في موقف الكتاب المجيد من الصحابة. فلاحظ.

بل عن الزبير بن بكار أنه قال: «تسمية أصحاب العقبة: معتب ابن قشير بن مليل من بني عمرو بن عوف شهد بدراً، وهو الذي قال: يعدنا محمد كنوز كسرى و قيصر، وأحدنا لا يأمن على خلائه. وهو الذي قال: لوكان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا»[1].

بل ذكر غير واحد أن ثعلبة بن حاطب من أهل بدر[2]، كما ذكروا أيضاً أنه هو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾[3].

---

(١) المعجم الكبير ٣ ص ١٦٦ في تسمية أصحاب العقبة، واللفظ له، مجمع الزوائد ١ ص :١١١ كتاب الإيمان : باب منه في المنافقين. تهذيب الكمال ٥ ص : ٥٠٣ في ترجمة حذيفة بن اليمان. وقريب منه في تفسير القرطبي ١٤ ص : ١٣٣.

(٢) الثقات لابن حبان ٣: ٤٦ ، أسد الغابة ١: ٢٢٧ ، الجرح والتعديل للرازي ٢: ٤٦١.

(٣) سورة التوبة ٧٥ـ٧٧، أسباب النزول : ١٧٠، المعجم الكبير ٨: ٢١٨، اسد الغابة ١: ٢٢٧، مجمع الزوائد ٧: ٣١، الدر المنثور ٣: ٢٦.

وثالثاً: لأن ذلك لا يتناسب مع مواقف الصحابة أنفسهم من أهل بدر، كما يتضح باستعراض التاريخ، وقد تقدم في جواب السؤال الثاني من الأسئلة المتقدمة ما يشهد به.

لابد من تقييد الحديث بغير الذنوب الموبقة

٥ ـ ولو فرض ظهور الحديث بدواً في القطع لهم بالسلامة، فلابد من تقييده بغير الذنوب الموبقة المهلكة، كالارتداد، والنفاق، والرد لحكم الله تعالى، والبدعة في الدين، ونحوها. حيث لا يظن بأحد البناء على أن مثل هذه الذنوب مغفورة لأهل بدر. وإنما يقطع الجمهور لهم بالسلامة إما لدعوى عدم صدور مثل هذه الذنوب منهم، أو لأنه يختم لهم بالتوبة. وكلا الأمرين لا يدل عليه الحديث، وإنما المدعى دلالته على مغفرة ذنوبهم حين وقوعها، بل قبله.

وبعد تقييد الحديث بغير الذنوب المهلكة لا يصلح دليلاً على عدم وقوع مثل هذه الذنوب، ولا على حصول التوبة منها. إلا أن يثبت ذلك من دليل آخر.

القرآن المجيد تضمن تهديد حاطب بما لا يناسب القطع بالسلامة

٦ ـ على أن قوله تعالى المتقدم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1] دال على أن عمل حاطب المذكور معرض له للهلاك إذا لم يتب منه.

لظهوره في أن من يرجو الله واليوم الآخر لابد له من أن يتأسى بإبراهيم عليه السلام ومن معه في البراءة من الكفار ومباينتهم، وأن عدم التأسي بهم من شأن من لا يرجو الله واليوم الآخر، الذي لا إشكال في هلاكه. بل في

---

(١) سورة الممتحنة الآية: ٦.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ من التهديد ما لا يخفى.

كما أن قوله سبحانه: ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1] ظاهر في ردّ اعتذار حاطب ورفضه، والتشديد في الإنكار عليه وتهديده، وهو لا يناسب القطع بالمغفرة له. بل ولا بيان الرجاء لها ـ الذي تضمنه الحديث ـ مع صدور الذنب المذكور منه.

٧ ـ وحيث كانت الآيات المذكورة قد نزلت بعد كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم المتقدم، فلابد من حمل الكلام المذكور، إما على جهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأهمية الذنب الذي صدر من حاطب ـ وحاشاه صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك ـ وأن الله سبحانه رفع بالآيات الشريفة الوهم الذي حصل.

وإما على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يكبح جماح عمر واندفاعه، ويكفه عن التدخل في شؤونه صلى الله عليه وآله وسلم، وما يسببه له من إحراج، فصدمه بذلك، وهو عالم بشدة جريمة عمل حاطب، وتعرضه به للخطر.

فاختر أي الأمرين شئت.

أما نحن فنرى في الآيات الكريمة مبرراً منطقياً للتشكيك في متن الحديث، واحتمال التحريف المتعمد أو غير المتعمد فيه، إن تم سنداً، ودلالة.

الكلام في الأحاديث المشابهة لحديث حاطب

٨ ـ ومنه يظهر الحال في الحديث الآخر. وهو ما رواه أبو هريرة، قال: «ثم إن رجلاً من الأنصار عمي، فبعث إلى رسول الله ﷺ أن تعال فاخطط في داري مسجداً، أتخذه مصلى. فجاء رسول الله ﷺ، واجتمع إليه قومه، وبقي رجل منهم، فقال رسول الله ﷺ: أين فلان، فغمزه بعض

---

(١) سورة الممتحنة الآية: ٣.

القـوم: إنه، وإنه. فقال رسـول الله ﷺ: أليس قد شـهد بـدراً. قالوا: بلى يا رسول الله، ولكنه كذا وكذا.

فقال رسـول الله ﷺ: لعل الله اطلع على أهل بـدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[1].

فإن الحديث ـ مع الغض عن سنده ـ غير ظاهر في القطع لأهل بدر بالسلامة. كما أنه لا يناسب الآية الشريفة المتقدمة. وربما كان قد صدر قبل نزولها، فيجري فيه ما سبق.

٩ ـ ومثلـه الحديـث الآخر عـن جابر: «ثم إن عبـداً لحاطب جاء إلى رسـول الله ﷺ يشكو حاطباً. فقال: يا رسول الله إنه ليدخل حاطب النار. فقال رسول الله ﷺ: كذبت، إنه لا يدخلها، إنه شهد بدراً والحديبية»[2].

حيـث لا يمكـن البناء عـلى أن فضيلة بدر والحديبيـة توجب غفران جميـع الذنـوب حتـى المهلكة. فضـلاً عـن أن يعلـن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقطع بذلك، مع ما فيه من الإغراء بالقبيح.

فلابـد من حمله على الإنكار على العبـد في قطعه على حاطب بدخول النار، مع أنه قد شـهد الواقعتين المذكورتين. حيث قد يوجب ذلك غفران الذنب الذي شكى منه العبد، وقطع من أجله بدخول حاطب النار.

تأويل حديث حاطب بما يناسب الحكمة والمنطق

١٠ ـ وربـما تـؤول مثـل هـذه الأحاديـث ـ لـو تمـت أسـانيدها ومتونها ـ تأويلاً يتناسـب مع مقتضيات الحكمة، ومع ما يظهر من الكتاب

---

(١) صحيـح ابـن حبان ١١ : ١٢٣ حديث:٤٧٩٨ باب فـرض الجهاد: غزوة بدر: ذكر الخبر الدال على أن ذنوب أهل بدر التي عملوها بعد يوم بدر غفرها الله لهم بفضله وطلحة والزبير منهم.

(٢) صحيـح ابن حبـان ١١ : ١٢٢ حديث: ٤٧٩٩ باب فرض الجهاد: غزوة بدر: ذكر نفي دخول النار نعوذ بالله منها عمن شهد بدراً والحديبية.

العزيز والسنة الشريفة، من التركيز والتأكيد على التذكير والتحذير والتقريع، منعاً من تسويل النفس، والركون لجانب الرجاء، ركوناً يشجع على ارتكاب المحارم، وانتهاك حدود الله تعالى، وينتهي بالآخرة إلى الأمن من مكر الله تعالى، وما يترتب عليه من محاذير.

وحاصل هذا التأويل: أن المراد بيان أهمية الجهاد في بدر وعظيم فضيلته، وأنه قد يكون سبباً في غفران ذنوب أهل بدر التي سبقت الواقعة بملاك: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[1]، وأنه يقال لهم: استأنفوا العمل بعد ذلك من خير أو شر، فقد كفيتم ما مضى، وغفر لكم، فاختاروا لأنفسكم فيما بعد ما شئتم.

نظير ما ورد في الحج من أنه يقال للحاج: استأنف العمل فقد غفر لك[2].

وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «قال: من حج لله، فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[3].

والغرض من بيان ذلك التنبيه إلى أن صاحب مثل هذه الفضيلة حقيق بأن يعفو النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مثل هذه الشطحة منه، استصلاحاً له، أو أن يغفر الله تعالى بعض ذنوبه، أو نحو ذلك، من دون إعلان القطع له بالسلامة.

---

(١) سورة هود الآية: ١١٤.

(٢) راجع وسائل الشيعة ٨ باب: ٣٨ من أبواب وجوب الحج وشرائطه.

(٣) صحيح البخاري ٢ : ٥٥٣ كتاب الحج باب فضل الحج المبرور، واللفظ له. صحيح مسلم ٢ : ٩٨٤ كتاب الح باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة. صحيح ابن خزيمة ٤ : ١٣١ كتاب المناسك: باب فضل الحج الذي لا رفث فيه ولا فسوق فيه وتكفير الذنوب والخطايا به. صحيح ابن حبان ٩ : ٧ كتاب الح باب فضل الحج والعمرة: ذكر مغفرة الله جل وعلا ما تقدم من ذنوب العبد بالحج الذي لا رفث فيه ولا فسوق. مسند ابن الجعد: ١٤١ في بقية حديث شعبة عن منصور. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

تحوير كثير من الأحاديث عمداً أو جهلا

وكثيراً ما تحوّر الأحاديث الشريفة عن معانيها المرادة منها، نتيجة الجهل بالقرائن المحيطة بالكلام، أو التضليل المتعمد.

نظير ما تضمنه حديث محمد بن مارد: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: حديث روي لنا أنك قلت: إذا عرفت (يعني: إذا عرفت الإمام) فاعمل ما شئت. فقال: قد قلت ذلك.

قال: قلت: وإن زنوا أو سرقوا أو شربوا الخمر؟

فقال لي: إنا لله وإنا إليه راجعون. والله ما انصفونا أن نكون أخذنا بالعمل، ووضع عنهم. إنما قلت: إذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير وكثيره، فإنه يقبل منك»(١).

ورود القطع بالسلامة في كثير من الأمور غير واقعة بدر

١١ ـ على أنه قد ورد القطع بالسلامة في كثير من العقائد الحقة وأعمال الخير، ففي حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «فقال: ما من عبد قال: لا إله إلا الله. ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: وإن زنى وإن سرق. على رغم أنف أبي ذر»(٢). ونحوه كثير(٣).

---

(١) وسائل الشيعة ١ : ٨٧ باب: ٢٨ من أبواب مقدمة العبادات حديث:٢.

(٢) صحيح البخاري ٥ : ٢١٩٣ كتاب اللباس: باب الثياب البيض.

(٣) صحيح البخاري ١ : ٤١٧ كتاب الجنائز: باب في الجنائز، ٥ : ٢٣١٢ كتاب الاستئذان: باب من أجاب بلبيك وسعديك، ص: ٢٣٦٦ كتاب الرقاق: باب ماقدم من ماله فهو له. صحيح مسلم ١ : ٩٤ ، ٩٥ كتاب الإيمان: باب من مات لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار، ٢ : ٦٨٧، ٦٨٨ كتاب الزكاة : باب الترغيب في الصدقة. سنن الترمذي ٥ : ٢٧

←

وفي حديث عمر عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما منكم من أحد يتوضأ، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»[(١)].

وفي حديث عبادة بن الصامت: «أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: خمس صلوات افترضهن الله. من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن، كان له على الله عهد أن يغفر له. ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه»[(٢)]. ونحوه غيره[(٣)].

← كتاب الإيمان: باب ماجاء في افتراق هذه الأمة. السنن الكبرى للنسائي ٦ : ٢٧٦ كتاب عمل اليوم والليلة: باب مايقول عند الموت. مسند أحمد ٥ : ١٦٦ حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه. مسند أبي عوانة ١ : ٢٨ كتاب الإيمان: بيان الأعمال والفرائض التي إذا أداها بالقول والعمل دخل الجنة والدليل على أنه لاينفعه الإقرار حتى يستيقن قلبه ويريد به وجه الله بما يحرم به على النار. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) السنن الكبرى للبيهقي ١ : ٧٨ كتاب الطهارة: جماع أبواب سنة الوضوء وفرضه: باب مايقول بعد الفراغ من الوضوء، واللفظ له. صحيح البخاري ٣ : ١٢٦٧ كتاب الأنبياء: باب قوله :[يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة...]. صحيح مسلم ١ : ٢٠٩ كتاب الطهارة: باب الذكر المستحب عقب الوضوء. صحيح ابن خزيمة ١ : ١١٠ كتاب الوضوء: جماع أبواب فضول التطهير والاستحباب من غير إيجاب: باب فضل التهليل والشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة والعبودية وأن لا يطرى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم.... وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٣ : ٣٦٦ جماع أبواب تارك الصلاة: باب ما يستدل به على أن المراد بهذا الكفر كفر يباح به دمه لا كفر يخرج به عن الإيمان بالله ورسوله إذا لم يجحد وجوب الصلاة.

(٣) سنن أبي داود ١ : ١١٥ كتاب الصلاة: باب في المحافظة على وقت الصلوات. مسند أحمد ٥ : ٣١٧ حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. الأحاديث المختارة ٨ : ٣٢٠ من اسمه عبد الرحمن: عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي. المعجم الأوسط ٩ : ١٢٦ باب الهاء: ذكر من اسمه هاشم. الترغيب والترهيب ١ : ١٤٨، ١٥٧، ١٥٥. تعظيم قدر الصلاة ٢ : ٩٥٣. وغيرها من المصادر.

وفي حديث أبي هريرة: «أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: تعبدالله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا...»[1].

وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قال: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما. والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[2].

وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قال: من أهل بحج أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ووجبت له الجنة»[3].

ولا يمكن البناء على ظاهرها، لأنها لا تناسب أدلة بقية الواجبات

---

(١) صحيح البخاري ٢ : ٥٠٦ كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة، واللفظ له. صحيح مسلم ١ : ٤٤ كتاب الإيمان: باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة. مسند أحمد ٢ : ٣٤٢ مسند أبي هريرة. جامع العلوم والحكم : ٢٠٧. الإيمان لابن مندة ١ : ٢٦٩ ذكر بيعة النبي ﷺ أصحابه على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. الترغيب والترهيب ١ : ٣٠٢.

(٢) صحيح البخاري ٢ : ٦٢٩ أبواب العمرة : باب وجوب العمرة وفضلها، واللفظ له. صحيح مسلم ٢ : ٩٨٣ كتاب الح باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة. صحيح ابن خزيمة ٤ : ١٣١ كتاب المناسك: باب الأمر بالمتابعة بين الحج والعمرة والبيان أن الفعل قد يضاف إلى الفعل لا أن الفعل يفعل فعلا كما ادعى بعض أهل الجهل. السنن الكبرى للبيهقي ٥ : ٢٦١ كتاب الح باب فضل الحج والعمرة. سنن ابن ماجة ٢ : ٩٦٤ باب فضل الحج والعمرة. موطأ مالك ١ : ٣٤٦ كتاب الح باب جامع ما جاء في العمرة. مسند أحمد ٣ : ٤٤٧ حديث عامر بن ربيعة. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٣) سنن الدارقطني ٢ : ٢٨٣ كتاب الحج، واللفظ له. السنن الكبرى للبيهقي ٥ : ٣٠ كتاب الح باب فضل من أهل من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام. سنن أبي داود ٢ : ١٤٣ أول كتاب المناسك: باب في المواقيت. المعجم الأوسط ٦ : ٣١٩. الترغيب والترهيب ٢ : ١٢١. وغيرها من المصادر الكثيرة.

والمحرمـات، وأدلة الوعيد من الكتاب المجيد والسـنة الشريفة. فلابد من تأويلها، ولا سـيما بالإضافة إلى الاسـتقامة وحسـن الخاتمة، حيث لا ريب في كونهـما شرطـاً في النجاة والفوز بالنعيم الخالد. ومـا يجري فيها يجري في أحاديث أهل بدر المتقدمة. كما لا يخفى.

الأحاديث المذكورة تخص أهل بدر دون بقية السابقين الأولين

١٢ ـ وفي الختـام: الحديـث المذكـور مختـص بأهل بـدر، لخصوصية في واقعـة بـدر، لا لأنهـم من السـابقين الأولـين، فكيف يسـاق دليلاً على تحديد الموقف من جميع السابقين الأولين بالمعنى الذي يريده عامة الناس؟! ولاسـيما مـع ما سـبق مـن عـدم تحديدهـم بنحـو دقيـق، لا يقبـل الزيادة والنقصان.

ونأمل أن يكون حديثنا هذا وافياً بالجواب عن سؤالك.

ومن الله سبحانه وتعالى نستمد التوفيق والتسديد. وهو الهادي إلى سواء السبيل.

❑س٢ لا ننكر بأن الصحابة (السابقين الأولين) قد تجتاحهم النزعات الشخصية، وقد يتسلط على أحدهم مصلحة ما، وقد يغبطون بعضهم بعضاً، وهذه القضايا يستحيل القول بأن الصحابة منزهون عن هذه النزعات البشرية، ومع ذلك نرى أن الله تعالى قد رضي عنهم مع حصول وصدور ذلك منهم. وليس الترضي مؤقتاً بزمن النبي(ص)، بل هو عام مطلق، ولا يستثنى منهم أحداً إلا بنص شرعي خاص.

فلماذا لا يؤول علماء الشيعة حال أبي بكر وعمر وعثمان، وتوليهم الخلافة في حياة علي ابن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين)، بأن فعلهم ـ أي الخلفاء الثلاثة الأول ـ من قبل هذه النزعات غير المؤاخذ عليها شرعاً، أوغيرها من الأمور التي ارتضوها فيما بينهم في توليهم للخلافة. مع اعتقاد الشيعة بأن الأحقية لعلي(رض)،

ج: يحسن التعرض في جواب ذلك لأمور..

الأمر الأول:أن الله سبحانه وتعالى إنما ترضى عن الصحابة

بخصوصهم في موضعين:

أولهما: في آية السابقين الأولين والذين اتبعوهم بإحسان. وقد تقدم الكلام فيها، فلا نعيد.

الكلام في آية بيعة الرضوان

ثانيهما: في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً* وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[1].

وقد ظهر مما سبق من الحديث عن الآية الأولى أن إخبار الله تعالى برضاه عمن بايع بيعة الشجرة لا يدل على بقاء رضاه عنهم حتى النهاية مهما قاموا به بعد ذلك من أعمال.

ويؤكد ذلك في المقام أمران:

الآية الكريمة لم تتضمن إطلاق الرضا، بل بيان سببه

الأول: أن الآية الكريمة لم تتضمن إطلاق الرضا عنهم، بل تضمنت بيان منشأ الرضا وسببه، وهو بيعتهم تحت الشجرة، وأنه تعالى قد رضي عنهم بسبب استجابتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما طلب البيعة منهم.

ومن الظاهر أن ذلك لا ينافي غضبه عليهم إذا عصوه، وكيف يفهم مع ذلك التأبيد في الرضا؟!

تضمن بعض الآيات اشتراط السلامة بالوفاء بالبيعة

الثاني: أن الله سبحانه قد صرح في نفس السورة بأن البيعة المذكورة التي هي سبب الرضا لا تكفي في النجاة إلا مع الوفاء، فقال عز من قائل:

---

(١) سورة الفتح الآية: ١٨ ـ ١٩.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[١].

وهذا صريح في دوران رضا الله تعالى عنهم، وثوابه لهم، وغضبه عليهم، وعقابه إياهم، مدار طاعتهم له جل شأنه ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومعصيتهم لهما، وأنهم إن وفوا فازوا، وإن زاغوا ونكثوا خسروا وأضروا أنفسهم. وهو عين ما تقوله الشيعة في الصحابة.

بل الذي ذكره أهل الحديث والمؤرخون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بايعهم على أن يقاتلوا المشركين، ولا يفروا[٢].

والظاهر أن المراد أن لا يفروا في جميع حروبهم، لا في خصوص غزوة الحديبية، ولذا اشترط الله تعالى عليهم الوفاء في الآية المتقدمة، مع أن غزوة الحديبية لم يقع فيها حرب، وسورة الفتح نزلت بعد صلح الحديبية.

كما يناسبه أيضاً تذكير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم بهذه البيعة في واقعة حنين،

---

(١) سورة الفتح الآية: ١٠.

(٢) صحيح مسلم ٣ : ١٤٨٣، ١٤٨٥ كتاب الإمارة : باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة. صحيح ابن حبان ١٠ : ٤١٥ حديث: ٤٥٥١ باب بيعة الأئمة وما يستحب لهم: ذكر البيان بأن البيعة إنما يجب أن تقع على الإمام من الناس من الأحرار منهم دون العبيد، ١١ : ٢٣١ حديث:٤٨٧٥ باب المواعدة والمهادنة:ذكر وصف العددالذي كان مع المصطفى ﷺ عام الحديبية. مسند أبي عوانة ٤ : ٤٢٧، ٤٣٠ باب الأخبار الموجبة طاعة الأمير الذي يؤمره الإمام وأن من أطاعه فقد أطاع الإمام: بيان صفة بيعة الإمام والسنة فيها وإباحته التعرب بعد الهجرة وبعد الفتح وبيان السنة في حفظ الهجرة والبيعة. سنن الترمذي ٤ : ١٤٩ كتاب السير عن رسول الله ﷺ : باب ما جاء في بيعة النبي ﷺ. السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ١٤٦ كتاب قتال أهل البغي: جماع أبواب الرعاة: باب كيفية البيعة. مسند أحمد ٣: ٣٥٥ في مسند جابر. تفسير الطبري ٢٦ : ٨٦. تفسير ابن كثير ٤ : ١٨٧. التمهيد لابن عبد البر ١٢ : ١٤٩. السيرة النبوية لابن هشام ٤ : ٢٨٣ في (بيعة الرضوان). وغيرها من المصادر.

حيث صاح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالناس: «يا أهل سورة البقرة، يا أهل بيعة الشجرة...»[١].

وعلى ذلك يكون فرار جماعة منهم في غزوة خيبر، وفرار أكثرهم في غزوة حنين نكثاً لتلك البيعة، رافعاً لرضا الله سبحانه عنهم.

الترضي لا يختص بمن شهد بيعة الرضوان

بقي شيء. وهو أنه لو فرض ظهور إطلاق الترضي من الله تعالى في بقاء رضاه جل شأنه عنهم واستمراره ـ كما ذكرت ـ وغضّ النظر عما ذكرنا، فمن الظاهر أن الله جل شأنه كما ترضى عن الصحابة ترضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات عموماً في قوله عزوجل: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

وفي قوله جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تحتها الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[٣].

بل من الظاهر أن الترضي في الآيتين عن المؤمنين يراد به حصول رضاه عنهم في الآخرة عند وفودهم عليه ولقائهم إياه.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٧ : ٤١٧ غزوة حنين وما جاء فيها.

(٢) سورة المجادلة الآية: ٢٢.

(٣) سورة البينة الآية: ٧ ـ ٨.

فيا ترى ألا يلتزم الجمهور بتقييد الرضا عنهم بالاستقامة؟ وإذا كان الرضا عنهم مقيداً بالاستقامة فلماذا لا يقيد بها في المقام؟!

بعض المؤيدات لاشتراط بقاء الرضا بالاستقامة

ويؤكد ما ذكرنا أمور..

١ ـ ما تقدم في جواب السؤال الأول من أن ملاحظة واقع الصحابة وما شجر بينهم يقضي بعدم قطعهم على من شهد بيعة الرضوان بالسلامة والفوز.

٢ ـ ما تقدم هناك أيضاً من أن ذلك يستلزم الإغراء بالقبيح.

٣ ـ أن الآية لا تختص بالسابقين الأولين، فقد نزلت فيمن شهد بيعة الرضوان بعد أن كثر المسلمون، وفيهم مثل المغيرة ابن شعبة، وأبي العادية قاتل عمار بن ياسر[١]، وعبدالله بن أبي رأس المنافقين[٢].

الأمر الثاني: تقول في سؤالك: «لا ننكر بأن الصحابة (السابقين الأولين) قد تجتاحهم النزعات الشخصية، وقد يتسلط على أحدهم مصلحة ما، وقد يغبطون بعضهم بعضاً. فلماذا لا يؤول علماء الشيعة حال أبي بكر وعمر وعثمان، وتوليهم الخلافة في حياة علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين)، بأن فعلهم ـ أي الخلفاء الثلاثة الأول ـ من قبل هذه النزعات، غير المؤاخذ عليها شرعاً...».

الفرق بين الغبطة والحسد

ونقول: الغبطة هي تمني الإنسان مثل ما يجده عند غيره من الخير، من دون أن يتمنى زوال تلك النعمة عن صاحبها، فإن تمنى زوالها عنه فهو

(١) الفصل في الملل والنحل ٤ : ١٢٥ الكلام في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة. منهاج السنة النبوية ٦ : ٢٠٥.

(٢) امتاع الأسماع : ٦٠٥. المغازي للواقدي ٢ : ٦١٠.

حاسد له.

قال في لسان العرب عند الكلام في مادة (غبط) بعد أن أطال في الحديث عن معنى الغبطة: «قال الأزهري: وفرق الله بين الغبط والحسد بما أنزله في كتابه لمن تدبره واعتبره، فقال عز من قائل: ﴿**وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[١].

وفي هـذه الآية بيان أنه لا يجوز للرجـل أن يتمنى، إذا رأى على أخيه المسـلم نعمـة أنعم الله بهـا عليه، أن تزوى عنـه ويؤتاها. وجائـز أن يتمنى مثلهـا، بلا تمن لزيها عنـه. فالغبط أن يرى المغبوط في حال حسـنه، فيتمنى لنفسـه مثـل تلك الحال الحسـنة، من غـير أن يتمنى زوالها عنه. وإذا سـأل الله مثلها فقد انتهى إلى ما أمره به ورضيه له. أما الحسـد فهو أن يشـتهي أن يكون له مال المحسود، وأن يزول عنه ما هو فيه».

وبذلك يظهر أن تمني نعمة الغير مع الرغبة في زوالها عنه ليس غبطة، بل حسداً.

الحسد من أعظم المحرمات

ومن الظاهر أن الحسد من أعظم المحرمات. وقد استفاضت بحرمته أحاديـث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام. كما ورد عـن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قد خاطب أصحابه بأن الحسد قد دبّ فيهم.

ففي حديث علي بن جعفر، عن أخيه موسـى بن جعفر، عن أبيه عن جـده عليهم السلام قـال: «قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم لأصحابـه: ألا إنه قد

---

(١) سورة النساء الآية: ٣٢.

دبّ إليكم داء الأمم من قبلكم، وهو الحسد. ليس بحالق الشعر، لكنه حالق الدين. وينجي فيه أن يكف الإنسان يده، ويخزن لسانه، ولا يكون ذا غمز على أخيه المؤمن»[١].

وفي حديث الزبير بن العوام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثم دبّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء. والبغضاء هي الحالقة. حالقة الدين، لا حالقة الشعر. والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا. أفلا أنبؤكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[٢].

وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثم إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال: العشب»[٣].

وفي حديث أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام: «قال: أصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد»[٤]... إلى غير ذلك.

---

(١) وسائل الشيعة ١١ : ٢٩٤ باب: ٥٥ من أبواب جهاد النفس حديث:١٥.

(٢) مسند أحمد ١ : ١٦٤ مسند الزبير بن العوام رضي الله عنه، واللفظ له. سنن الترمذي ٤ : ٦٦٣، ٦٦٤ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: في باب لم يعنونه. مجمع الزوائد ٨ : ٣٠ كتاب الأدب: باب ما جاء في السلام وإفشائه. السنن الكبرى للبيهقي ١٠ : ٢٣٢ كتاب الشهادات: جماع أبواب من تجوز شهادته ومن لا تجوز من الأحرار البالغين العاقلين المسلمين: باب شهادة أهل العصبية. مسند البزار ٦ : ١٩٢ فيما رواه يعيش بن الوليد مولى ابن الزبير عنه. مسند الشاشي ١ : ١١٤. مسند الطيالسي ج١: : ٢٧ في أحاديث الزبير بن العوام. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٣) سنن أبي داود ٤ : ٢٧٦ كتاب الأدب: باب في الحسد. سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٠٨ كتاب الزهد: باب الحسد. مصنف ابن أبي شيبة ٥ : ٣٣٠ كتاب الأدب: ما جاء في الحسد. مسند أبي يعلى ٦ : ٣٣٠ فيما رواه أبو الزناد عن أنس. مسند عبد بن حميد : ٤١٨. مسند الشهاب ٢ : ١٣٦ الباب السابع: إن الحسد ليأكل الحسنات. جامع العلوم والحكم : ٣٢٧. شعب الإيمان ٥ : ٢٦٦ الثالث والأربعون من شعب الإيمان وهو باب في الحث على ترك الغل والحسد. تفسير القرطبي ٥ : ٢٥١. مصباح الزجاجة ٤ : ٢٣٨ كتاب الزهد: باب الحسد. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٤) وسائل الشيعة ١١ : ٢٩٤ باب:٤٩ من أبواب جهاد النفس حديث:١.

فـإذا أضيـف لذلك اسـتلاب النعمة مـن الغير، وأخـذ حقه، وعدم الاقتصـار عـلى الكلام ونحوه ـ مما لا يعفى عن الحسـد معه ـ حصل إثمان: إثم الحسـد، وإثم التعدي والغصب. وكلما كان الأمر المغصوب أهم، كان الإثم أعظم، كما هو ظاهر.

فكيـف تـرى أن هـذه النزعـات غير مؤاخـذ عليها شرعـاً، مع أنك فرضت أنها قد تسببت بالآخرة إلى استلاب هذا المنصب الإلهي الرفيع من صاحبه الشرعي،حسب اعتقاد الشيعة؟!

بقـي شيء. وهـو أنك تقول في آخر سـؤالك هـذا: «أو غير ذلك من الأمور التي ارتضوها فيما بينهم في توليهم للخلافة».

وكأنـك تريـد أن تقـول: إن صاحب الحق إذا رضي بأخذ حقه سـاغ للغـير أخـذه، ونفـذ فعلـه. والـكلام حـول ذلك يـأتي في جواب السـؤال الثالث، إن شاء الله تعالى.

الفرق بين نظرة الشيعة لأئمتهم ونظرة الجمهور لأئمتهم

الأمـر الثالث: يظهر مما سـبق من حديثك الفارق الشاسـع بين نظرة الجمهور إلى أئمتهم، ونظرة الشيعة إلى أئمتهم من أهل البيت عليهم السلام.

فهـا أنت تـرى أن حب الذات والنزعات الشـخصية قد دفعت أئمة الجمهـور إلى الـصراع على السـلطة، والتسـابق عليها، وأخذهـا تعدياً على صاحب الحق، وخلافاً للنص ـ كما تقول الشيعة ـ أو من دون ذلك، حسبما يدعيه جمهور السنة.

أما الشـيعة فهم يـرون أن أئمة أهل البيـت عليهم السلام وإن كانوا أصحاب الحق بالنص، إلا أنهم لا يريدون حقهم حباً للسـلطة ورغبة في الحكم، بل من أجل إقامة الحق وتشييد الدين وإشاعة العدل، كما يشهد بذلك كثير من

كلماتهم (صلوات الله عليهم).

ففي حديث لأمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»[١].

وقال عليه السلام في آخر خطبته الشقشقية: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[٢].

وفي كلام له عليه السلام مع عمه العباس في التعقيب على تعيين عمر جماعة الشورى، قال عليه السلام: «والله ما بي رغبة في السلطان، ولا حب الدنيا. ولكن لإظهار العدل، والقيام بالكتاب والسنة»[٣].

ولما سأل أمير المؤمنين عليه السلام في ذي قار ابن عباس عن قيمة نعله التي كان يخصفها بيده، فقال: «لا قيمة لها»، قال عليه السلام: «ألا والله لهي أحب إلي من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً»[٤].

وفي وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد ابن الحنفية حينما خرج إلى مكة: «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت

---

(١) شرح نهج البلاغة ٨ : ٢٦٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ج١ : ٢٠٢. وذكرت العبارة الأخيرة في النهاية في مادة عفط، ولسان العرب في مادة عفط.

(٣) شرح نهج البلاغة ٩ : ٥١.

(٤) نهج البلاغة ١ : ٨٠.

لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب. فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق. ومن ردّ عليّ هذا أصبر، حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين»[1]... إلى غير ذلك من كلماتهم عليهم السلام. ويأتي بعضها إن شاء الله تعالى.

ويا ترى أي النظرتين أنسب بمنصب الإمامة على المسلمين، مع ما عليه المنصب المذكور من الرفعة والقداسة، حيث يكون الإمام أميناً على دين الإسلام العظيم، بتشريعاته وعزته وكيانه، وعلى المسلمين في دمائهم وأموالهم وأعراضهم. وحيث يجب على المسلمين أن يخلصوا في النصيحة للإمام، ويطيعوه وينصروه؟!

وما عليك بعد ذلك إلا أن تحكم عقلك وضميرك، وتختار لنفسك ما يحلو لك. وكفى بالله تعالى شاهداً، ووليّاً، وحاكماً.

---

(١) بحار الأنوار ٤٤ : ٣٢٩.

❑س٣ لماذا لا نسلك نحن أهل السنة وأنتم معاشر الشيعة في القضايا التي حصلت في صدر الإسلام سيرة الإمام علي وآل بيته (عليهم الصلاة والسلام)، وخصوصاً الإمام الحسن (رضي الله عنه). فما أقروه نقرُّ به، وما أنكروه ننكره، فنلتزم:

١ ـ إقرار سيدنا علي خلافة أبي بكر(رض).

٢ ـ إقراره تنصيب أبي بكر لعمر(رض).

٣ ـ إقراره أمر الشورى، وأن يكون أحد أفرادهم.

٤ ـ عدم إقراره معاوية والياً على الشام، لأنه لا يراه أهلاً لذلك، مع أن ذلك يترتب عليه مفسدة في المجتمع المسلم.

ج: يحق لنا أن نسألك، فنقول: ماذا تريد من الإقرار؟

الكلام في الجري على الأمر الواقع

١ ـ فإن أردت منه الجري على الأمر الواقع، والتعاون معه، وعضده، لحفظ ما يمكن حفظه من مصلحة الإسلام، وعدم الخلاف عليه، وعدم شق الكلمة، للعجز عن التغيير، أو للعلم بأن في محاولة التغيير، والإصرار على المواقف الصلبة، محذوراً يفوق محذور الانحراف الذي حصل. فهذا قد صدر من الأئمة (صلوات الله عليهم)، كما تقول.

لكنـه لا يـدل عـلى شرعية خلافـة المسـتولين. لوضوح أن سـكوت صاحـب الحق عن اسـترجاع حقه من أجل ذلـك لا يبطل حقه، ولا يجعل الحـق للغاصـب، بحيث يخرجه عـن كونه ظالماً، ولا يخفـف جريمة غصبه وظلمـه. وإنـما هو يرفع من شـأن المظلـوم، لصـبره واحتسـابه، ومراعاته مقتضى الحكمة والصالـح العام.

ولذا حصل ذلك من الإمام الحسـن (صلـوات الله عليه) مع معاوية أخـيراً، بعد أن حـاول حربه، امتداداً لموقف أبيه الإمـام أمير المؤمنين عليه السلام منـه. كما حصـل من الإمام زيـن العابدين والأئمة من ولـده (صلوات الله عليهـم) مع خلفاء الجـور في عهودهـم: يزيد ومن بعـده. وهو الذي جرى عليه شيعتهم بعد ذلك، تبعاً لهم عليهم السلام .

ولا يختـص الأمـر بالثلاثة الأولين، كما قد يبدو من السـؤال. وليس ذلك لتناقض مواقفهم عليهم السلام ، بل لاختلاف ظروفهم، كما هو ظاهر.

الكلام في إمضاء الأمر الواقع وإضفاء الشرعية عليه

٢ ـ وإن أردت مـن الإقرار الرضا بما حصـل، وإضفاء الشرعية على حكـم الأولين، بحيث يخرجون عن كونهـم غاصبين معتدين. كما لو تنازل المالك وصاحب الحق عن ملكه وحقه لغيره، بحيث له تملكه منه وتمتعه به، فيرد ذلك أمران:

تعيين الخلافة بأمر من الله تعالى وليس للإمام التنازل عنها

الأول: أن حقهـم (صلوات الله عليهم) في الخلافة ـ حسـبما تقتضيه أدلـة الشـيعة ـ إنـما كان بتعيين من الله تعـالى، ونص منه جل شـأنه، وليس لهم عليهم السلام بعد ذلك جعله في غير موضعه، وإضفاء الشرعية عليه. بل لا يحق ذلك حتى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. فإنه ردّ على الله تعالى، وتلاعب بفرائضه.

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما عرض نفسه على قبائل العرب، قبل الهجرة، لينصروه، كان فيمن عرض نفسه عليهم بنو عامر، فقال له رجل منهم: أرأيت إن نحن تابعناك، فأظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك!

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»[١].

وفي حديث عبادة: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة... وأن لا ننازع الأمر أهله، ونقوم بالحق حيث كان، ولا نخاف في الله لومة لائم»[٢]. لظهوره في أن للأمر والخلافة أهلاً يحرم منازعتهم.

وفي حديث عمرو بن الأشعث: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أترون الموصي منا يوصي إلى من يريد؟! لا والله، ولكن عهد من الله

---

(١) الثقات ١ : ٨٩ـ ٩٠ ذكر عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل، واللفظ له. تاريخ الطبري ١ : ٥٥٦ ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله ﷺ عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السلام إليه بوحيه. السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٧٢ عرضه ﷺ نفسه على بني عامر. البداية والنهاية ٣ : ١٣٩ فصل في عرض رسول الله ﷺ نفسه الكريمة على أحياء العرب. السيرة الحلبية ٢ : ٣. الكامل في التاريخ ١ : ٦٠٩ ذكر وفاة أبي طالب وخديجة وعرض رسول الله نفسه على العرب. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء : ٣٠٤.

(٢) مسند أحمد ٣ : ٤٤١ حديث عبادة بن الوليد بن عبادة عن أبيه رضي الله عنه، واللفظ له. السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ١٤٥ كتاب قتال أهل البغي: جماع أبواب الرعاة: باب كيفية البيعة. السنن الكبرى للنسائي ٤ كتاب البيعة : ٤٢١ البيعة على السمع والطاعة، : ٤٢٢ البيعة على القول بالعدل، و ٥ : ٢١١،٢١٢ كتاب السير: البيعة. مسند ابن الجعد : ٢٦١ شعبة عن سيار بن أبي سيار أبي الحكم العنزي. سير أعلام النبلاء ٢ : ٧ في ترجمة عبادة بن الصامت. تذكرة الحفاظ ٣ : ١١٣١ في ترجمة ابن عبد البر. تاريخ دمشق ٢٦ : ١٩٦ في ترجمة عبادة بن الصامت. صحيح ابن حبان ١٠ : ٤١٣ باب بيعة الأئمة وما يستحب لهم: ذكر البيان بأن النصح لكل مسلم في البيعة التي وصفناها كان ذلك مع الإقرار بالسمع والطاعة. مسند أبي عوانة ٤ : ٤٠٧ بيان حظر منازعة الإمام أمره وأمر أمرائه ووجوب طاعتهم.

ورسولهﷺ لرجل فرجل، حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه»[١].

وفي حديث محمد بن الفضيل عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام: «في قول الله عزوجل: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ قال: هم الأئمة. يؤدي الإمام إلى الإمام من بعده، ولا يخص بها غيره، ولا يزويها عنه»[٢].

وفي حديث يزيد بن سليط عن الإمام أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام المتضمن لنصه على إمامة ولده أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام من بعده، قال: «أخبرك يا أبا عمارة، إني خرجت من منزلي فأوصيت إلى ابني فلان، وأشركت معه بني في الظاهر، وأوصيته في الباطن، فأفردته وحده. ولو كان الأمر إليّ لجعلته في القاسم ابني، لحبي إياه، ورأفتي عليه. ولكن ذلك إلى الله عزوجل، يجعله حيث يشاء...»[٣].

والأحاديث في ذلك عنهم (صلوات الله عليهم) كثيرة جداً[٤].

انحصار الأهلية للمنصب بمن عينه الله تعالى له

ولاسيما وأن الله سبحانه لم يجعلها فيمن جعلها فيه إلا لانحصار الأهلية به، وعدم صلاحية غيره لها. ويكفينا في التعرف على الآثار والفوائد المهمة التي تترتب لو ولي الخلافة أمير المؤمنين عليه السلام، الذي يدعي الشيعة النص عليه..

---

(١) الكافي ١ : ٢٧٨ باب أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد عليهم السلام حديث:٢.

(٢) الكافي ١ : ٢٧٦ ـ ٢٧٧ باب أن الإمام عليه السلام يعرف الإمام الذي يكون من بعده وأن قول الله تعالى [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها] فيهم عليهم السلام نزلت حديث:٣.

(٣) الكافي ١ : ٣١٤ باب: الإشارة والنص على أبي الحسن الرضا عليه السلام حديث:١٤.

(٤) راجع الكافي ١ : ٢٧٦ ـ ٢٨١، وغيره.

١ ـ حديث الكتاب الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي توفي فيه أن يكتبه لأمته، ليعصمها من الضلال. وقد تقدم الحديث عنه في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة. فإن الشواهد قاضية بأنه صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يثبت فيه خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بنحو يسد فيه الطريق على من يخالفه. ويأتي عن عمر الاعتراف بذلك. وأي شيء أهم من العصمة من الضلال؟

٢ ـ كلام الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام حول ما خسره المسلمون بعدولهم بالخلافة عنه عليه السلام، حيث قالت في خطبتها الصغرى: «وما الذي نقموا من أبي حسن، نقموا والله نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله. وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله لأعتلقه، ولسار إليهم سيراً سجحاً، لا تكلم حشاشته، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً يطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطاناً، قد تحير (كذا وردت في المصدر) بهم الرأي. غير متحل بطائل إلا بغمز الناهل، وردعه سورة الساغب. ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض. وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

ألا هلم فاستمع، وما عشت أراك الدهر عجبه، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث. إلى أي لجأ استندوا؟ وبأي عروة تمسكوا؟ لبئس المولى ولبئس العشير، ولبئس للظالمين بدلاً.

استبدلوا والله الذنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل. فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴿أَلا إِنَّهُم هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾. ويحهم ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

أما لعمر الله لقد لقحت، فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوها طلاع العقب دماً عبيطاً، وذعاقاً ممقراً. هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب ما أسس الأولون. ثم طيبوا عن أنفسكم نفساً، واطمئنوا للفتنة جأشاً، وابشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً...»[١].

ولها عليها السلام كلام آخر في خطبتها الكبرى يأتي التعرض له إن شاء الله تعالى.

٣ ـ حديث أبي عمر الجوني، قال: «قال سلمان الفارسي حين بويع أبو بكر: كرداذ وناكرداذ ـ أي عملتم وما عملتم ـ لو بايعوا علياً لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم»[٢].

٤ ـ وفي حديث حبيب بن أبي ثابت، قال: «قال سلمان يومئذ: أصبتم ذا السن منكم، وأخطأتم أهل بيت نبيكم. لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم اثنان، ولأكلتموها رغداً»[٣].

وهو المناسب لما يأتي في جواب السؤال الرابع من الحديث عما يسمى بحروب الردة.

٥ ـ ومثله في ذلك حديث أبي لهيعة: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما مات وأبو ذر غائب، وقدم، وقد ولي أبو بكر. فقال: أصبتم قناعة، وتركتم قرابة. لو جعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اثنان»[٤].

وفي كلام آخر لأبي ذر في أيام عثمان: «أيها الناس من عرفني فقد

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦ : ٢٣٣ ـ ٢٣٤، واللفظ له. بلاغات النساء لابن طيفور: ٢٠ في كلام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام لابن الدمشقي ١ : ١٦٥ ـ ١٦٩.

(٢) أنساب الأشراف ٢ : ٢٧٤ أمر السقيفة.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢ : ٤٩، واللفظ له، و ٦ : ٤٣.

(٤) شرح نهج البلاغة ٦ : ١٣.

عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري. أنا جندب بن جنادة الربذي ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

محمد الصفوة من نوح، فالأول من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية من محمد. إنه شرف شريفهم، واستحقوا الفضل في قوم. هم فينا كالسماء المرفوعة، وكالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجر الزيتونية، أضاء زيتها، وبورك زيدها (زندها.ظ). ومحمد وارث علم آدم، وما فضل به النبيون. وعلي بن أبي طالب وصي محمد، ووارث علمه. أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها، أما لو قدمتم من قدم الله، وأخرتم من أخر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم، لأكلتم من فوق رؤوسكم، ومن تحت أقدامكم، ولما عال ولي الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله إلا وجدتم علم ذلك عندهم، من كتاب الله وسنة نبيه. فأما إذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾»[1].

٦ ـ وفي حديث عمر مع أمير المؤمنين عليه السلام في ضمن حديثه مع أصحاب الشورى: «أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح، والمحجة البيضاء»[2].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧١ في أيام عثمان بن عفان.

(٢) شرح نهج البلاغة ١ : ١٨٦، واللفظ له. ويوجد هذا المعنى بألفاظ مختلفة في شرح نهج البلاغة ٦ : ٣٢٦، المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٠١ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: مقتل عمر رضي الله عنه على الاختصار، والإمامة والسياسة ١ : ٢٦ في تولية عمر بن الخطاب الستة الشورى وعهده إليهم، والطبقات الكبرى ٣ : ٣٤٢

←

وأي مغنم للإسلام والمسلمين أعظم من ذلك؟! ... إلى غير ذلك مما ورد على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام وبقية المسلمين.

حيث يكشف ذلك عن كفاءة المنصوص عليه للمنصب، بنحو لا يمكن قيام غيره مقامه، ليمكن إضفاء الشرعية على حكمه، واعتزال المنصوص عليه له، لو كان له الحق في الاعتزال.

امتناع عثمان من اعتزال الخلافة مع عدم النص عليه

ومن الطريف أن عثمان قد امتنع من اعتزال الحكم حينما نقم عليه الناس، وطلبوا منه اعتزال أمرهم، محتجاً بأنه لا يخلع قميصاً كساه الله تعالى إياه[1]، مع أنه إنما ولي الحكم ببيعة الناس له، لا بالنص، ومع ذلك يدعي المدعي أن أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) حتى لو كانوا منصوصاً عليهم لأهليتهم عند الله تعالى دون غيرهم، فإنهم قد اعتزلوا الحكم، وتركوه لغيرهم، ورضوا بحكمه وأقروه!!

ويؤكد ذلك في المقام..

← في ترجمة عمر: ذكر استخلاف عمر رضي الله عنه، وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٥٨ في أيام عمر بن الخطاب، والمصنف لعبد الرزاق ٥: ٤٤٦ ـ ٤٤٧ في بيعة أبي بكر (رضي الله تعالى عنه) في سقيفة بني ساعدة، والأدب المفرد للبخاري: ٢٠٤ باب من أحب كتمان السر وأن يجالس كل قوم فيعرف أخلاقهم، وأنساب الأشراف ٣: ١٤ في بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، و٦: ١٢٠ في أمر الشورى وبيعة عثمان رضي الله عنه، والعقد الفريد ٤: ٢٥٥ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: أمر الشورى في خلافة عثمان بن عفان، والفتوح لابن أعثم المجلد الأول: ٣٢٤ في ذكر ابتداء مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتاريخ المدينة لابن شبة ٣: ٨٨٢، وغيرها من المصادر.

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦٧٥ في أحداث سنة خمس وثلاثين: ذكر الخبر عن قتله (أي عثمان) وكيف قتل. الكامل في التاريخ ٣: ٦٧ في أحداث سنة خمس وثلاثين: ذكر مقتل عثمان. المنتظم ٥: ٥٥ في أحداث سنة خمس وثلاثين: خروج أهل مصر ومن وافقهم على عثمان رضي الله عنه. تاريخ دمشق ٣٩: ٤٣٨ في ترجمة عثمان بن عفان.

إمضاء ما حصل مستلزم لضياع معالم الحق على الناس

أولاً: أن استيلاء الأولين لم يكن مبنياً على أخذ الحق من صاحبه مع الاعتراف بكونه صاحب الحق، بل على عدم الاعتراف لصاحب الحق بحقه، تجاهلاً للنص عليه، ولدعوى أن الخلافة لقريش عامة، أو لمن عدا بني هاشم منهم، لأنه لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد، أو لغير ذلك.

وعلى ذلك فإمضاء ما حصل، وإقرار خلافة المستولين، مستلزم لتحريف حكم الله تعالى، وضياع معالم الحق على الناس.

كيف؟! وقد ضاع ذلك على الجمهور، فاعتقدوا عدم النص، بسبب استيلاء المستولين، وأغفلوا أو تغافلوا عن النص، مع وجوده، ووجود طائفة كبيرة تعتقد به، وتعلن عنه، وتؤكد عليه، تقوم بسببها الحجة على الناس، فكيف يكون الحال لو أقر الأئمة(صلوات الله عليهم) ما حصل، وأعلنوا شرعيته، وسكتوا هم وشيعتهم عن الإنكار عليه؟!

وقد ذكر المجلسي ﷺ عن كتاب الاستدراك، قال: «ذكر عيسى بن مهران في كتاب الوفاة[1] بإسناده عن الحسن بن الحسين العرني، قال: حدثنا مصبح العجلي، عن أبي عوانة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر. قال: لما ثقل أبي أرسلني إلى علي عليه السلام فدعوته، فأتاه، فقال: يا أبا الحسن إني كنت ممن شغب عليك، وأنا كنت أولهم، وأنا صاحبك، فأحب أن تجعلني في

---

(١) قال الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ﷺ في كتاب الفهرست: «عيسى بن مهران المعروف بالمستعطف. يكنى أبا موسى. له كتاب الوفاة تصنيفه. أخبرنا به جماعة عن التلعكبري عن ابن همام عن أحمد بن محمد بن موسى النوفلي عنه. وذكر له ابن النديم من الكتب كتاب مقتل عثمان...»/ الفهرست باب عيسى : ١٤٢.

وقال النجاشي: «عيسى بن مهران المستعطف يكنى أبا موسى. له عدة كتب. منها كتاب مقتل عثمان... وكتاب الوفاة، وكتاب الكشف...» / الرجال باب عيسى : ٢٩٧.

حِلّ. فقال: نعم، على أن تدخل عليك رجلين، فتشهدهما على ذلك.

قال: فحول وجهه إلى الحائط، فمكث طويلاً، ثم قال: يا أبا الحسن ما تقول؟ قال: هو ما أقول لك. قال: فحول وجهه.. فمكث طويلاً. ثم قام فخرج.

قال: قلت: يا أبة قد أنصفك، ما عليك لو أشهدت له رجلين؟ قال: يا بني، إنما أراد أن لا يستغفر لي رجلان من بعدي»[1].

وهذه الرواية وإن كنا لا نتعهد بصحتها، إلا أنه قد يناسبها ما ذكره المؤرخون لقصة الشورى، من أن عمر قد ثلب جماعة الشورى[2] بما يناسب إبعادهم عن الخلافة، ولم يطعن في أمير المؤمنين إلا بأنه ذو دعابة[3]، مع تصريحه بأنه لو وليهم لحملهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء، كما

(١) بحار الأنوار ٣٠ : ١٤٢ باب ما أظهر أبو بكر وعمر من الندامة على غصب الخلافة عند الموت حديث:١٠، واللفظ له، و ٨ : ٢٠٦ الطبعة الحجرية كمبني.

(٢) الاستيعاب ٣ : ١١١٩ في ترجمة علي بن أبي طالب. الإمامة والسياسة ١ : ٢٦ تولية عمر ابن الخطاب الستة الشورى وعهده إليهم. كتاب الآثار : ٢١٧. أنساب الأشراف ٦ : ١٢١ أمر عثمان بن عفان: أمر الشورى وبيعة عثمان. تاريخ المدينة لابن شبة ٣ مقتل عمر بن الخطاب وأمر الشورى : ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣. شرح نهج البلاغة ٦ : ٣٢٦. كنز العمال ٥ : ٧٤٠ حديث:١٤٢٦٦، : ٧٤٢ حديث:١٤٢٦٧ .الفائق في غريب الحديث ٣ : ١٦٨ . غريب الحديث لابن سلام ٣ : ٣٣١، في مادة قنب. الفتوح لابن أعثم المجلد الأول : ٣٢٤ ذكر ابتداء مقتل عمر بن الخطاب.

(٣) الاستيعاب ٣ : ١١١٩ في ترجمة علي بن أبي طالب. العقد الفريد ٤ : ٢٦٢ فرش كتاب العسجدة الثانية: في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: أمر الشورى في خلافة عثمان بن عفان. أنساب الأشراف ٦ : ١٢١ أمر عثمان بن عفان: أمر الشورى وبيعة عثمان. تاريخ المدينة لابن شبة ٣ : ٨٨٠ مقتل عمر بن الخطاب وأمر الشورى. شرح نهج البلاغة ٦ : ٣٢٦ ـ٣٢٧. كنز العمال ٥ : ٧٤٠ حديث:١٤٢٦٦، : ٧٤٢ حديث:١٤٢٦٧ .الفائق في غريب الحديث ٣ : ١٦٨ . غريب الحديث لابن سلام ٣ : ٣٣١، في مادة قنب. الفتوح لابن أعثم المجلد الأول : ٣٢٤ ذكر ابتداء مقتل عمر ابن الخطاب.

سبق، وهو مناسب لتقريبه من الخلافة وترشيحه لها.

بل قال الطبري: «فخرجوا ثم راحوا، فقالوا: يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً. فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر، فأولي رجلاً أمركم، هو أحرى أن يحملكم على الحق ـ وأشار إلى علي ـ ورهقتني غشية، فرأيت رجلاً يدخل جنة، قد غرسها، فجعل يقطف كل غضة يانعة، فيضمه إليه، ويصيره تحته، فعلمت أن الله غالب أمره ومتوف عمر. فما أريد أن أتحملها حياً وميتاً. عليكم هؤلاء الرهط...». ثم ذكر تدبير عمر في أمر الشورى بما هو معروف مشهور[١].

حيث يبدو بوضوح تدافع كلامه، لأنه بالآخرة قد تحملها بتدبيره في الشورى بما يؤدي إلى تعيين عثمان. فلا يبعد أن يكون عزمه أولاً على استخلاف أمير المؤمنين عليه السلام إنما كان أملاً في أن يجعل ذلك جزاء منه لتحليل أمير المؤمنين عليه السلام له مما فعل معه، فلما أيس من ذلك ـ كما تضمنته الرواية المتقدمة ـ قلب له ظهر المجن، فقرنه بجماعة من هوان الدنيا على الله تعالى أن يقرن عليه السلام بهم، ثم دبر الأمر ضده، وسد الطريق عليه بتعيين عثمان، ومن ورائه عشيرته التي لا تتورع عن شيء في سبيل الاستيلاء على مواقع القوى، والحيلولة دون وصول أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته للحكم بعد ذلك.

وقد فعل عمر ذلك إما حباً منه لعثمان، وإما إعراضاً منه عن أمير المؤمنين عليه السلام، لضغنه عليه قديماً، أو لأنه لم يحله، وإما لأنه خشي أن تنكشف الحقيقة، وتظهر ظلامة أهل البيت عليهم السلام بوصولهم للحكم، وسماع الناس لصوتهم.

---

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٥٨٠ وما بعدها قصة الشورى. وسقطت كلمة (ورهقتني) من تاريخ الطبري في برنامج الألفية، فألحقناها اعتماداً على الطبعة الموجودة في برنامج المعجم الفقهي.

وعلى كل حال سواءً صدقت هذه الرواية أم لم تصدق، فما تضمنته من اهتمام أمير المؤمنين عليه السلام برفع الالتباس في أمر الخلافة، وظهور حكم الله تعالى فيها للناس، أمر لا ريب فيه. وهو من أقوى الموانع من إقراره عليه السلام خلافة الأولين، وإضفاء الشرعية عليها، لو كان من حقه ذلك.

مبدئية الإسلام لا تناسب تبعية الشرعية الإلهية للقهر والقوة

وثانياً: أن مبدئية الإسلام، وشرف رسالته، ومثالية تعاليمه، لا تناسب تبعية الشرعية الإلهية للقوة، وقهر أصحاب الحق في استلاب حقهم، خصوصاً في مثل حق الخلافة، الذي يحظى بمقام رفيع، وقدسية عالية، في التشريع الإسلامي. ولاسيما إذا كانت دوافع القهر والاستيلاء على الحق المذكور نزعات مصلحية، كالحسد ونحوه مما تقدم التعرض له في السؤال الثاني.

نعم، قد تضمنت تعاليم الديانتين: اليهودية والنصرانية المعاصرتين، تبعية القدسية الإلهية والمناصب الدينية للقهر والقوة، والكذب والتحايل، في قصص خرافية حسبت على الدينين الإلهيين، نتيجة التحريف والتضليل الذي لحقهما. ولا ريب في نزاهة الدينين المذكورين في حقيقتهما عن ذلك، فكيف بدين الإسلام العظيم الذي هو خاتم الأديان، والقمة في الكمال التشريعي والمثالية والمبدئية؟!

والحاصل: أنه بعد فرض ثبوت الحق لأئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، نتيجة النص الإلهي ـ كما تقول الشيعة ـ لا مجال لإقرارهم عليهم السلام ما حصل من الأولين في أمر الخلافة، وإضفاء الشرعية عليه، لمنافاة ذلك للنص الإلهي، ولما يستلزمه من تضييع الحقيقة والتلبيس عليها، ولمجافاته لمبدئية التشريع المقدس ومثاليته.

يحق للخليفة أن يستنيب غيره في إدارة الأمة

نعم يحق للخليفة الشرعي أن يستنيب غيره عنه في إدارة الأمور في بلادٍ خاصة، أو في حالات خاصة، على أن يكون ذلك الغير نائباً عنه، تحت أمره ونظره، مع كونه هو الخليفة، لا على أن يكون ذلك الغير هو الخليفة بدلاً عنه، بالتنازل من الخلافة، أو هبتها، أو بيعها، أو نحو ذلك. ومن المعلوم أن ذلك لم يحصل مع الأولين ولا مع غيرهم، وإنما استولوا على الحكم على أنهم هم الخلفاء الحاكمون، وعلى أن الأئمة من أهل البيت رعية محكومون.

الشيعة على بصيرة تامة من عدم تنازل الأئمة عليهم السلام عن حقهم

الثاني: أن الشيعة على بصيرة تامة من أن الأئمة (صلوات الله عليهم) لم يتنازلوا عن حقهم، بل لم يزالوا في عهودهم يشكون من غصب حقهم، ويؤكدون ظلامتهم، ويتنمرون ممن ظلمهم، ويبرؤون منه، ويوالون على ذلك، ويرونه من تتمة الدين الذي يجب التمسك به، وتتوقف النجاة عليه.

وأحاديث الشيعة التي رووها في ذلك عن أئمتهم أكثر من أن تحصى، تتجاوز حدّ الاستفاضة والتواتر بمراتب. حتى بلغ الحال أن صار ذلك من ضرورات مذهبهم، لا يختلفون فيه، ولا يحيدون عنه.

دعوى كذب الشيعة في نسبة ذلك لأئمتهم عليهم السلام

وربما يدعي المدعي خطأ الشيعة في ذلك، أو كذبهم فيه، افتراء على أئمتهم عليهم السلام وبهتاناً عليهم. خصوصاً من يحاول تشويه صورة الشيعة، وبهتهم بالموبقات العظام، وكأنهم أناس لا يعرفون من الحق والدين شيئاً، وإنما بني دينهم - عقيدة، وسلوكاً - على الافتراء، والضلال، والبدع، والخرافات.

رد الدعوى المذكورة، وذكر الشواهد على صدق الشيعة

لكن ذلك ـ في الحقيقة ـ ناشئ عن قوة حجة الشيعة، وأخذهم بأكظام خصومهم وسدّهم الطرق عليهم، حيث يضطر الخصم حينئذٍ للمكابرة والبهتان، من أجل التنفير عن الشيعة، لئلا تسمع دعواهم، وينظر في حججهم.

ولو أنصف الباحث وتجرد عن التراكمات والمسلمات، ولاحظ الشواهد والملابسات، لم يشك في صدق الشيعة في نسبتهم ذلك لأئمتهم عليهم السلام بعد اختصاصهم بأئمتهم (صلوات الله عليهم) وموالاتهم لهم، وتفاعلهم معهم، وأخذهم عنهم...

لا داعي لافتراء الشيعة ذلك مع أنه جر عليهم البلاء

أولاً: لأنه لو لم يكن ذلك صادراً عن الأئمة عليهم السلام فليس هناك ما يدعو شيعتهم لأن يفتروه على أئمتهم عليهم السلام، ويتبنوه ويتدينوا به. ولاسيما وأنه قد كلفهم شططاً، وعرضهم لضروب البلاء والمحن والمآسي والفجائع.

والخطأ في العقائد والتعاليم المأخوذة عن الغير ـ كالأنبياء عليهم السلام وذوي المقالات ـ وإن كان شايعاً، إلا أنه ينشأ من البعد عن أصحاب الدعوة والمبشرين بها، وتحوير النقلة والمفسرين لها.

ولا مجال لذلك في الشيعة مع أئمتهم عليهم السلام في هذا الأمر. لأن هذه العقيدة عرفت عن الشيعة من عصر أمير المؤمنين عليه السلام ـ كما يأتي ـ، وتجلت بوضوح بعد قتل الحسين عليه السلام، حين أعرض أئمة أهل البيت عليهم السلام عن المطالبة بالسلطة ـ لليأس منها في القريب المنظور ـ واتجهوا لتثقيف شيعتهم بثقافتهم، وبثّ علومهم ومعارفهم المختلفة فيهم، حيث قام للشيعة الإمامية كيان ظاهر، وتجلت معالم عقيدتهم. وهم يعاشرون الأئمة عليهم السلام

ويختصون بهم واحداً بعد واحد إلى مائتي عام، يضاف إليها ما يقرب من سبعين عاماً عصر الغيبة الصغرى، التي كان الاتصال فيها بالإمام (عجل الله فرجه) ميسوراً بواسطة سفرائه الأربعة رضي الله عنهم. إذ يمتنع عادة مع كل ذلك خفاء رأي الأئمة عليهم السلام عن شيعتهم، واختلافهم معهم.

لو كان الشيعة مفترين لوجب على الأئمة عليهم السلام مباينتهم

وثانياً: لأن ذلك لو لم يكن من مذهب الأئمة عليهم السلام، وكان مفتعلاً عليهم، لوجب على الأئمة عليهم السلام الإنكار على الشيعة، فإن أصروا على فريتهم وخلافهم رفضوهم وطردوهم، وباينوهم ولم يخالطوهم، كما رفض أمير المؤمنين عليه السلام من غلا فيه، ورفض الإمام الصادق عليه السلام أبا الخطاب وجماعته، ورفض من بعده من الأئمة عليهم السلام من شذّ عن طريقتهم، وخرج عن تعاليمهم.

مع أن ذلك لم يحصل. بل كان لهم (صلوات الله عليهم) كيانهم القائم بشيعتهم، كفرقة ملتحمة بهم، متميزة بموالاتهم، تتجه وجهتهم، وتفرح لفرحهم، وتحزن لحزنهم، وتتحرى مناسباتهم ومايتعلق بهم، وتعمل على فقههم وأحاديثهم وتعاليمهم، وتحفظها عنهم في كتبها ومؤلفاتها، وتحدث بها في مجالسها وأماليها، وتتبناها وتعتز بها، وتشيد بشأنها.

وإذا كان رأي أئمة المذاهب يعرف من طريق أصحابهم المختصين بهم، فلم لايعرف مذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام من طريق شيعتهم؟! مع أن اختصاص شيعتهم بهم عليهم السلام، ومخالطتهم لهم، وتفاعلهم معهم، أطول مدة بكثير، وأظهر، من اختصاص أولئك برؤسائهم، ومخالطتهم لهم، وتفاعلهم معهم.

حفظ الشيعة لتراث أئمتهم عليهم السلام يشهد باختصاصهم بهم

وإذا كابر المكابر مع كل ذلك، فأنكر اختصاص الشيعة بأئمة أهل البيت عليهم السلام، وتفاعلهم معهم، وكذب أحاديثهم عنهم، فماذا يقول عن الكمّ الهائل من الأدعية[١]، والزيارات[٢] ـ على اختلاف مضامينها ومناسباتها الكثيرة ـ والحكم، والمواعظ، والخطب، ونحوها مما يفيض بالعلم الإلهي؟. تلك الكنوز التي اختص بها الشيعة، وتميزوا بها عن غيرهم. وقد امتازت بلسانها الرفيع، وبيانها الفريد، ومضامينها الشريفة العالية.

فإن المنصف يرى أن الأئمة عليهم السلام لم يمكنوهم منها، ويخصوهم بها، إلا لاستجابتهم لهم عليهم السلام ورضاهم عليهم السلام عنهم، وانسجامهم معهم.

ولماذا لم يتلقفها جمهور السنة ويتناقلوها ويرعوها ويحفظوها؟[٣]، مع أنهم قد أخذوا من أصناف الناس على اختلاف ميولهم ونزعاتهم، ومن

(١) كأدعية كميل، والصباح، والعشرات، المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام، ودعاء الحسين يوم عرفة، وأدعية الصحيفة السجادية، ودعاء الافتتاح، ودعاء أبي حمزة الثمالي الذي يقرأ في شهر رمضان، وبقية أدعية شهر رمضان في لياليه وأسحاره ونهاره، وأدعية شهري رجب وشعبان، وأدعية ليالي الجمع، وغيرها مما لا يحصى كثرة، ذات المضامين العالية في تمجيد الله تعالى وتقديسه والثناء عليه، والبخوع له والتضاؤل أمامه، والتذلل بين يديه، والرهبة منه، والرجاء له، والرغبة إليه، واستعطافه واسترحامه، والابتهال إليه والطلب منه، وغير ذلك مما لا يحصى من فنون الدعوات.

(٢) كزيارة أمير المؤمنين عليه السلام المعروفة بزيارة (أمين الله)، وبقية زياراته في مختلف المناسبات، وزيارة وارث، وليلة النصف من شعبان للحسين عليه السلام، وبقية زياراته عليه السلام في مختلف المناسبات، والزيارة الجامعة الكبيرة لجميع الأئمة عليهم السلام، وبقية زيارات المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين)، ذات المضامين العالية الجليلة.

(٣) يقول المرجع الديني المعاصر السيد شهاب الدين المرعشي قدس سره في استدراكه

←

مختلف فنونهم ومعارفهم وثقافاتهم.

وإذا كان القرآن المجيد شاهداً على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رسالته عن الله تعالى، فإن تلك الكنوز الثمينة التي رواها الشيعة عن أهل البيت عليهم السلام شاهدة بميراث أهل البيت عليهم السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم معارفه، وتفاعلهم بتعاليمه.

إذ لا ريب في عدم افتراء الشيعة لذلك كله من عند أنفسهم، فإنه يتعذر عادة صدور مثله من مجموعة يبتني كيانها على الكذب والبهتان، ليس لها مرشد يجمعها على حق.

بل يمتنع عادة صدوره من غير أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين ورثوا

← على مقدمة الصحيفة السجادية المطبوعة في حدود سنة ١٣٦١ هـ: «وإني في سنة ١٣٥٣ هـ بعثت نسخة من الصحيفة الشريفة إلى العلامة المعاصر الشيخ جوهري طنطاوي صاحب التفسير المعروف، مفتي الإسكندرية، ليطالعها، فكتب إلي من القاهرة وصول الصحيفة، وشكر لي هذه الهدية السنية، وأطرى في مدحها والثناء عليها، إلى أن قال: ومن الشقاء أنا إلى الآن لم نقف على هذا الأثر القيم الخالد، من مواريث النبوة وأهل البيت. وإني كلما تأملتها رأيتها فوق كلام المخلوق، ودون كلام الخالق إلى آخر ما قال.

ثم سأل عني (كذا في المصدر): هل شرحها أحد من علماء الإسلام؟ فكتبت إليه أسامي من شرحه ممن كنت أعلم به. وقدمت لسماحته رياض السالكين للسيد علي خان. وكتب في جواب وصوله: إني مصمم ومشمر الذيل على أن أكتب شرحاً على هذه الصحيفة العزيزة. انتهى».

فإذا كان الشيخ جوهري طنطاوي، مع موسوعيته، وكثرة اطلاعه، لم يطلع على الصحيفة السجادية مع اشتهارها وشيوع انتشارها بين الشيعة ـ على اختلاف مذاهبهم ـ فكيف بغيره ممن هو أقل منه اطلاعاً، وأضيق أفقاً؟! وكيف يكون الحال مع غير الصحيفة السجادية مما هو دونها ظهوراً وانتشاراً؟!

علـم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخذوا عنـه، وهـم (صلوات الله عليهـم) ـ كما قالوا ـ أمراء الكلام[١]، وعندهم الحكمة، وفصل الخطاب[٢].

كما أن تلك الكنوز الثمينة شـاهدة لشيعتهم ـ الذين يحملونها عنهم، ويمتـازون بمعرفتهـا، ويعتـزون بهـا مـن بـين جمهـور المسـلمين ـ بصدق انتسـابهم لأهل البيت عليهم السلام، واختصاصهم بهم، وتفاعلهم معهم، وحملهم علومهم ومعارفهم، وكونهم مورداً لعناية أهل البيت(صلوات الله عليهم) ورعايتهم، ولفيوضاتهم القدسية المباركة الشريفة.

تأثر الشيعة بأخلاق الأئمة عليهم السلام

ومـن الطريـف ما ذكره ابـن أبي الحديد في مقدمـة شرح نهج البلاغة عنـد ترجمة أمـير المؤمنين(صلوات الله عليـه). حيث قال: «وأما سـجاحة الأخـلاق، وبشر الوجه، وطلاقة المحيا، والتبسـم، فهـو المضروب به المثل فيـه، حتى عابـه بذلك أعداؤه. قال عمرو بن العاص لأهل الشـام: إنه ذو دعابة شديدة... وعمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر بن الخطاب، لقوله لما عزم على استخلافه: لله أبوك لولا دعابة فيك، إلا أن عمر اقتصر عليها، وعمرو زاد فيها وسمجها.

قـال صعصعـة بن صوحان وغـيره من شـيعته وأصحابـه: كان فينا كأحدنا، لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد. وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسـياف الواقف على رأسه... وقد بقي هذا الخلق متوارثاً متناقلاً في محبيـه وأوليائـه إلى الآن. كما بقي الجفاء والخشـونة والوعورة في الجانب الآخر. ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك»[٣].

---

(١) نهج البلاغة ٢ : ٢٦٦.

(٢) بحار الأنوار ٩٧ : ٢٠٩، ٢٨ : ٥٣.

(٣) شرح نهج البلاغة ١ : ٢٥ـ٢٦ القول في نسب أمير المؤمنين علي عليه السلام وذكر لمع يسيرة من فضائله.

فإذا كان أئمة أهل البيت عليهم السلام قد استطاعوا تكييف الشيعة خلقياً بما يناسب أخلاقهم العالية وسجاياهم الكريمة، في لين الجانب، وسجاحة الخلق، فهم أحرى بأن يعرفوهم مذهبهم في الإمامة والخلافة، ويأمروهم بمتابعتهم فيه.

وإذا كان الشيعة قد تأثروا بهم نفسياً وتفاعلوا معهم خلقياً، فهم أحرى بأن يتابعوهم في أمر الإمامة والخلافة، ولا يخرجوا عن مذهبهم فيها. فإن هذه المسألة علمية محضة، والتعرف عليها أهون بكثير من التفاعل في الأخلاق والسجايا.

ولاسيما مع أن اضطهاد الشيعة على مرّ العصور، وشدة محنتهم، وقسوة الجمهور معهم، من شأنها أن تجعلهم حاقدين معقدين، وتحملهم على الشراسة، ووعورة الجانب، وسوء الخلق، لولا تأثرهم بأئمتهم عليهم السلام وتفاعلهم معهم.

مجانبة الجمهور لأئمة أهل البيت عليهم السلام

على أن ملاحظة الواقع القائم بين الأئمة (صلوات الله عليهم) والجمهور تشهد بانعزالهم عليهم السلام عن مجتمع الجمهور العقائدي والثقافي، وعن كيانهم، ومجانبة ذلك المجتمع لهم ـ بعامته وخاصته، من رواته وفقهائه وسائر علمائه ـ خصوصاً الأئمة المتأخرين عليهم السلام، الذين قويت في عصورهم عقيدة الشيعة الإمامية، وظهرت معالمها بجلاء، وقام فيها للشيعة كيان ظاهر متميز.

والجمهور وإن كانوا يحاولون إنكار ذلك، لما لأهل البيت عليهم السلام من قدسية مفروضة عليهم، إلا أنه أمر لا يقبل الإنكار، بعد كونهم في الأصول بين الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة وغيرها، وفي الفروع بين

المذاهب الأربعة، بل أكثر من ذلك فيما سبق، من دون أن يعرجوا على أهل البيت(صلوات الله عليهم) أو ينتسبوا إليهم.

وقد تميز أهل البيت(صلوات الله عليهم) بكثير من الأقوال والآراء في الفقه والأصول عرفت عنهم، وعزف عنها الجمهور، ولم يتمسك بها غير شيعتهم.

موقف الجمهور من شيعة أهل البيت عليهم السلام ومن أعدائهم

كما أن الجمهور بوجهتهم العامة يوالون من حارب أهل البيت عليهم السلام أو نال منهم ويحترمونهم، ويحتجون برواياتهم ويتجاهلون ما صدر منهم، أو يحاولون الدفاع عنه وتوجيهه والاعتذار له، مع أنهم يقفون من شيعة أهل البيت عليهم السلام لمجانبتهم الأولين أشد المواقف وأقساها. كل ذلك لأنهم لا يتفاعلون مع أهل البيت عليهم السلام تفاعلهم مع الأولين، ولا يوالونهم ويتبنونهم كما يوالون الأولين ويتبنونهم.

بل قد يبدو من خاصة الجمهور وعامتهم بعض المواقف القاسية من أهل البيت عليهم السلام في فلتات واندفاعات تكشف عما كمن في صدورهم من دون أن يستطيعوا كتمانه والسيطرة عليه.

بعض مواقف علماء الجمهور من أئمة أهل البيت عليهم السلام

١ـ فهذا الإمام أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الباقر[١]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم عنه: «يبقر العلم بقراً»[٢]، وذلك لتبحره في

(١) عيون الأخبار ١: ٢١٢، باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين. شرح نهج البلاغة ٣: ٢٨٦، ٧: ١٢٢.

(٢) عيون الأخبار ١: ٢١٢، باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين. أخبار الدول والآثار: ١١١. تاج العروس للزبيدي ٣: ٥٥. الفصول المهمة: ١٩٧. وغيرها من المصادر.

العلم[١] وتوسعه، ولأنه بقر العلم وعرف أصله، واستنبط فرعه[٢].

قال ابن حجر الهيثمي: «سمي بذلك من بقر الأرض، أي شقها، وأثار مخبئاتها ومكامنها، فكذلك هو أظهر من مخبئات كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة، أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثَمَّ قيل فيه: هو باقر العلم وجامعه وشاهر عَلَمه»[٣].

ومع كل ذلك يقول عنه الذهبي: «ولقد كان أبو جعفر إماماً مجتهداً، تالياً لكتاب الله، كبير الشأن. ولكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه، ولا في الفقه درجة أبي الزناد وربيعة، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب»[٤].

فانظر إلى هوان الدنيا وامتهانها، حيث انتهى الأمر إلى أن يفضل هؤلاء على الإمام الباقر عليه السلام. وله أسوة بجدِّه أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: «متى اعترض الريب فيَّ مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر؟!»[٥].

٢ ـ وهذا البخاري لم يحتج بالإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (صلوات الله عليه)، ولم يرو عنه في صحيحه[٦]، مع أنه روى عن

---

(١) القاموس المحيط ١ : ٤٥٠.

(٢) غريب الحديث لابن الجوزي ١ : ٨١ باب الباء مع القاف. لسان العرب ٤ : ٧٤ باب (بقر). وغيرهما من المصادر.

(٣) الصواعق المحرقة ٢ : ٥٨٥ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٤ : ٤٠٢ في ترجمة أبي جعفر الباقر.

(٥) نهج البلاغة ١ : ٣٥.

(٦) تذكرة الحفاظ ١ : ١٦٧ في ترجمة الإمام جعفر بن محمد الصادق. من تكلم فيه : ٦٠. سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٦٩ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق. الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم : ٧٥. ميزان الاعتدال ٢ : ١٤٤ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق. المغني في الضعفاء : ١٣٤. تهذيب التهذيب ٢ : ٩٠ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق. وغيرها.

مثل مروان بن الحكم[١]، وعمران بن حطان الخارجي[٢].

وقال: «وقال لي عبد الله بن أبي الأسود عن يحيى بن سعيد: كان جعفر إذا أخذت منه العفو لم يكن به بأس، وإذا حملته حمل على نفسه»[٣].

٣ ـ وعن يحيى بن سعيد أنه قال: «أملى عليّ جعفر بن محمد الحديث الطويل (يعني: في الحج) ثم قال: وفي نفسي منه شيء. مجالد أحب إليّ منه»[٤].

٤ ـ وقال أبو حاتم محمد بن حبان التميمي في ترجمة الإمام الصادق عليه السلام: «يحتج بروايته ما كان من غير رواية أولاده عنه، لأن في حديث ولده عنه مناكير كثيرة. وإنما مرض القول فيه من مرض من أئمتنا لما رأوا في حديثه من رواية أولاده»[٥].

---

(١) صحيح البخاري ١ : ٢٦٥ كتاب صفة الصلاة: باب القراءة في المغرب، ٢ : ٥٦٧ كتاب الحج باب التمتع والإقران والإفراد بالحج وفسخ الحج لمن لم يكن معه هدي، ٢: ٨١٠ كتاب الوكالة: باب إذا وهب شيئاً لوكيل أو شفيع قوم جاز لقول النبي ﷺ لوفد هوازن حين سألوه المغانم فقال النبي ﷺ نصيبي لكم، ٣ : ١٠٤٢ كتاب الجهاد والسير: باب قول الله تعالى[لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر... إلى قوله غفوراً رحيماً]، ٣ : ١٣٦٢ كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب الزبير بن العوام رضي الله عنه، ٤ : ١٥٣٢ كتاب المغازي: باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى[لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة]، ٤ : ١٦٧٧ كتاب التفسير: باب لايستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله، ٥ : ٢٠٣٩ كتاب الطلاق: باب قول الله تعالى [والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء].

(٢) صحيح البخاري ٥ : ٢١٩٤ كتاب اللباس، باب لبس الحرير وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز منه، ٥: ٢٢٢٠ باب نقض الصور.

(٣) التاريخ الكبير ٢ : ١٩٨ في ترجمة جعفر بن محمد بن علي.

(٤) سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٥٦ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق، واللفظ له. الكامل في ضعفاء الرجال ٢ : ١٣١، ١٣٢ ـ ١٣٣ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق. تهذيب التهذيب ٢ : ٨٨ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق. تهذيب الكمال ٥ : ٧٦ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق.

(٥) الثقات ٦ : ١٣١ ـ ١٣٢ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق، واللفظ له. وتجده في نصب الراية ٢ : ٤١٣، وتهذيب التهذيب ٢ : ٨٨ مع اختلاف يسير.

مع أن أولاده عليهم السلام من سادات المسلمين، وفيهم من هم من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

٥ ـ ويقول مصعب بن عبدالله الزبيري: «كان مالك بن أنس لا يروي عن جعفر بن محمد حتى يضمه إلى آخر من أولئك الرفعاء، ثم يجعله بعده»[(١)].

٦ ـ وسئل أحمد بن حنبل عن الإمام الصادق عليه السلام، فقال: «قد روى عنه يحيى، ولينه»[(٢)].

٧ ـ وقال ابن عبد البر: «وكان ثقة مأموناً عاقلاً حكيماً ورعاً فاضلاً. وإليه تنسب الجعفرية. وتدعيه من الشيعة الإمامية. وتكذب عليه الشيعة كثيراً. ولم يكن هناك في الحفظ. ذكر ابن عيينة أنه كان في حفظه شيء»[(٣)].

٨ ـ وقال ابن حجر عن الإمام الصادق عليه السلام: «قال ابن سعد: كان كثير الحديث. ولا يحتج به ويستضعف. سئل مرة: سمعت هذه الأحاديث من أبيك؟ فقال: نعم. وسئل مرة فقال: إنما وجدتها في كتبه»[(٤)].

٩ ـ وقال أبو حاتم في ترجمة الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: «يجب أن يعتبر حديثه إذا روى عنه غير أولاده وشيعته، وأبي الصلت خاصة»[(٥)].

مع أن الإمام الرضا عليه السلام ليس له ولد غير الإمام أبي جعفر محمد الجواد (صلوات الله عليه). وقال: «يروي عن أبيه العجائب. روى عنه أبو

---

(١) تهذيب الكمال ٥ : ٧٦ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق. الكامل في ضعفاء الرجال ٢ : ١٣١ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق.

(٢) العلل ومعرفة الرجال : ٥٢. بحرم الدم : ٩٧.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ٢ : ٦٦ في ترجمة جعفر بن محمد بن علي.

(٤) تهذيب التهذيب ٢ : ٨٨ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق.

(٥) الثقات ٨ : ٤٥٦ في ترجمة علي بن موسى الرضا.

الصلت وغيره. كأنه كان يهم يخطئ»[١].

١٠ ـ وقال ابن طاهر عن الإمام الرضا عليه السلام: «يأتي عن آبائه بعجائب»[٢].

١١ ـ وقال النباتي بعد أن استنكر أحاديث نسبها للإمام الرضا عليه السلام: «وحق لمن يروي مثل هذا أن يترك ويحذر»[٣].

١٢ ـ وقال ابن خلدون كلمته النابية القاسية: «وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها، وفقه انفردوا به. وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح، وعلى قولهم بعصمة الأئمة، ورفع الخلاف عن أقوالهم. وهي كلها أصول واهية. وشذّ بمثل ذلك الخوارج. ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم، بل أوسعوها جانب الإنكار والقدح، فلا نعرف شيئاً من مذاهبهم، ولا نروي كتبهم، ولا أثر لشيء منها إلا في مواطنهم. فكتب الشيعة في بلادهم، وحيث كانت دولتهم قائمة...»[٤].

وهو وإن أغرق في النيل من أهل البيت عليهم السلام والتعدي عليهم. بل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي جعلهم مرجعاً لأمته، يعصمهم من الضلال والهلكة. إلا أنه صدق في توضيح موقف الجمهور من أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، ومجانبتهم لهم.

---

(١) المجروحين ٢ : ١٠٦ في ترجمة علي بن موسى الرضا، واللفظ له. تهذيب التهذيب ٧ : ٣٣٩ في ترجمة علي بن موسى الرضا. سير أعلام النبلاء ٩ : ٣٨٩ في ترجمة علي الرضا.

(٢) المغني في الضعفاء ٢ : ٤٥٦، واللفظ له. ميزان الاعتدال ٥ : ١٩٢ في ترجمة علي ابن موسى الرضا.

(٣) تهذيب التهذيب ٧ : ٣٣٩ في ترجمة علي بن موسى الرضا.

(٤) مقدمة ابن خلدون ١ : ٤٤٦ الفصل السابع في علم الفقه وما يتبعه من فرائض.

كما أنه صار بذلك شاهد صدق للشيعة فيما ينسبونه لأهل البيت (صلوات الله عليهم)، ويأتمون بهم فيه، بينما يحاول الجمهور أن يكذبوا الشيعة في نسبة ذلك لهم عليهم السلام.

وليت شعري إذا كان هؤلاء الأئمة (صلوات الله عليهم) كما يذكر هؤلاء الرجال في العلم، وضعف الحديث، والشذوذ وغير ذلك، فمن هم إذاً الذين جعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أماناً لأمته من الضلال والهلكة؟![1].

هذا سؤال لا ينبغي للعاقل الرشيد أن يهمله، بل عليه أن يجد ويجتهد في التعرف على جوابه، ليصل إلى نتيجة مقنعة، تصلح عذراً بين يدي الله تعالى يوم يعرض عليه، ويقف بين يديه ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[2].

بعض مواقف عامة الجمهور من أئمة أهل البيت عليهم السلام

أما عامة الجمهور فقد تبعوا علماءهم في هذا الموقف. وربما اندفعوا ـ تلقائياً أو بدفع من بعض علمائهم ـ اندفاعات طريفة، وأغرقوا في إظهار مجانبتهم لأهل البيت(صلوات الله عليهم)، في مواقف وفعاليات نذكر منها ما يلي..

١ ـ قال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٦٣هـ: «وكان أبو تغلب قد قارب بغداد، فثار العيارون بها، وأهل الشر بالجانب الغربي، ووقعت فتنة عظيمة بين السنة والشيعة. وحمل أهل سوق

---

(١) كما تضمنه حديث الثقلين وحديث: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من تخلف عنها غرق، وغيرهما من الأحاديث الكثيرة التي يأتي التعرض لبعضها في المواضع المناسبة من حوارنا هذا.

(٢) سورة الدخان الآية:٤١.

الطعام ـ وهم من أهل السنة ـ امرأة على جمل، وسموها عائشة، وسمى بعضهم نفسه طلحة، وبعضهم الزبير، وقاتلوا الفرقة الأخرى، وجعلوا يقولون: نقاتل أصحاب علي بن أبي طالب. وأمثال هذا من الشر»[١].

وقال ابن كثير: «فيها في عاشوراء عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض، ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والرافضة. وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه، بعيد عن السداد. وذلك أن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة، وسموها عائشة، وتسمى بعضهم بطلحة، وبعضهم بالزبير، وقالوا: نقاتل أصحاب علي. فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير»[٢].

٢ ـ ويبدو أن الجمهور من السنة حين عجزوا عن منع الشيعة عن إقامة المآتم على سيد الشهداء الإمام الحسين (صلوات الله عليه وسلامه) وزيارته حاولوا مناقضتهم بإقامة شعائر ومآتم يثبتون بها هويتهم.

ولم يخطر في بالهم أن يقولوا للشيعة: نحن أولى بالحسين وبأهل البيت عليهم السلام منكم، ثم يقيموا شعائر العزاء على الإمام الحسين عليه السلام وزيارته على طريقتهم، وبنحو يناسب عقيدتهم. بل بدلاً من ذلك أقاموا شعائرهم للعزاء على أعداء أهل البيت وتكريمهم.

فعملوا المآتم على مصعب بن الزبير، كما يعمل الشيعة المآتم على الحسين، وزاروا قبره كما زار الشيعة قبر الحسين عليه السلام. وداموا على هذا الشعار سنين[٣].

---

(١) الكامل في التاريخ ٧ : ٣٤٠ في أحداث سنة ثلاث وستين وثلاثمائة: ذكر استيلاء بختيار على الموصل وما كان من ذلك.

(٢) البداية والنهاية ١١ : ٢٧٥ في أحداث سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.

(٣) البداية والنهاية ١١ : ٣٢٦ في أحداث سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، ١١: ٣٣٢ في أحداث سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. الكامل في التاريخ ٨ : ١٠ في أحداث سنة تسع وثمانين وثلاثمائة.

ومن الظاهر أن مصعب بن الزبير لا يحمل أي صفة تقتضي الولاء والتقديس. ولا يظهر لنا مبرر لاختياره إلا ما عرف من عداء الزبيريين لأهل البيت (صلوات الله عليهم). فكان ذلك من عامة الجمهور عملاً اندفاعياً يبرز ما كمن في نفوسهم من الانحراف عن أهل البيت (صلوات الله عليهم).

٣ـ وبلغ الاندفاع ضد أهل البيت(صلوات الله عليهم) أشده في الفتنة التي أثارها السنة ضد الشيعة في بغداد، على ما ذكره ابن الأثير، حيث قال: «وكان سبب هذه الفتنة أن أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السماكين وأهل القلائين في عمل ما بقي من باب مسعود. ففرغ أهل الكرخ، وعملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذهب: محمد وعلي خير البشر.

وأنكر السنة ذلك، وادعوا أن المكتوب: محمد وعلي خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبى فقد كفر. وأنكر أهل الكرخ الزيادة، وقالوا: ما تجاوز ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا.

فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب العباسيين، ونقيب العلويين ـ وهو عدنان بن الرضي ـ لكشف الحال وإنهائه. فكتبا بتصديق قول الكرخيين، فأمر حينئذٍ الخليفة ونواب الرحيم بكف القتال، فلم يقبلوا.

وانتدب ابن المذهب القاضي،والزهيري، وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبدالصمد، [أن] يحمل العامة على الإغراق في الفتنة... وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة، فمحوا: (خير البشر) وكتبوا: (عليهما السلام) فقالت السنة: لا نرضى إلا أن يقلع الآجر الذي عليه محمد وعلي، وأن لا يؤذن: حي على خير العمل. وامتنع الشيعة من ذلك. ودام القتال إلى ثالث من ربيع الأول.

وقتل فيه رجل هاشمي من السنة، فحمله أهله على نعش، وطافوا به في

الحربية وباب البصرة وسائر محال السنة، واستنفروا الناس للأخذ بثأره... .

فلما رجعوا من دفنه قصدوا مشهد باب التبن[١]، فأغلق بابه، فنقبوا سوره، وتهددوا البواب، فخافهم، وفتح الباب، فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل، ومحاريب ذهب وفضة، وستور وغير ذلك، ونهبوا ما في الترب والدور. وأدركهم الليل، فعادوا.

فلما كان الغد كثر الجمع، فقصدوا المشهد، وأحرقوا جميع الترب والآزاج، واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي، والجوار، والقبتان الساج اللتان عليهما. واحترق ما يقابلهما ويجاورهما... وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله.

فلما كان الغد خامس الشهر عادوا، وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن علي، لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل. فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر، فجاء الحفر إلى جانبه. وسمع أبو تمام نقيب العباسيين وغيره من الهاشميين والسنة الخبر، فجاؤوا، ومنعوا عن ذلك...»[٢].

وما ذكرناه من الشواهد وغيرها مما قد يظهر للباحث المنصف يوضح انفصال الجمهور عن أئمة أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) ومجانبتهم لهم. ولا منشأ لذلك إلا شعور الجمهور بأن الأئمة (صلوات الله عليهم) يباينونهم عقائدياً، وفقهياً، وثقافياً، كما ذكرنا.

---

(١) وهو مشهد الإمامين أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم، وأبي جعفر محمد بن علي الجواد (صلوات الله عليهما). وفيه قبورهما.

(٢) الكامل في التاريخ ٨ : ٣٠١ ـ ٣٠٢ في ذكر الفتنة بين العامة ببغداد وإحراق المشهد (على ساكنيه السلام)، من حوادث سنة: ٤٤٣.

اهتمام الأئمة عليهم السلام بهداية الأمة وتثقيفها

أما الأئمة (صلوات الله عليهم) فهم ورثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحملة علومه. ويرون وظيفتهم هداية الأمة من بعده، وتثقيفها الثقافة الصحيحة الرشيدة، فكان من اهتماماتهم بث علومهم ومعارفهم في المسلمين.

وقد اشتهر عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنه كان يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني»(1).

وقال كميل بن زياد في حديثه المشهور: «أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأخرجني إلى الجبان، فلما أصحر تنفس الصعداء، ثم قال: يا كميل إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما

---

(1) المستدرك على الصحيحين ٢ : ٣٨٣ كتاب التفسير: تفسير سورة إبراهيم. السنن الواردة في الفتن ٤ : ٨٣٨ باب من الأشراط والدلائل والعلامات، ٦ : ١١٩٦ باب من قال إن صافي بن صياد هو الدجال. ومثله في تفسير الطبري ١٣ : ٢٢١، والمستدرك على الصحيحين ٢ : ٥٠٦ كتاب التفسير: تفسير سورة الذاريات، ومعتصر المختصر ٢ : ٣٠٢ في مناقب علي، ولكن بدل (تفقدوني) (لاتسألوني). وورد بألفاظ أخرى مختلفة في كل من الأحاديث المختارة ٢ : ٦١ فيما رواه خالد بن عرعرة عن علي عليه السلام، ومجمع الزوائد ٤ : ٢٦٩ كتاب النكاح: باب فيما يحرم من النساء وغير ذلك، والمصنف لابن أبي شيبة ٣ : ٥٣٠ كتاب النكاح: ما جاء في إتيان النساء في أدبارهن وما جاء فيه من الكراهة، و ٥ : ٣١٢ كتاب الأدب: من كان يستحب أن يسأل ويقول سلوني، و ٧ : ٥٢٨ كتاب الفتن: ما ذكر في عثمان، ومسند الشاشي ٢ : ٩٦، ومسند البزار ٢ : ٣٠٤، ومسند أبي يعلى ١ : ٣١١ في مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمالي المحاملي : ١٩٢، والفتن لنعيم بن حماد ١ : ٤٠، وفتح الباري ١١ : ٢٩١، وتحفة الأحوذي ٧ : ٢٧، وفيض القدير ٤ : ٣٥٧، وحلية الأولياء ٤ : ٣٦٦ في ترجمة أبي صالح الحنفي، وتهذيب التهذيب ٧ : ٢٩٧ في ترجمة علي بن أبي طالب، وتهذيب الكمال ٢٠ : ٤٨٧ في ترجمة علي بن أبي طالب، والطبقات الكبرى ٢ : ٣٣٨ في ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والإصابة ٤ : ٥٦٨ في ترجمة علي بن أبي طالب، وتهذيب الأسماء: ٣١٧، وتالي تلخيص المتشابه ١ : ٦٢، وأخبار مكة ٣ : ٢٢٨ ذكر أوائل الأشياء التي حدثت بمكة في قديم الدهر إلى يومنا هذا.

أقول لك: الناس ثلاثة. فعالم رباني. ومتعلم على سبيل نجاة. وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق...».

ثم أطال عليه السلام في بيان فضيلة العلم وفرضه، ثم قال: «ها إن ههنا لعلماً جماً ـ وأشار إلى صدره ـ لو أصبت له حملة...»(١).

وفي حديث عمير بن إسحاق قال: «دخلت أنا ورجل على الحسن بن علي نعوده، فقال: يا فلان سلني، قال: لا والله لا نسألك حتى يعافيك الله ثم نسألك، قال: ثم دخل ثم خرج إلينا، فقال: سلني قبل أن لا تسألني...»(٢).

وعن عمرو بن أبي المقدام أنه قال: «كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين. قد رأيته واقفاً عند الجمرة يقول: سلوني سلوني»(٣).

وعن صالح بن أبي الأسود: «سمعت جعفر بن محمد يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي»(٤). وقد ورد عنهم (صلوات الله عليهم) الكثير من ذلك.

---

(١) نهج البلاغة ٤ : ٣٦، واللفظ له. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر : ٥٧. كنز العمال ١٠ : ٢٦٣ حديث: ٢٩٣٩١. تاريخ بغداد ٦ : ٣٧٦ في ترجمة إسحاق بن محمد ابن أحمد بن أبان. تاريخ دمشق ٥٠ : ٢٥٢ في ترجمة كميل بن زياد. تهذيب الكمال ٢٤: ٢٢٠ في ترجمة كميل بن زياد. تذكرة الحفاظ ١ : ١١ في ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. حلية الأولياء ١ : ٨٠ في ترجمة علي بن أبي طالب. التدوين في أخبار قزوين ٣ : ٢٠٩. صفوة الصفوة ١: ٣٢٩ـ٣٣٠.

(٢) حلية الأولياء ٢: ٣٨، صفوة الصفوة ١: ٧٦١، سير أعلام النبلاء ٣: ٢٧٣، تاريخ دمشق ١٣: ٢٨٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٥٧ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق. الكامل في ضعفاء الرجال ٢: ١٣٢ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق. تهذيب الكمال ٥ : ٧٩ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق.

(٤) تذكرة الحفاظ ١ : ١٦٦ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق. سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٥٧ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق. تهذيب الكمال ٥ : ٧٩ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق.

اهتمام الأئمة عليهم السلام بشيعتهم بعد أن أعرض الجمهور عنهم

وقد رأى الأئمة (صلوات الله عليهم) انحراف جمهور الناس عنهم، وعدم قبولهم منهم. ولقد عزّ عليهم ذلك، حتى روي عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنه قال: «ما ندري كيف نصنع بالناس إن حدثناهم بما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضحكوا، وإن سكتنا لم يسعنا...»[١].

وعن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: «بلية الناس علينا عظيمة، إن دعوناهم لم يستجيبوا لنا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا»[٢].

وروي نحوه عن ولده الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام[٣].

فاضطروا إلى مداراة الجمهور ومجاراتهم بالتقية والكتمان. وتوجهوا لشيعتهم، واختصوا بهم، واستراحوا إليهم، وأفضوا إليهم بسرهم، وثقفوهم بثقافتهم، وأفاضوا عليهم من علومهم، في العقيدة، والفقه، والأخلاق، والسلوك، وسائر المعارف الإلهية التي اختصوا بها، وراثة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الشهرستاني ـ عن الإمام الصادق عليه السلام ـ: «وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد في الدنيا، وورع كامل عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم...»[٤].

وبذلك فاز شيعتهم بأفضل نصيب، وأعظم مغنم، وأصفى مورد

---

(١) الكافي ٣ : ٢٣٤ باب: إن الميت يمثل له ماله وولده وعمله قبل موته حديث: ٤.

(٢) الإرشاد ٢ : ١٦٧ ـ ١٦٨. إعلام الورى بأعلام الهدى ١ : ٥٠٨. الخرائج والجرائح ٢ : ٨٩٣. مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٣٦. كشف الغمة ٢ : ٣٣٩ـ٣٤٠. بحار الأنوار ٢٦ : ٢٥٣، ٤٦ : ٢٨٨.

(٣) الأمالي للصدوق : ٧٠٧. خاتمة مستدرك وسائل الشيعة ٢١ : ١٤٢. بحار الأنوار ٢٣ : ٩٩.

(٤) الملل والنحل ١: ٢٧٢.

ومشرب. وتميزوا بذلك وشرفوا به، واستغنوا عمن عدا الأئمة عليهم السلام، بل زهدوا فيهم، وأعرضوا عنهم.

فرض مقام أئمة أهل البيت عليهم السلام في الواقع الإسلامي

نعم، اقتضت عناية الله تعالى ـ تأكيداً للحجة ـ فرض أئمة أهل البيت عليهم السلام في الواقع الإسلامي، بعلمهم، وجهادهم، وتقواهم، وحكمتهم، وجميل سيرتهم، وبما ورد فيهم ـ كتاباً وسنة ـ من تعظيم وتبجيل، وبجهود شيعتهم، وتضحياتهم وإصرارهم. بل ارتفعوا بذلك عن مرتبة التكريم والتعديل، إلى مقام التعظيم والتقديس.

وحين أدرك بعض أعلام الجمهور ذلك، ورأوا فيه نقطة ضعف عليهم، وعلى عقائدهم، حاولوا إنكار ما تسالمت عليه الشيعة في تحديد موقف أهل البيت (صلوات الله عليهم) في أمر الخلافة والإمامة، وما يتعلق بذلك، وادعوا عدم خروج أئمة أهل البيت عليهم السلام عما عليه الجمهور، ورضاهم بخلافة الأولين، تشبثاً ببعض الأحاديث النادرة، والتصرفات الصادرة عنهم عليهم السلام، التي هي قاصرة دلالة، أو مكذوبة عليهم عليهم السلام، أو ضعيفة سنداً، أو صادرة لتقية أو نحوها، من دون أن تصلح لمعارضة ما سبق، مما يجعل اعتقاد الأئمة (صلوات الله عليهم) باختصاص الإمامة والخلافة بهم، واغتصابها منهم، وتظلمهم عليهم السلام من ذلك، وإنكارهم على من قام به، حقيقة قائمة واضحة جلية، لا يعترضها شك، ولا يعتريها ريب.

وإلا فما من حقيقة مهما اتضحت إلا وتوجد بعض الشبهات أمامها، يثيرها من يحاول التعتيم على تلك الحقيقة، أو المكابرة فيها. خصوصاً مثل هذه الحقيقة التي صعبت على ذوي العدد والعدة، وضادت السلطان الغالب، ووقفت منه موقف المنكر الفاضح.

لكن ذلك لا ينهض دليلاً على كذبها، ولا حجة على إنكارها، ولا سبباً للتشكيك فيها يمنع الركون إليها والإذعان بها، بعد وضوحها وجلائها للمتدبر المنصف.

ويؤكد ذلك أمران:

التصريحات الصادرة عن الأئمة عليهم السلام وخواصهم في أمر الخلافة

الأول: جملة وافرة من التصريحات الصادرة عنهم عليهم السلام وعن خواصهم ممن اتفقت الكلمة على وثاقتهم وجلالتهم. وقد تضمنت الشكوى مما حصل في أمر الخلافة، والتظلم منه، والإنكار على من قام به، بنحو لا يناسب الرضا بما وقع، والإمضاء له، بحيث يضفي الشرعية عليه، ويخرج القائمين به عن حدّ التجاوز والعدوان.

وتلك التصريحات مثبتة في كتب غير الشيعة، أو من المشهورات التي لا ريب في صدورها، أو صدور بعضها إجمالاً. ولا مجال لإنكار الجمهور لها جملة وتفصيلاً.

تصريحات أمير المؤمنين عليه السلام في أمر الخلافة

فهذا أمير المؤمنين عليه السلام قد أكثر من الشكوى من أخذ حقه، والتظلم من ذلك، وممن قام به..

١ ـ فخطبته المعروفة بالشقشقية مليئة بذلك في حق كل من استولى على الحكم دونه.

يقول فيها: «أما والله لقد تقمصها فلان، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليَّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح

فيها مؤمن حتى يلقى ربه. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى. فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى أرى تراثي نهباً. حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده... لشد ما تشطرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء، يغلظ كلامها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها... فمني الناس ـ لعمر الله ـ بخبط، وشماس، وتلون، واعتراض. فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة. حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة، زعم أني أحدهم. فيالله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر... فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن. إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته...»[١].

ويأتي عند الكلام في موقف ابن عباس في أمر الخلافة بعض الكلام في توثيق هذه الخطبة.

٢ ـ وقال عليه السلام في كلام له في أمر طلحة والزبير: «فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي، مستأثراً علي، منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حتى يوم الناس هذا»[٢].

٣ ـ وقال عليه السلام في التعقيب على ما حدث في السقيفة: «فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجى، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمرّ من طعم العلقم»[٣].

٤ ـ وقال عليه السلام: «إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من

---

(١)، (٢) نهج البلاغة ١ : ٣٠ـ ٣٥، ٤٢.

(٣) نهج البلاغة ١ : ٦٧، واللفظ له. تقوية الإيمان لمحمد بن عقيل : ٦٨.

هاشم لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم»[١].

٥ ـ وقال عليه السلام: «حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه. معادن كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، وذهلوا في السكرة، على سنة من آل فرعون، من منقطع إلى الدنيا راكن، أو مفارق للدين مباين»[٢].

٦ ـ وقد سأله بعض أصحابه: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟

فقال عليه السلام: «فإنها كانت إثرة، شحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين. والحكم لله، والمَعْوَد إليه القيامة»[٣].

٧ ـ وقال عليه السلام في كتاب له إلى أخيه عقيل: «فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، وجماحهم في التيه، فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلي. فجزت قريشاً عني الجوازي، فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن أمي»[٤].

٨ ـ وقال عليه السلام في كتاب له إلى معاوية: «وكتاب الله يجمع لنا ما شذَّ عنا، وهو قوله سبحانه: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ

---

(١) نهج البلاغة ٢ : ٢٧.

(٢) نهج البلاغة ٢ : ٣٦ ـ ٣٧.

(٣) نهج البلاغة ٢ : ٦٣ ـ ٦٤.

(٤) نهج البلاغة ٣ : ٦١، واللفظ له. الإمامة والسياسة ١ : ٥١ في خروج علي من المدينة.

(٥) سورة الأنفال الآية: ٧٥.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]... ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلجوا عليهم. فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم... وقلت: إني أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع. ولعمرالله لقد أردت أن تذم فمدحت، وأن تفضح فافتضحت. وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً، ما لم يكن شاكاً في دينه، ولا مرتاباً بيقينه. وهذه حجتي إلى غيرك قصدها، ولكني أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها...»[٢].

٩ ـ وقوله عليه السلام: «أيها الناس إنكم قد أبيتم إلا أن أقولها. ورب السماء والأرض إن من عهد النبي الأمي إليَّ: إن الأمة ستغدر بك بعدي»[٣].

قال ابن أبي الحديد: «وقد روى أكثر أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقريب منه»[٤].

١٠ ـ وقوله عليه السلام: «لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم».

قال ابن أبي الحديد: «ومن كتاب معاوية المشهور إلى علي عليه السلام: وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار، ويدك في يدي ابنيك الحسن والحسين، يوم بويع أبو بكر الصديق، فلم تدع أحداً من أهل بدر

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٦٨.

(٢) نهج البلاغة ٣ : ٣٠.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤ : ١٠٧. وروي بهذا اللفظ أو بما يقرب منه في المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٥٠، ١٥٣ في ذكر إسلام أمير المؤمنين علي. ومسند الحارث ٢ : ٩٠٥. تذكرة الحفاظ ٣ : ٩٩٥ في ترجمة الدارقطني. وتاريخ دمشق ٤٢ : ٤٤٧، ٤٤٨ في ترجمة علي بن أبي طالب. والبداية والنهاية ٦ : ٢١٨ في إخباره بمقتل علي بن أبي طالب، ٧ : ٣٢٦ في ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.... وتاريخ بغداد ١١ : ٢١٦ في ترجمة عمر بن الوليد بن أبان الكرابيسي.

(٤) شرح نهج البلاغة ٤ : ١٠٧.

والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك، ومشيت إليهم بامرأتك، وأدليت إليهم بابنيك، واستنصرتهم على صاحب رسول الله، فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة. لعمري لو كنت محقاً لأجابوك. ولكنك ادعيت باطلاً، وقلت ما لا يعرف، ورمت ما لا يدرك. ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حركك وهيجك: لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم. فما يوم المسلمين منك بواحد، ولا بغيك على الخلفاء بطريف، ولا مستبدع»[١].

وتجد كلمة أمير المؤمنين عليه السلام هذه بمعناها في وقعة صفين[٢].

١١ ـ وقال عليه السلام: «كنت في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كجزء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ينظر إليّ الناس كما ينظر إلى الكواكب في أفق السماء. ثم غض الدهر مني فقرن بي فلان وفلان، ثم قرنت بخمسة أمثلهم عثمان، فقلت: واذفراه...»[٣].

١٢ ـ وقال عليه السلام في أول إمارته: «فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قلنا: نحن أهله، وورثته، وعترته، وأولياؤه، دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبينا، فصارت الإمرة [الإمارة] لغيرنا، وصرنا سوقة، يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الذليل، فبكت الأعين منا لذلك، وخشيت [خشنت.ظ] الصدور، وجزعت النفوس. وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر ويبور الدين، لكنا على غير ما كنا لهم عليه»[٤].

١٣ ـ وقال عليه السلام لما أراد المسير إلى البصرة: «إن الله لما قبض نبيه

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢ : ٤٧.

(٢) وقعة صفين : ١٦٣.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ٣٢٦.

(٤) شرح نهج البلاغة ١ : ٣٠٧.

استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة. فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم، والناس حديثو عهد بالإسلام، والدين يمخض مخض الوطب، يفسده أدنى وهن، ويعكسه أقل خلف... فما بال طلحة والزبير، وليسا من هذا الأمر بسبيل... يرتضعان أمّاً قد فطمت، ويحييان بدعة قد أميتت...»[١].

١٤ ـ وقال عليه السلام: «بايع الناس لأبي بكر، وأنا والله أولى بالأمر منه، وأحق منه، فسمعت وأطعت، مخافة أن يرجع الناس كفاراً، يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع الناس عمر، وأنا والله أولى بالأمر منه، وأحق منه، فسمعت وأطعت، مخافة أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف. ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان!! إذاً أسمع وأطيع. وإن عمر جعلني في خمسة نفر أنا سادسهم، لا يعرف لي فضلاً عليهم في الصلاح، ولا يعرفونه لي، كلنا فيه شرع سواء.

وأيم الله لو أشاء أن أتكلم، ثم لا يستطيع عربيهم ولا عجميهم ولا معاهد منهم ولا المشرك أن يرد خصلة منها، لفعلت...»[٢].

١٥ ـ وقال عليه السلام: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن اجتمعوا عليك فاصنع ما أمرتك، وإلا فألصق كلكلك بالأرض. فلما تفرقوا عني جررت على المكروه ذيلي، وأغضيت على القذى جفني، وألصقت بالأرض كلكلي»[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١ : ٣٠٨.

(٢) تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٣٤ في ترجمة علي بن أبي طالب، واللفظ له. كنز العمال ٥: ٧٢٤ حديث: ١٤٢٤٣. ميزان الاعتدال ٢ : ١٧٨ في ترجمة الحارث بن محمد. لسان الميزان ٢ : ١٥٦ في ترجمة الحارث بن محمد. الضعفاء للعقيلي ١ : ٢١١ في ترجمة الحارث بن محمد.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ٣٢٦.

١٦ ـ وروي أنه لامته الصديقة فاطمة عليها السلام على قعوده، وأطالت تعنيفه، وهو ساكت، حتى أذن المؤذن، فلما بلغ قوله: أشهد أن محمداً رسول الله. قال لها: «أتحبين أن تزول هذه الدعوة من الدنيا؟» قالت: لا. قال: «فهو ما أقول لك»[1].

١٧ ـ وقال عليه السلام: «كل حقد حقدته قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أظهرته فيَّ، وستظهره في ولدي من بعدي. مالي ولقريش، إنما وترتهم بأمر الله وأمر رسوله، أفهذا جزاء من أطاع الله ورسوله إن كانوا مسلمين؟!»[2].

١٨ ـ وقال عليه السلام: «لقد أخافتني قريش صغيراً، وأنصبتني كبيراً، حتى قبض الله رسوله، فكانت الطامة الكبرى، والله المستعان على ما تصفون»[3].

١٩ ـ وقال عليه السلام: «اللهم إني استعديك على قريش، فإنهم اضمروا لرسولك صلى الله عليه وآله وسلم ضروباً من الشر والغدر، فعجزوا عنها، وحلت بينهم وبينها، فكانت الوجبة بي، والدائرة عليّ. اللهم احفظ حسناً وحسيناً، ولا تمكن فجرة قريش منهما ما دمت حياً، فإذا توفيتني فأنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد»[4].

٢٠ ـ وقال له قائل: يا أمير المؤمنين، أرأيت لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك ولداً ذكراً قد بلغ الحلم، وآنس منه الرشد، أكانت العرب تسلم إليه أمرها؟

قال: «لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت. إن العرب كرهت أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه،

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ٣٢٦.
(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ٣٢٨. ينابيع المودة ١ : ٤٠٧.
(٣) شرح نهج البلاغة ٤ : ١٠٨.
(٤) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ٢٩٨.

حتى قذفت زوجته، ونفرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها، وجسيم مننه عندها، وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته.

ولولا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة، وسلما إلى العز والإمرة، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكراً. ثم فتح الله عليها الفتوح، فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا.

ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها. فتأكد عند الناس نباهة قوم، وخمول آخرين. فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها. ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف.

وما عسى أن يكون الولد لو كان!. إن رسول الله ﷺ لم يقربني بما تعلمونه من القرب للنسب واللحمة، بل للجهاد والنصيحة، أفتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت؟! وكذلك لم يكن يقرب ما قربت. ثم لم يكن عند قريش والعرب سبباً للحظوة والمنزلة، بل للحرمان والجفوة.

اللهم إنك تعلم أني لم أرد الإمرة، ولا علو الملك والرياسة، وإنما أردت القيام بحدودك، والأداء لشرعك، ووضع الأمور في مواضعها، وتوفير الحقوق على أهلها، والمضي على منهاج نبيك، وإرشاد الضال إلى أنوار هدايتك»[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ٢٩٨ـ٢٩٩.

٢١ ـ وقال عليه السلام في أول خطبة خطبها في خلافته: «استتروا في بيوتكم، وأصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم. من أبدى صفحته للحق هلك. قد كانت [لكم] أمور [ملتم فيها عليَّ ميلة] لم تكونوا عندي فيها محمودين ولا مصيبين. أما إني لو أشاء لقلت. عفا الله عما سلف. سبق الرجلان، وقام الثالث كالغراب همته بطنه. ويحه لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له...»[(١)].

وقال ابن أبي الحديد: «هذه الخطبة من جلائل خطبه عليه السلام ومن مشهوراتها. قد رواها الناس كلهم... وقد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب البيان والتبيين على وجهها. ورواها عن أبي عبيدة معمر بن المثنى».

وذكر قسماً كبيراً من هذه الخطبة ابن قتيبة في عيون الأخبار[(٢)]، وابن عبد ربه في العقد الفريد[(٣)]، والمتقي الهندي في كنز العمال[(٤)]، وابن الدمشقي في مناقب الإمام علي[(٥)].

قال ابن أبي الحديد بعد ذلك: «قال شيخنا أبو عثمان (رحمه الله تعالى): وقال أبو عبيدة: وزاد فيها في رواية جعفر بن محمد عليهما السلام عن آبائه عليهم السلام: ألا إن أبرار عترتي، وأطايب أرومتي، أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً. ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا. ومن قول صادق سمعنا. فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا. ومعنا راية الحق، من تبعها لحق، ومن تأخر عنها غرق. ألا وبنا يدرك ترة كل مؤمن، وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم، وبنا فتح لا بكم،

---

(١) شرح نهج البلاغة ١ : ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٢) المجلد الثاني ٥ : ٢٣٦ كتاب العلم والبيان: الخطب: خطبة الإمام علي بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

(٣) ٤ : ٦٨ فرش كتاب الخطب: خطب أمير المؤمنين.

(٤) ٥ : ٧٤٩ ـ ٧٥٠ حديث:١٤٢٨٢.

(٥) ١ : ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

ومنا يختم لا بكم»[١]

٢٢ ـ وقال عليه السلام في خطبة له في صفين: «نحن أهل بيت الرحمة، وقولنا الصدق، ومن فعالنا القصد، ومنا خاتم النبيين، وفينا قادة الإسلام، ومنا قراء الكتاب»[٢].

فانظر إليه (صلوات الله عليه) كيف يؤكد على حق أهل البيت (صلوات الله عليهم) في قيادة الإسلام، مع حراجة موقفه، لأنه أمام معاوية الذي يتبنى نظرية شرعية خلافة الأولين، ويشنع على أمير المؤمنين عليه السلام بمخالفته في ذلك.

٢٣ ـ وقال عليه السلام في كتاب له إلى معاوية جواباً عن كتاب كتبه إليه: «وذكرت حسدي الخلفاء، وإبطائي عنهم، وبغيي عليهم. فأما البغي فمعاذ الله أن يكون. وأما الإبطاء عنهم والكراهية لأمرهم فلست اعتذر إلى الناس من ذلك... وقد كان أتاني أبوك حين ولى الناس أبا بكر، فقال: أنت أحق بمقام محمد... حتى كنت أنا الذي أبيت، لقرب عهد الناس بالكفر، مخافة الفرقة بين أهل الإسلام...»[٣].

٢٤ ـ وقال عليه السلام لولده: «وايم الله يا بني ما زلت مبغياً عليّ منذ هلك جدك»[٤].

٢٥ ـ وقال لأبي عبيدة: «يا أبا عبيدة طال عليك العهد فنسيت؟! أم

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١ ص٢٧٦.

(٢) وقعة صفين: ٢٢٤

(٣) شرح نهج البلاغة ١٥: ٧٧ـ٧٨ واللفظ له. المناقب للخوارزمي: ٢٥٠ـ٢٥٤. العقد الفريد ٤: ٣٠٩ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: خلافة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: أخبار علي ومعاوية. أنساب الأشراف ٣: ٦٩ أمر صفين.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ٤٥ بيعة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وكيف كانت.

نافست فأنسيت؟! لقد سمعتها ووعيتها، فهلا رعيتها! »[١].

٢٦ ـ وقال عن سالم مولى أبي حذيفة: «ويلي على العبد اللئيم عبد بني ربيعة نزع به عرق الشرك العبشمي إلى مساءتي، وتذكر دم الوليد وعتبة وشيبة. أولى له. والله ليريَنّي في موقف يسوؤه، ثم لا يجد هناك فلاناً وفلاناً»[٢].

٢٧ ـ وقال عليه السلام: «أول من جرأ الناس علينا سعد بن عبادة. فتح باباً ولجه غيره، وأضرم ناراً كان لهبها عليه، وضوؤها لأعدائه»[٣].

٢٨ ـ وفي حديث لعمر بن الخطاب مع ابن عباس، يقول عنه ابن عباس: «قال: كيف خلفت ابن عمك؟ فظننته يعني عبدالله بن جعفر. قلت: خلفته يلعب مع أترابه.

قال: لم أعن ذلك إنما عنيت عظيمكم أهل البيت. قلت: خلفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان، وهو يقرأ القرآن.

قال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتنيها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟

قلت: نعم.

قال: أيزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نص عليه؟

قلت: نعم. وأزيدك. سألت أبي عما يدعيه، فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمره ذرو من قول لا

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ٣٠٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ٢٩٦. وسالم هذا هو مولى أبي حذيفة بن عتبة. وقد قتل عتبة هو وابنه الوليد وأخوه شيبة مبارزة يوم بدر. وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام بكلامه هذا إلى أن موقف سالم العدائي من أمير المؤمنين عليه السلام إنما كان ثأراً لمواليه الذين قتلوا يوم بدر.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ٣٠٧ـ٣٠٨.

يثبت حجة، ولا يقطع عذراً. ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما. ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه، فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام. لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها. فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أني علمت ما في نفسه، فأمسك. وأبى الله إلا إمضاء ما حتم»[١].

٢٩ ـ وقال عليه السلام: «وقال قائلهم: إنك يا ابن أبي طالب، على الأمر لحريص. قلت لهم: أنتم أحرص. أما أنا إذا طلبت ميراث ابن أبي وحقه! وأنتم إذا دخلتم بيني وبينه وتضربون وجهي دونه، اللهم إني استعين بك على قريش، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي وفضلي، واجتمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به منهم، فسلبونيه، ثم قالوا: اصبر كمداً وعش متأسفاً فنظرت فإذا ليس معي رفاق ولا مساعد إلا أهل بيتي، فضننت بهم على الهلاك، فأغضيت عيني على القذى، وتجرعت رفيق (كذا) على الشجا، وصبرت من كظم الغيض على أمر من العلقم طعماً، وآلم للقلب من حز الحديد...»[٢].

تواتر الأخبار بشكوى أمير المؤمنين عليه السلام مما حصل

قال ابن أبي الحديد تعقيباً على كلامه هذا: «واعلم أنه قد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بنحو من هذا القول نحو قوله: ما زلت مظلوماً منذ قبض الله رسوله حتى يوم الناس هذا. وقوله: اللهم اخز قريشاً، فإنها منعتني حقي، وغصبتني أمري... وقوله وقد سمع صارخاً ينادي: أنا مظلوم. فقال: هلم فلنصرخ معاً، فإني ما زلت مظلوماً... وقوله: أصغيا

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٢ : ٢٠ ـ ٢١.

(٢) الإمامة والسياسة ١ : ١٢٦ ـ ١٢٧ ما كتب علي لأهل العراق، وقريب منه في نهج البلاغة ٢ : ٨٤ـ٨٥.

بإنائنا، وحملا الناس على رقابنا... وقوله: ما زلت مستأثراً عليّ، مدفوعاً عما استحقه واستوجبه»[١].

وذكر في مطاوي ذلك جملة مما تقدم ذكره، ولم نذكره استغناء بذكره فيما سبق.

وروى ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب السقيفة للجوهري، وكتاب مقتل عثمان والشورى للشعبي، وغيرها، كثيراً من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الدال على أنه يرى أن الحق له ولأهل بيته، وأنهم مظلومون مقهورون، لم يسكتوا إلا خوفاً على أنفسهم أو على الإسلام، مع التبرم من ذلك، والتأفف ممن قام به[٢]... إلى غير ذلك مما تضمنته كتب الحديث والتاريخ.

تعقيب ابن أبي الحديد على شكوى أمير المؤمنين عليه السلام

قال ابن أبي الحديد في تعقيب الكلام السابق: «وأصحابنا يحملون ذلك كله على ادعائه الأمر بالأفضلية والأحقية. وهو الحق والصواب، فإن حمله على الاستحقاق بالنص تكفير أو تفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار. ولكن الإمامية والزيدية حملوا هذه الأقوال على ظواهرها، وارتكبوا بها مركباً صعباً.

ولعمري إن هذه الألفاظ موهمة مغلبة على الظن ما يقوله القوم. ولكن تصفح الأحوال يبطل ذلك الظن، ويدرأ ذلك الوهم»[٣].

وما أدري كيف صار تصفح الأحوال مبطلاً لذلك، لا مؤكداً له، ومشيداً بنيانه، ومحكماً برهانه؟!

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩ : ٣٠٦ـ٣٠٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ١ : ١٨٥ ـ ١٩٤، ٢ : ٢١ـ٦٠، ٦ : ٥ ـ ٥٢، ٩ : ٤٩ ـ٥٨، وغيرها.

(٣) شرح نهج البلاغة ٩ : ٣٠٧.

كلام أمير المؤمنين عليه السلام لا يناسب الرضا بما حصل

وعلى كل حال فالكلام هنا ليس في إثبات النص، بل له مقام آخر. وإنما تدعي أنت أنه على تقدير ثبوت النص ـ كما تقول الشيعة ـ فقد حصل من الأئمة (صلوات الله عليهم) الإقرار لما حصل، والرضا به. ولا ريب في أن هذا الكلام ونحوه لا يناسب الإقرار المدعى، بل يشهد بخلافه.

موقف الصديقة الزهراء عليها السلام في أمر الخلافة

وقد خطبت الصديقة الزهراء (صلوات الله عليها) خطبتها الطويلة منكرة على أخذ فدك منها، ومهدت لذلك باستنكار ما حدث في الخلافة.

فقالت في جملة ما قالت: «حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ظهرت خلة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بكم، فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، فاستنهضكم فوجدكم خفافاً، وأجمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتموها غير شربكم. هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل. بدار [إنما] زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[1].

فهيهات منكم، وأنى بكم، وأنى تؤفكون. وهذا كتاب الله بين أظهركم، وزواجره بينة، وشواهده لائحة، وأوامره واضحة. أرغبة عنه تدبرون؟ أم بغيره تحكمون؟ ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾[2] ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ

---

(١) سورة التوبة الآية: ٤٩.

(٢) سورة الكهف الآية: ٥٠.

الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[١] ...».

ثم عرجت على أخذ فدك وأطالت في ذلك، وشددت في استنكاره حتى انتهت من خطبتها عليها السلام [٢].

وقد روي أنها التفتت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاكية، وانشدت أبيات هند بنت أثاثة:

قد كان بعدك أنباء وهينمة	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم	لما قضيت وحالت دونك الكتب
تجهمتنا رجال و استخف بنا	إذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب[٣]

أما خطبتها الصغيرة فقد جاءت كلها لاستنكار ما حصل في أمر الخلافة، والاحتجاج للحق المغتصب، فحينما عادتها النساء في مرضها قلن لها: كيف أصبحت من علتك يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قالت: «والله أصبحت عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم. فقبحاً لفلول الحد، وخور القناة، وخطل الرأي، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾، لا جرم قد قلدتهم ربقتها وشنّت عليهم غارتها.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٨٥.

(٢) بلاغات النساء لابن طيفور: ١٣ ـ ١٤ في كلام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واللفظ له. شرح نهج البلاغة ١٦ : ٢٥١. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام لابن الدمشقي ١ : ١٥٩.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٦ : ٢١٢، واللفظ له، وغريب الحديث لابن سلام ٤ : ١١٦، وتاج العروس، ولسان العرب، كلهم في مادة هنبثة، وشرح نهج البلاغة ٢ : ٥٠، ٦ : ٤٣، وغريب الحديث لابن قتيبة ١ : ٢٦٧

قد كان بعدك أنباء و هنبثة	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها	فاختل قومك فاشهدهم و لا تغب

وكذلك في البدء والتاريخ ٥ : ٦٨-٦٩ بدل فاشهدهم (فارجع ثم).

فجدعاً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين. ويحهم أين زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الروح الأمين، والطبين بأمر الدنيا والدين ألا ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾. وما الذي نقموا من أبي حسن؟!...»[١].

إلى آخر ما سبق عند التعرض للفوائد والآثار المهمة التي تترتب على تولي أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة.

قال ابن أبي الحديد، بعد ذكر كثير من الأحداث في أمر فدك، ومنها الخطبتان المذكورتان: «واعلم أنا إنما نذكر في هذا الفصل ما رواه رجال الحديث وثقاتهم، وما أودعه أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتابه، وهو من الثقات الأمناء عند أصحاب الحديث. وأما ما يرويه رجال الشيعة والأخباريون منهم في كتبهم... فشيء لا يرويه أصحاب الحديث، ولا ينقلونه...»[٢].

وما أدري أن الأخباريين من الشيعة لِمَ لا يكونون من أصحاب الحديث؟! وهل أصحاب الحديث غير رواة الأخبار؟! وهل يشترط في أصحاب الحديث أن لا يكونوا شيعة؟!

موقف الإمام الحسن عليه السلام في أمر الخلافة

وهذا الإمام أبي محمد الحسن السبط (صلوات الله عليه) ـ على ما عرف عنه من صبر وحلم ومسالمة ـ لم يغفل التنبيه على حق أهل البيت(صلوات الله عليهم) في الخلافة وأبدى استنكاره لما حدث مراراً..

١ ـ فقد اشتهر عنه عليه السلام أنه قال لأبي بكر وهو على المنبر: «انزل عن

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦ : ٢٣٣، واللفظ له. بلاغات النساء لابن طيفور: ١٩ في كلام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. جواهر المطالب لابن الدمشقي ١ : ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦ : ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

منبر أبي»[١].

٢ ـ وقال عليه السلام في كتاب له إلى معاوية حينما بويع عليه السلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام: «أما بعد فإن الله بعث محمداً رحمة للعالمين... فلما عرفت لها العرب. فهيهات ما أنصفتنا قريش...»[٢].

وقد رأى معاوية أن ذلك نقطة ضعف ينكرها على الإمام الحسن عليه السلام، فقال في جواب كتابه المتقدم: «أما بعد فقد فهمت ما ذكرت به رسول الله، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله. وذكرت تنازع المسلمين الأمر بعده، فصرحت بتهمة أبي بكر الصديق وعمر وأبي عبيدة الأمين، وصلحاء المهاجرين، فكرهت لك ذلك...»[٣].

٣ ـ وقال عليه السلام في كتاب آخر له إلى معاوية أيضاً: «أما بعد فإن الله جل جلاله بعث محمداً رحمة للعالمين... فلما توفي تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه، ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه، فرأت العرب أن القول ما قالت قريش، وأن الحجة في ذلك لهم على من نازعهم أمر محمد، فأنعمت لهم، وسلمت إليهم. ثم حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاججت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج، فلما صرنا ـ أهل بيت محمد وأولياءه ـ إلى محاجتهم، وطلب النصف منهم باعدونا واستولوا بالإجماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت

---

(١) الرياض النضرة ٢ : ١٤٨ الباب الأول في مناقب خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ذكر تواضعه. تاريخ دمشق ٣٠ : ٣٠٧ في ترجمة أبي بكر تحت عنوان عبد الله ويقال عتيق ابن قحافة. المنتظم ٤ : ٧٠ ذكر خلافة أبي بكر الصديق وأحواله: ذكر طرف من خطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته. كنز العمال ج٥ ص٦١٦ حديث: ١٤٠٨٤.

(٢) ، (٣) شرح نهج البلاغة ١٦ : ٢٤، ٢٥.

منهم لنا. فالموعد الله وهو الولي النصير.

وقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان نبينا وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، وأمسكنا من منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمونه، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده، فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله...»[١].

ولم يترك معاوية ذلك حتى قال في جواب هذا الكتاب: «وذكرت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتنازع المسلمين الأمر بعده، وتغلبهم على أبيك، فصرحت بتهمة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وأبي عبيدة الأمين وحواري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك، إنك امرؤ عندنا وعند الناس غير الظنين ولا المسيء ولا اللئيم. وأنا أحب لك القول السديد والذكر الجميل...»[٢].

٤ـ وقال ابن الأثير عن الإمام الحسن عليه السلام: «ولما عزم على تسليم الأمر إلى معاوية خطب الناس، فقال: أيها الناس، إنما نحن أمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وكرر ذلك حتى ما بقي في المجلس إلا من بكى حتى سمع نشيجه»[٣].

فانظر إليه عليه السلام كيف أكد أن الإمرة على الناس حق لأهل البيت عليهم السلام، بنحو أثار عواطفهم حتى بكوا لظلامتهم.

---

(١)، (٢) شرح نهج البلاغة ١٦ : ٣٣ـ٣٤، ٣٥.

(٣) الكامل في التاريخ ٣ : ٢٧٣ أحداث سنة إحدى وأربعين: ذكر تسليم الحسن بن علي الخلافة إلى معاوية، واللفظ له. وذكرت مع اختلاف في تاريخ الطبري ٣ : ١٦٩ في أحداث سنة إحدى وأربعين.

موقف الإمام الحسين عليه السلام في أمر الخلافة

أما الإمام أبو عبد الله الحسين السبط (صلوات الله عليه)، فقد جرى على سنن أهل بيته في التذكير بحقهم..

١ ـ فقد أنكر على عمر وهو على المنبر فقال: «انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك»، فقال له عمر: إن أبي لم يكن له منبر[١].

بل في حديث عبد الله بن كعب: «إن حسين بن علي رضي الله عنهما قام إلى عمر رضي الله عنه، وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة. فقال: انزل عن منبر جدي. فقال عمر رضي الله عنه: تأخر يا ابن أخي. قال: وأخذ حسين برداء عمر رضي الله عنهما، فلم يزل يجبذه، ويقول: انزل عن منبر جدي، وتردد عليه حتى قطع خطبته، ونزل عن المنبر، وأقام الصلاة... وحسين رضي الله عنه يومئذٍ دون المحتلم»[٢].

٢ ـ وقد تقدم منه عليه السلام في جواب السؤال الثاني قوله في وصيته لأخيه محمد ابن الحنفية: «وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣ : ٢٨٥ في ترجمة الحسين الشهيد، واللفظ له. الإصابة ٢ : ٧٧ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. معرفة الثقات ١ : ٣٠١ في ترجمة حسين بن علي ابن أبي طالب. تهذيب التهذيب ٢ : ٣٠٠ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ٦ : ٤٠٤ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تاريخ واسط ١ : ٢٠٣ في ترجمة أبي الحسين سعدبن وهب ابن سنان السلمي. تاريخ الخلفاء : ١٤٣ في ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فصل في نبذ من أخباره وقضاياه. تاريخ بغداد ١ : ١٤١ في ترجمة الحسين بن علي. بغية الطلب في تاريخ حلب ٦ : ٢٥٨٤، ٢٥٨٥ في ترجمة الحسين بن علي بن عبد مناف أبي طالب. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ١ : ٢٩٥ في ترجمة الحسين بن علي. علل الدارقطني ٢ : ١٢٥. تاريخ دمشق ١٤ : ١٧٥، ١٧٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. كنز العمال ج١٣ ص٦٥٤ حديث: ٣٧٦٦٢. تاريخ المدينة المنورة ٣ : ٧٩٩.

(٢) تاريخ المدينة المنورة ٣ : ٧٩٨.

أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب».

منبهاً بذلك إلى أن السيرة الرشيدة التي ينبغي أن تتبع هي سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام دون سيرة غيرهما ممن تسنم السلطة.

وربما يكون بذلك قد أضعف موقفه مادياً، حيث يخسر تأييد من يوالي الأولين، ويفقد تعاطفهم معه، وهم في وقت نهضته عليه السلام كثيرون، ويتعرض لتهريج الأمويين، الذين يعدون ذلك نقطة ضعف على أهل البيت عليهم السلام، نظير ما تقدم من معاوية في كتابيه للإمام الحسن (صلوات الله عليه)، وما تقدم ويأتي منه فيما كتبه لأمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام).

ولكن الإمام الحسين عليه السلام رأى أن التأكيد على مبادئ أهل البيت عليهم السلام، ومذهبهم في الحكم والسلطة، أهم من القوة المادية، وتكثير المؤيدين له والمتعاطفين معه.

٣ـ وكذلك فعل (صلوات الله عليه) حينما كتب من مكة المكرمة إلى جماعة من رؤساء البصرة كتاباً واحداً يقول فيه: «أما بعد فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه وآله وسلم. وكنا أهله، وأولياءه، وورثته، وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا، وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه...»[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٨٠ في ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام للمصير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه، واللفظ له. البداية والنهاية ٨: ١٥٧ ـ ١٥٨ في قصة الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة في طلب الإمارة وكيفية مقتله.

وكلامه عليه السلام هذا ـ كما ترى ـ صريح في التأكيد على حقهم عليهم السلام في الخلافة، وفي أن رضاهم عليهم السلام بما حصل إنما كان كراهة للفرقة وطلباً للعافية، لا لأنهم تنازلوا عن حقهم لغيرهم، ورضوا بتوليه له، وأمضوا حكمه،لأنهم يرونه أهلاً له.

موقف الإمام زين العابدين عليه السلام في أمر الخلافة

وقد جرى الإمام أبو محمد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام على سنن آبائه (صلوات الله عليهم) في التأكيد على حقهم عليهم السلام، وشجب من استأثر عليهم به في مواضع من أدعيته الشريفة.

١ ـ فقد قال عليه السلام في الدعاء الثامن والأربعين من أدعية الصحيفة الكاملة ليوم الأضحى ويوم الجمعة: «اللهم إن هذا المقام لخلفائك وأصفيائك ومواضع أمنائك، في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها، قد ابتزوها... حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين، يرون حكمك مبدلاً، وكتابك منبوذاً، وفرائضك محرفة عن جهات أشراعك، وسنن نبيك متروكة.

اللهم العن أعداءهم من الأولين والآخرين، ومن رضي بفعالهم وأشياعهم وأتباعهم».

وهو صريح في التظلم مما حصل من استلاب الحق واغتصاب المنصب، وما أدى إليه من تحريف في مسيرة الدين وأحكامه، من دون أن يستثني أحداً. بل ذيله كالصريح في التعميم.

٢ ـ وقال عليه السلام في الدعاء السادس والعشرين من أدعية الصحيفة المذكورة يدعو به لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم: «اللهم صل على محمد وآله، وتولني في جيراني وموالي العارفين بحقنا، والمنابذين لأعدائنا، بأفضل

ولايتك، ووفقهم لإقامة سنتك...».

٣ـ وقال عليه السلام في الدعاء السابع والأربعين من أدعية الصحيفة المذكورة ليوم عرفة: «اللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علماً لعبادك، ومناراً في بلادك، بعد أن وصلت حبله بحبلك، وجعلته الذريعة إلى رضوانك، وافترضت طاعته، وحذرت معصيته، وأمرت بامتثال أوامره، والانتهاء عند نهيه، وأن لا يتقدمه متقدم، ولا يتأخر عنه متأخر، فهو عصمة اللائذين، وكهف المؤمنين، وعروة المتمسكين، وبهاء العالمين... اللهم وصل على أوليائهم المعترفين بمقامهم، المتبعين منهجهم، المقتفين آثارهم، المستمسكين بعروتهم، المتمسكين بولايتهم، المؤتمين بإمامتهم، المسلمين لأمرهم، المجتهدين في طاعتهم، المنتظرين أيامهم، المادين إليهم أعينهم، الصلوات المباركات الزاكيات الناميات الغاديات الرائحات...».

وهاتان الفقرتان وإن لم يتضمنا التظلم من غصب المنصب، إلا أنهما قد تضمنتا الدعاء لأوليائهم عليهم السلام بجهات الخير في الدنيا والآخرة، مع وصف هؤلاء الأولياء بصفات تنطبق على الشيعة الإمامية، بنحو لا يشك معه الناظر في هذين الدعائين في إقراره عليه السلام لهم في عقائدهم، بما فيها عقيدتهم بعدم شرعية خلافة الأولين.

كما أن في قوله عليه السلام في الفقرة الثانية منها: «وافترضت طاعته... وأن لا يتقدمه متقدم ولا يتأخر عنه متأخر» تعريض واضح بمن تقدم عليهم عليهم السلام في الخلافة.

٤ـ وله عليه السلام كلام آخر يأتي ذكره في جواب السؤال الثامن عند التعرض لمرجعية أهل البيت (صلوات الله عليهم) للأمة.

٥ ـ ودخل عليه شاعر أهل البيت(صلوات الله عليهم) الكميت

بن زيد الأسدي (رضوان الله عليه) الشيعي العقيدة المعلن عنها بشعره، فأنشده قصيدته التي أولها:

من لقب متيم مستهام   غير ما صبوة ولا أحلام

وفيها يذكر أمير المؤمنين عليه السلام ويؤكد على وصيته، ويقول في رثائه معرضاً بالأولين:

قتلوا يوم ذلك إذ قلتوه   حكماً لا كغابر الحكام

فلما أتى على آخرها قال عليه السلام: «ثوابك نعجز عنه. ولكن ما عجزنا عنه فإن الله لا يعجز عن مكافأتك. اللهم اغفر للكميت. اللهم اغفر للكميت»، ثم قسط على نفسه وعلى أهله اربعمائة الف درهم. قال له: خذ يا أبا المستهمل.

فقال له: لو وصلتني بدانق لكان شرفاً لي، ولكن إن احببت ان تحسن إلي فادفع إلي بعض ثيابك التي تلي جسدك أتبرك بها، فقام عليه السلام فنزع ثيابه ودفعها إليه كلها. ثم قال عليه السلام:

«اللهم ان الكميت جاد في آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضن الناس، وأظهر ما كتمه غيره من الحق، فأحييه سعيداً وأمته شهيداً، وأره الجزاء عاجلاً، وأجزل له جزيل المثوبة آجلاً فإنا قد عجزنا عن مكافأته».

قال الكميت: ما زلت أعرف بركة دعائه[1]

موقف الإمام الباقر عليه السلام في أمر الخلافة

وكذلك حال الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (صلوات الله عليه)

١ـ فقد تقدم في جواب السؤال الأول عند التعرض لحديث أهل بدر، وموقف الجمهور من الصحابة، ولافتعال الأحاديث، كلام

---

(١) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ١ : ٧٠.

لـه عليه السلام، ذكره ابن أبي الحديد يتضمـن التأكيد على حق أهل البيت عليهم السلام في الخلافة،والشكوى مما حصل. فلاحظه.

٢ـ ودخل عليه الكميت بن زيد أيضاً، فأنشده قصيدته اللامية، التي يرثي فيها الحسين(صلوات الله عليه) فلما انتهى الى قوله:

يصيب به الرَّامون عن قوس غيرهم

فيـا آخـــراً أسـدى له الغَيّ أول

رفـع الإمام عليه السلام يديه إلى السـماء فقال : «اللهم اغفـر للكميت»[1].

ومن الظاهر أن هذا البيت من القصيدة يتضمن التعريض بالأولين، وأنهم اسسـوا ظلم أهـل البيت(صلوات الله عليهم) وجـرؤوا من بعدهم عليهم. وفي سماعه عليه السلام منه ودعائه له إقرار لذلك.

موقف الإمام الصادق عليه السلام في أمر الخلافة

وحدث مثل ذلك للإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق(صلوات الله عليه)

١ ـ ففـي حديث محمد بن سـهل صاحب الكميت قال: «دخلت مع الكميـت عـلى أبي عبـد الله جعفر بن محمـد عليهما السلام، فقال لـه : جعلت فداك ألا أنشـدك؟ قـال: إنها أيام عظام. قال: إنها فيكـم. قال: هات . وبعث أبو عبـد الله عليه السلام إلى بعـض أهله فقرب، فأنشـده، فكثر البـكاء حين أتى على هذا البيت:

يصيب به الرَّامون عن قوس غيرهم

فيـا آخـــراً أسـدى له الغَيّ أول

---

(١)الأغاني ١٧ : ٣٢ ذكر الكميت ونسبه وخبره: الكميت والفرزدق.

فرفع أبو عبد الله عليه السلام يديه، فقال: اللهم اغفر للكميت ما قدم وأخر، وما أسر وما أعلن، وأعطه حتى يرضى»[١].

٢ـ وفي حديث فضيل الرسان قال: «أنشد جعفر بن محمد قصيدة السيد:

لأم عمرو باللوى مربع ... دارسة أعلامها بلقع

فسمعت النحيب من داره. فسألني لمن هي؟ فأخبرته أنها للسيد، فقال: رحمه الله. فقلت: إني رأيته يشرب النبيذ في الرستاق. فقال: أتعني الخمر؟ قلت: نعم. قال: وما خطر ذنب عند الله أن يغفره لمحب علي»[٢].

ومن المعلوم شدة موقف السيد الحميري من الأولين في شعره، خصوصاً في هذه القصيدة.

موقف الإمام الكاظم عليه السلام في أمر الخلافة

ويتجلى موقف الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم (صلوات الله عليه) فيما روى عنه في أمر فدك.

قال الزمخشري: «كان الرشيد يقول لموسى الكاظم بن جعفر: يا أبا الحسن حدّ فدك حتى أردها عليك، فيأبى، حتى ألح عليه، فقال: لا آخذها إلا بحدودها. قال: وما حدودها؟

قال: يا أمير المؤمنين إن حددتها لم تردها. قال: بحق جدك إلا فعلت. قال: أما الحد الأول فعدن فتغير وجه الرشيد، وقال: هيه. قال والحد الثاني سمرقند. فاربد وجهه. قال: والحد الثالث افريقية. فاسود وجهه، وقال: هيه قال: والرابع سيف البحر مما يلي الخزر وارمينية.

---

(١) الأغاني ١٧ : ٢٦ ذكر الكميت ونسبه وخبره: الكميت ويزيد بن عبد الملك.

(٢) الأغاني ٧ : ٢٦١ ـ ٢٦٢ أخبار السيد الحميري: مع السفاح وجعفر بن محمد.

قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، فتحول في مجلسي. قال موسى: قد أعلمتك أني إن حددتها لم تردها. فعند ذلك عزم على قتله، واستكفى أمره يحيى بن خالد...»(١)

فإن ربطه عليه السلام فدك بالخلافة يشير إلى أن اعتداء الأولين على أهل البيت(صلوات الله عليهم) في أمر فدك فرع اعتدائهم عليهم في أمر الخلافة، وأنها ظلامة جرت ظلامات وتلاحمت منها.

موقف الإمام الرضا وبقية الأئمة عليهم السلام في أمر الخلافة

أما موقف الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا(صلوات الله عليه) فيتضح من موقفه مع الشاعر دعبل بن علي الخزاعي حينما دخل عليه وأنشده قصيدته التائية المشهورة، والتي تتضمن التأكيد على حق أهل البيت(صلوات الله عليهم) في الخلافة، واستنكار تقدم من تقدم عليهم، حيث استحسن عليه السلام ذلك من دعبل وشكره، ووصله بمال كثير وبعض ملابسه تبركاً به(٢).

وما ورد عن الائمة المتقدم ذكرهم وعن جميع الأئمة صلوات الله عليهم من الكلمات والمواقف الصريحة في استنكار ما حصل من الأولين في أمر الخلافة، وإن كان كثيراً جداً وقد رواه شيعتهم عنهم ـ كما سبق ـ إلا إنا نحاول هنا أن نقتصر على ما رواه الجمهور عنهم عليهم السلام أو روي بوجه مشهور لا يسهل تجاهله.

وان كان الأمر أظهر من ذلك. ولا سيما في حق الأئمة المتأخرين، حيث كثر الشيعة في عهودهم، وأخذوا يجهرون بعقيدتهم، وقويت

---

(١) ربيع الأبرار ١ : ٣١٥ـ٣١٦، تذكرة الخواص : ٣٥٠.

(٢) الأغاني ٢٠ أخبار دعبل بن علي ونسبه : ١٣٢ تشيع دعبل : ١٦٢ دعبل وعلي بن موسى الرضا.

دعوتهم، وظهر تبني الأئمة(صلوات الله عليهم) لهم وارتباطهم بهم وتلاحمهم معهم، وظهر اعتزالهم عليهم السلام للجمهور، ومباينة الجمهور لهم.

ومن أجل ذلك سبق ـ عند التعرض لموقف علماء الجمهور من أهل البيت عليهم السلام ـ من ابن حبان عن الإمامين الصادق والرضا(صلوات الله عليهما) أنه يقبل حديثهما إذا روى عنهما غير أولادهما، ومن ابن طاهر عن الامام الرضا عليه السلام أنه يأتي عن آبائه بعجائب، ونحو ذلك مما يظهر منه إعراضهم عنهم(صلوات الله عليهم) وعما يروون.

ولذا لا يشك المطلع على تاريخ تلك الفترة في أن الضغط على الأئمة صلوات الله عليهم من قبل السلطة إنما كان تنكيلاً بالشيعة، ورد فعل لظهور دعوتهم وقوتها، حذراً من تفاقم أمرهم.

ولعل فترة سجن الإمام الكاظم(صلوات الله عليه) كانت من أشد فترات الضغط على الشعية. كما أن فترة بيعة المأمون للإمام الرضا(صلوات الله عليه) بولاية العهد تعتبر من فترات الانفراج عن الشيعة.

كل ذلك لظهور إقرار الأئمة(صلوات الله عليهم) للشيعة في دعواهم بأبعادها العقائدية المرفوضة عند جمهور السنة، حتى صاروا(صلوات الله عليهم) هم الواجهة للشيعة أمام السلطة والجمهور.

موقف محمد ابن الحنفية في أمر الخلافة

ولما خطب عبد الله بن الزبير، فنال من أمير المؤمنين عليه السلام بلغ ذلك محمد ابن الحنفية، فجاء إليه وهو يخطب، فوضع له كرسي، فقطع عليه خطبته. وقال: «يا معشر العرب، شاهت الوجوه. أينتقص علي وأنتم حضور؟! إن علياً يد الله على أعداء الله، وصاعقة من أمره، أرسله على الكافرين والجاحدين لحقه، فقتلهم بكفرهم، فشنؤه وأبغضوه، وأضمروا

لـه الشـنف والحسـد، وابـن عمه ﷺ حـي بعد لم يمـت، فلما نقلـه الله إلى جواره، وأحب له ما عنده، أظهرت له رجال أحقادها، وشـفت أضغانها، فمنهـم من ابتـزه حقه، ومنهم من أئتمر به ليقتله، ومنهم من شـتمه وقذفه بالأباطيل...»[١].

فانظر له كيف طعن بمن تقدم على أمير المؤمنين عليه السلام، وأظهر تنمره منهم، وسخطه عليهم، بنحو لا يناسب إقرار ما حصل والرضا به، بحيث يكسبه الشرعية الرافعة للمسؤولية.

موقف عبدالله بن الحسن وبقية الطالبيين من الخلافة

قـال الجوهري:«حدثني المؤمل بن جعفر، قال: محمد بن ميمون عن داود بـن المبـارك، قـال: أتينـا عبد الله بن موسـى بن عبد الله بن حسـن بن الحسن ونحن راجعون من الحج في جماعة، فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سـأله، فسـألته عن أبي بكر وعمر، فقال:سئل جدي عبد الله بن الحسن عن هذه المسـألة، فقـال: كانت أمي صديقة بنت نبي مرسـل، فماتت وهي غضبى على إنسان، فنحن غضاب لغضبها، واذا رضيت رضينا»[٢].

وربـما يكون هذا هو الموقـف الغالب في الطالبيين. يقول ابن طيفور: «ذكر لأبي الحسـن زيد بن علي بن الحسـين بن علي بن أبي طالـب عليه السلام كلام فاطمـة عليهـا السـلام عند منـع أبي بكر إياها فـدك، وقلت لـه: إن هؤلاء يزعمـون أنه مصنـوع، وأنه من كلام أبي العيناء... فقال لي: رأيت مشـايخ

---

(١) شرح نهج البلاغـة ٤ : ٦٢، واللفـظ لـه. مروج الذهـب ٣ : ٩٠ ذكر أيام معاويـة بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم والمختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الزبير ولمع من أخبارهم وسـيرهم وبعض ماكان في أيامهم: بين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

(٢)شرح نهج البلاغة ١٦ : ٢٣٢.

آل أبي طالب يروونه عن آبائهم، ويعلمونه أبناءهم، وقد حدثنيه أبي عن جدي يبلغ به فاطمة عن هذه الحكاية.

ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيناء، وقد حدث به الحسن ابن علوان عن عطية العوفي انه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه»[1].

ومن الظاهر ان خطبة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام كما تضمنت الاحتجاج لمنعها فدك تضمنت استنكار اخذ الخلافة، فاهتمام الطالبيين بحفظها ظاهر في اقرارهم لمضمونها واعتزازهم به.

موقف العباس بن عبد المطلب في أمر الخلافة

ولما عرض أبو بكر على العباس بن عبد المطلب أن يجعل له ولمن بعده من عقبه نصيباً في الخلافة، ليقطعوهم بذلك عن نصر أمير المؤمنين عليه السلام، رد العباس عليه، فقال في جملة ما قال: «فإن كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت. وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم... فإن كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين، وما أبعد قولك: إنهم طعنوا، من قولك: إنهم مالوا إليك. وأما ما بذلت لنا فإن يكن حقك أعطيتناه فأمسكه عليك، وإن يكن حق المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، وإن يكن حقنا لم نرض

(١) بلاغات النساء: ١٢ في كلام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ويبدو أن في المطبوع سقطاً، لأن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام استشهد سنة ١٢٠هـ وابن طيفور ولد سنة ٢٠٤هـ ولسان الحديث لا يناسب زيد الشهيد، كما يظهر للمتأمل. ومن هنا فالظاهر أن الصحيح ما في الطبعة الحجرية من كتاب الشافي للسيد المرتضى: ٢٣١ عن ابن طيفور، وهو أحمد بن أبي طاهر. قال في الشافي: «واخبرنا أبو عبد الله المرزباني، قال: حدثني علبي بن هارون، قال: أخبرني عبد الله بن أحمد بن طاهر عن أبيه، قال: ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي كلام فاطمة عند منع أبي بكر إياها فدك...» وذكر الحديث. وزيد هذا هو زيد الأصغر وهو معاصر لأبن طيفور.

لـك ببعضه دون بعـض... وأما قولك إن رسـول الله ﷺ منا ومنكم، فإن رسول الله ﷺ من شجرة نحن أغصانها، وأنتم جيرانها...»[١].

موقف الفضل بن العباس في أمر الخلافة

ومـن احتجاج الفضل بن العباس على قريش في أمر الخلافة أن قال: «يامعـشر قريش ـ وخصوصاً يابني تيم ـ إنكـم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة. ونحـن أهلها دونكم. ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله، لكانت كراهة النـاس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا، حسـداً منهم لنـا، وحقداً علينا. وإنا لنعلم أن عند صاحبنا عهداً هو ينتهي إليه»[٢].

موقف عبد الله بن عباس في أمر الخلافة

أمـا عبـد الله بن عباس فقـد كثر منه الحديث في ذلـك، خصوصاً مع عمر بن الخطاب.

١ ـ فقـد روى الطـبري عـن ابـن عباس عن عمـر، أنه قـال: «يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منهم (منكم.صح) بعد محمد؟

فكرهت أن أجيبه. فقلت: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني.

فقـال عمر: كرهـوا أن يجمعوا لكـم النبوة والخلافـة، فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها، فأصابت، ووفقت...

فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: اختارت قريش لأنفسها، فأصابت ووفقت، فلو أن قريش اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزوجل لها لكان الصواب بيدها، غير مردود ولا محسود.

---

(١) شرح نهج البلاغة ١ : ٢٢١، واللفظ له. الإمامة والسياسة ١ : ١٨ كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه). تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٥ ـ ١٢٦ خبر سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦ : ٢١.

وأما قولك: إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله عزوجل وصف قوماً بالكراهية، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾...

فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً.

فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم. وأما قولك حسداً، فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون...»[1].

٢ـ وروى ابن أبي الحديد عن عبدالله بن عمر، حديث عمر مع ابن عباس بنحو من ذلك باختلاف يسير، وزاد:

«فقال عمر: على رسلك يا ابن عباس. أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشاً في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول.

فقال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين! لا تنسب هاشماً إلى الغش، فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره الله وزكاه. وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى لهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. وأما قولك: حقداً. فكيف لا يحقد من غصب شيئه، ويراه في يد غيره؟!

فقال عمر: أما أنت يا ابن عباس فقد بلغني عنك كلام... بلغني أنك لا تزال تقول: أخذ هذا الأمر منك حسداً وظلماً.

قال: أما قولك يا أمير المؤمنين: حسداً، فقد حسد إبليس آدم، فأخرجه من الجنة، فنحن بنو آدم المحسود، وأما قولك: ظلماً، فأمير

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٨٩ من ندب عمر ورثاه رضي الله عنه: ذكر بعض ما رثي به، نشر مؤسسة الأعلمي بيروت، وهناك حذف في تاريخ الطبري في الطبعة الموجودة في برنامج الألفية الإصدار ١،٥.

المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو...»[١].

٣ ـ وفي حديث آخر لابن عباس مع عمر، نقله ابن أبي الحديد عن أمالي أبي جعفر محمد بن حبيب، قال: «دخلت على عمر يوماً، فقال: يا ابن العباس، لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة، حتى نحلته رياء، قلت: من هو؟ فقال: هذا ابن عمك. يعني علياً. قلت: وما يقصد بالرياء يا أمير المؤمنين؟ قال: يرشح نفسه بين الناس للخلافة.

قلت: وما يصنع بالترشيح؟ قد رشحه لها رسول الله ﷺ، فصرفت عنه.

قال: إنه كان شاباً حدثاً، فاستصغرت العرب سنه، وقد كمل الآن. ألم تعلم أن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا بعد الأربعين.

قلت: يا أمير المؤمنين أما أهل الحجى والنهى فإنهم ما زالوا يعدونه كاملاً منذ رفع الله منار الإسلام، ولكنهم يعدونه محروماً مجدوداً...»[٢].

ولابن عباس أحاديث أخر مع عمر يأتي ذكرها عند التعرض لرأي عمر في الخلافة.

٤ ـ وفي حديث له مع معاوية: «فأما الذي منعنا من طلب هذا الأمر بعد رسول الله (ص) فعهد منه إلينا ... ولا يعاب أحد على ترك حقه، وإنما المعاب من يطلب ما ليس له...» [٣].

٥ ـ وفي جوابه ليزيد عن كتابه الذي أرسله إليه شاكراً امتناعه من بيعة ابن الزبير: «ولكنكم معاشر قريش كاثرتمونا فاستأثرتم علينا سلطاننا، ودفعتمونا عن حقنا، فبعداً على من اجترأ على ظلمنا، واستقوى السفهاء

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٢ : ٥٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٢ : ٨٠.

(٣) عيون الأخبار ١ : ٦.

علينا، وتولى الأمر دوننا كما بعدت ثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ومكذبوا المرسلين»[1].

٦ ـ وفي حديث العتبي عن أبيه أنه قال: «لما سار الحسين إلى الكوفة اجتمع ابن عباس وابن الزبير بمكة، فضرب ابن عباس على جيب ابن الزبير، وتمثل:

يا لك من قنبرة بمعمر   خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

خلا لك والله يا ابن الزبير الحجاز، وذهب الحسين. فقال ابن الزبير: والله ما ترون إلا أنكم أحق بهذا الأمر من سائر الناس. فقال: إنما يرى من كان في شك، ونحن فعلى يقين»[2].

٧ ـ وقد روي عنه أنه قال في التعقيب على الخطبة الشقشقية: «فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد»[3].

مع ما هو المعلوم من أن الخطبة الشقشقية قد بلغت الغاية في التشكي من الأولين.

بعض كلمات النقاد في الخطبة الشقشقية

وبالمناسبة يقول ابن أبي الحديد: «فحدثني شيخي أبو الخير مصدق ابن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة، قال: قرأت على الشيخ أبي محمد عبدالله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة، فلما انتهيت إلى

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٠، أنساب الأشراف ٤: القسم ٢: ١٩، تذكرة الخواص: ٢٨٦، ٢٨٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣ : ٣٥٤ في ترجمة عبد الله بن عباس الحبر. شرح نهج البلاغة ٢٠ : ١٣٤.

(٣) نهج البلاغة ١ : ٣٧.

هـذا الموضع قال لي: لو سـمعت ابن عباس يقـول هذا لقلت له: وهل بقي في نفس ابن عمك أمر لم يبلغه في هذه الخطبة، لتتأسف أن لا يكون بلغ من كلامـه ما أراد؟! والله ما رجـع عن الأولين، ولا عن الآخرين، ولا بقي في نفسه أحد لم يذكره، إلا رسول الله ﷺ.

قال مصدق: وكان ابن الخشـاب صاحب دعابة وهزل، قال: فقلت لـه: أتقـول إنها منحولة؟ فقـال: لا والله. وإني لأعلم أنهـا كلامه، كما أعلم أنـك مصدق. قـال: فقلت لـه: إن كثيراً مـن الناس يقولون إنهـا من كلام الـرضي (رحمـه الله تعالى). فقـال: أنى للـرضي ولغير الرضي هـذا النفَس، وهـذا الأسـلوب. قـد وقفنـا على رسـائل الـرضي، وعرفنـا طريقتـه وفنه في الـكلام المنثـور، وما يقع مـع هذا الكلام في خل ولا خمـر. ثم قال: والله لقـد وقفـت على هـذه الخطبة في كتب صنفـت قبل أن يخلـق الرضي بمائتي سـنة. ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي.

قلـت: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شـيخنا أبي القاسـم البلخي، إمام البغداديين من المعتزلة. وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلـق الرضي بمـدة طويلة. ووجـدت أيضاً كثيراً منهـا في كتاب أبي جعفر بـن قبـة أحد متكلمـي الإمامية. وهـو الكتاب المشـهور المعـروف بكتاب (الإنصـاف). وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشـيخ أبي القاسـم البلخي (رحمـه الله تعـالى). ومات في ذلـك العصر قبل أن يكـون الرضي (رحمه الله تعالى) موجوداً»[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١ : ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

موقف خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من الخلافة

وأما خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من أعيان الصحابة فقد صدر منهم كلام كثير في أن الخلافة حق له عليه السلام، في يوم السقيفة، وبعد ذلك.

وسبق شيء من ذلك في أوائل الجواب عن هذا السؤال، كما يأتي التعرض لبعض ذلك في جواب السؤال الرابع. والمهم منها هنا ما يناسب عدم إمضاء ما حصل، وعدم الرضا به. وهو كلام كثير..

موقف أبي ذر في أمر الخلافة

(منها): ما رواه الحافظ ابن مردويه في المناقب (على ما في مناقب عبد الله الشافعي ص:٨٧ ـ مخطوط) بسنده يرفعه إلى داود بن أبي عوف قال حدثني معاوية بن أبي ثعلبة الليثي، قال: «ألا أحدثك بحديث لم تختلف؟ قلت: بلى.

قال: مرض أبو ذر، فأوصى إلى علي عليه السلام. فقال بعض من يعوده: لو أوصيت إلى أمير المؤمنين عمر لكان أجمل لوصيتك من علي. فقال: والله لقد أوصيت إلى أمير المؤمنين حقاً، وإنه والله أمير المؤمنين، وإنه الربيع الذي يسكن إليه، ولو فارقكم لقد أنكرتم الناس، وأنكرتم الأرض. قال: قلت: ياأبا ذر إنا لنعلم أن أحبهم إلى رسول الله أحبهم إليك. قال: أجل. قلنا: فأيهم أحب إليك؟ قال: هذا الشيخ المظلوم المضطهد حقه، يعني: علي ابن أبي طالب»[1].

موقف حذيفة في أمر الخلافة

(ومنها): ما عن أبي شريح قال: «أتى حذيفة بالمدائن ونحن عنده أن الحسن وعماراً قدما الكوفة يستنفران الناس إلى علي، فقال حذيفة: إن

(١) ملحقات إحقاق الحق ٨ : ٦٧٩ الباب المتمم للعشرين: الثالث ما رواه أبو ذر.

الحسن وعماراً قدما يستنفرانكم، فمن أحب أن يلقى أمير المؤمنين حقاً حقاً فليأت علي بن أبي طالب»[١].

مواقف بعض الصحابة في أمر الخلافة بمناسبة الشورى

(ومنها): ما ذكره ابن أبي الحديد عند الحديث عن الشورى عن الشعبي في كتاب الشورى ومقتل عثمان. قال: «وقد رواه أيضاً أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في زيادات كتاب السقيفة».

قال ابن أبي الحديد في جملة ما ذكره من حوادث ما بعد بيعة عثمان: «قال عوانة: فحدثني يزيد بن جرير عن الشعبي عن شقيق بن مسلمة أن علي بن أبي طالب لما انصرف إلى رحله قال لبني أبيه: يا بني عبد المطلب إن قومكم عادوكم بعد وفاة النبي كعداوتهم النبي في حياته، وإن يطع قومكم لا تؤمروا أبداً. ووالله لا ينيب هؤلاء إلى الحق إلا بالسيف. قال: وعبدالله ابن عمر بن الخطاب داخل إليهم، قد سمع الكلام كله، فدخل وقال: يا أبا الحسن أتريد أن تضرب بعضهم ببعض؟! فقال: اسكت ويحك. فوالله لولا أبوك وما ركب مني قديماً وحديثاً ما نازعني ابن عفان، ولا ابن عوف. فقام عبد الله فخرج....

قال الشعبي: وخرج المقداد من الغد، فلقي عبد الرحمن بن عوف، فأخذ بيده، وقال: إن كنتَ أردت بما صنعت وجه الله، فأثابك الله ثواب الدنيا والآخرة، وإن كنت إنما أردت الدنيا فأكثر الله مالك. فقال عبد الرحمن: اسمع رحمك الله، اسمع. قال: لا أسمع والله. وجذب يده من يده، ومضى حتى دخل على علي عليه السلام. فقال: قم، فقاتل حتى نقاتل معك. قال علي: فبمن أقاتل رحمك الله؟!. وأقبل عمار بن ياسر ينادي:

---

(١) أنساب الأشراف ٢ : ٣٦٦ في ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

يا ناعي الإسلام قم فانعه　　　　قد مات عرف و بدا نكر

أمـا والله لـو أن لي أعوانـاً لقاتلتهـم. والله لو قاتلهـم واحد لأكونن لـه ثانياً. فقـال علي: يا أبا اليقظـان، والله لا أجد عليهـم أعواناً، ولا أحب أن أعرضكـم لمـا لا تطيقون. وبقي عليه السلام في داره، وعنـده نفر من أهل بيته، وليس يدخل إليه أحد، مخافة عثمان»[١].

وقال: «قال عوانة: قال إسـماعيل: قال الشعبي: فحدثني عبدالرحمن ابـن جندب عن أبيه جندب بن عبدالله الأزدي. قال: كنت جالسـاً بالمدينة حيـث بويع عثمان، فجئت فجلسـت إلى المقداد بن عمرو، فسـمعته يقول: والله ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت.

وكان عبدالرحمن بن عوف جالساً، فقال: وما أنت وذاك يا مقداد؟!

قال المقداد: إني والله أحبهم لحب رسـول الله صلى الله عليه وآله. وإني لأعجب من قريش وتطاولهم على الناس بفضل رسول الله، ثم انتزاعهم سلطانه من أهله.

قال عبد الرحمن: أما والله لقد أجهدت نفسي لكم.

قال المقـداد: أما والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحق، وبه يعدلون. أما والله لو أن لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إياهم ببدر وأحد.

فقال عبد الرحمن: ثكلتك أمك، لا يسـمعن هذا الكلام الناس، فإني أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة.

قـال المقـداد: إن مـن دعـا إلى الحـق وأهلـه وولاة الأمـر لا يكـون صاحـب فتنـة، ولكن من أقحم النـاس في الباطل، وآثر الهـوى على الحق، فذلك صاحب الفتنة والفرقة.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩ : ٥٤ ، ٥٥.

قال: فتربد وجه عبد الرحمن... ثم قام عن عبد الرحمن فانصرف.

قال جندب بن عبد الله فاتبعته. وقلت له: يا عبد الله أنا من أعوانك. فقال: رحمك الله، إن هذا الأمر لا يغني فيه الرجلان، ولا الثلاثة.

قال: فدخلت من فوري ذلك على علي عليه السلام، فلما جلست إليه قلت: يا أبا الحسن. والله ما أصاب قومك بصرف هذا الأمر عنك. فقال: صبر جميل. والله المستعان.

فقلت: والله إنك لصبور!

قال: فإن لم أصبر فماذا أصنع؟

فقلت: إني جلست إلى المقداد بن عمرو آنفاً وعبدالرحمن بن عوف، فقالا: كذا وكذا، ثم قام المقداد فاتبعته فقلت له كذا، فقال لي: كذا.

فقال علي عليه السلام: لقد صدق المقداد، فما أصنع؟

فقلت: تقوم في الناس، فتدعوهم إلى نفسك، وتخبرهم أنك أولى بالنبي صلى الله عليه وآله وتسألهم النصر على هؤلاء المظاهرين عليك، فإن أجابك عشرة من مائة شددت بهم على الباقين، فإن دانوا لك فذاك، وإلا قاتلتهم، وكنت أولى بالعذر، قتلت أو بقيت، وكنت أعلى عند الله حجة.

فقال: أترجو يا جندب أن يبايعني من كل عشرة واحد؟

قلت: أرجو ذلك. قال: لكني لا أرجو ذلك. لا والله، ولا من المائة واحد.

وسأخبرك إن الناس إنما ينظرون إلى قريش، فيقولون: هم قوم محمد وقبيله. وأما قريش بينها فتقول: إن آل محمد يرون لهم على الناس بنبوته فضلاً، ويرون أنهم أولياء هذا الأمر دون قريش، ودون غيرهم من الناس. وهم إن ولوه لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبداً. ومتى كان في غيرهم

تداولته قريش بينها. لا والله، لا يدفع الناس إلينا هذا الأمر طائعين أبداً.

فقلت: جعلت فداك يا ابن عم رسول الله، لقد صدعت قلبي بهذا القول. أفلا أرجع إلى المصر، فأوذن الناس بمقالتك، وأدعو الناس إليك؟ فقال: يا جندب، ليس هذا زمان ذاك.

قال: فانصرفت إلى العراق، فكنت أذكر فضل علي على الناس، فلا أعدم رجلاً يقول لي ما أكره. وأحسن ما أسمعه قول من يقول: دع عنك هذا، وخذ فيما ينفعك، فأقول: إن هذا مما ينفعني وينفعك، فيقوم عني ويدعني.

وزاد أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري: حتى رفع ذلك من قولي إلى الوليد بن عقبة أيام ولينا، فبعث إلي فحبسني، حتى كُلّم فيّ، فخلى سبيلي.

وروى الجوهري: قال: نادى عمار بن ياسر ذلك اليوم: يا معشر المسلمين إنا قد كنا وما كنا نستطيع الكلام، قلة وذلة، فأعزنا الله بدينه، وأكرمنا برسوله، فالحمد لله رب العالمين. يا معشر قريش إلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم، تحولونه ههنا مرة، وههنا مرة؟! ما أنا آمن أن ينزعه الله منكم، ويضعه في غيركم، كما نزعتموه من أهله، ووضعتموه في غير أهله.

فقال له هاشم بن الوليد بن المغيرة: يا ابن سمية: لقد عدوت طورك، وما عرفت قدرك. ما أنت وما رأت قريش لأنفسها؟! إنك لست في شيء من أمرها وإمارتها. فتنح عنها، وتكلمت قريش بأجمعها، فصاحوا بعمار، وانتهروه. فقال: الحمد لله رب العالمين. ما زال أعوان الحق أذلاء. ثم قام فانصرف»[1].

وإنما أثبتناه بطوله لأنه يوضح الخطوط العامة للحوادث التي حصلت في الصدر الأول. ويمكن للباحث أن يجد نظيره وشواهده في

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ٥٦ ـ ٥٨.

كثير من كتب الحديث والتاريخ.

ويأتي ما يناسب ذلك في جواب السؤال الرابع عند الكلام في موقف الصحابة من النص.

تصريحات لبعض أعلام الجمهور تناسب ما سبق

بل صدر من بعض أعلام الجمهور ممن هو على خلاف أهل البيت (صلوات الله عليهم) ما يناسب ذلك من الاعتراف بحق أهل البيت عليهم السلام، أو بتبرمهم عليهم السلام من أخذ الحق منهم، أو نحو ذلك..

كلمات لعمر بن الخطاب

١ ـ فقد روى ابن أبي الحديد عن كتاب السقيفة للجوهري والموفقيات للزبير بن بكار حديثاً عن ابن عباس: «قال: إني لأماشي عمر في سكة من سكك المدينة، يده في يدي، فقال: يا ابن عباس: ما أظن صاحبك إلا مظلوماً.

فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها. فقلت: يا أمير المؤمنين فاردد إليه ظلامته. فانتزع يده من يدي، ثم مرّ يهمهم ساعة، ثم وقف، فلحقته.

فقال لي: يا ابن عباس: ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه. فقلت في نفسي: هذه شرّ من الأولى. فقلت: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر»[1].

فانظر لعمر لم يقل لابن عباس: إنه قد رضي بالآخرة بما حصل وأقره، فلا ظلامة الآن حتى ترجع.

٢ ـ وروى ابن عباس أيضاً في حديث له مع عمر عندما خرج إلى

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦ : ٤٥، ١٢ : ٤٦ باختلاف يسير.

الشـام قال: «فقال لي: يا ابن عباس أشـكو إليك ابن عمك، سألته أن يخرج معي، فلم يفعل، ولم أزل أراه واجداً. فيم تظن موجدته؟

قلت: يا أمير المؤمنين: إنك لتعلم.

قـال: أظنه لا يـزال كئيباً لفـوت [على] الخلافة. قلت: هـو ذاك، إنه يزعم أن رسول الله أراد الأمر له.

فقـال: يا ابن عباس، وأراد رسـول الله ﷺ الأمر له، فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك؟!...»[١].

وفي رواية أخرى أنه قال: «إن رسول الله ﷺ أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه خوفاً من الفتنة، وانتشـار أمر الإسـلام، فعلم رسول الله ما في نفسي، وأمسك. وأبى الله إلا إمضاء ما حتم»[٢].

٣ ـ وفي حديث له ثالث معه أيضاً: «قال: فشبك أصابعه في أصابعي، ومضى حتى إذا خلفنا البقيع. قال: يا ابن عباس، أما والله إن كان صاحبك هـذا أولى الناس بالأمر بعد وفاة رسـول الله، إلا أنـا خفناه على اثنتين. قال ابـن عبـاس: فجـاء بمنطق لم أجد بداً معه من مسـألته عنـه، فقلت: يا أمير المؤمنين ما هما؟ قال: خشيناه على حداثة سنه، وحبه بني عبدالمطلب»[٣].

٤ ـ وقد تقدم له مع ابن عباس حديث رابع يجري هذا المجرى.

٥ ـ وفي حديـث خامـس له، يقـول عنه ابن عباس: «كنت أسـير مع عمـر بن الخطاب في ليلة وعمر على بغل وأنـا على فرس، فقرأ آية فيها ذكر علـي بـن أبي طالب، فقال: أمـا والله يا بني عبد المطلب لقـد كان علي فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر»[٤].

---

(١)، (٢)، (٣) شرح نهج البلاغة ١٢ : ٧٨، ٧٩، ٢: ٥٧.

(٤) محاضرات الأدباء ٢: ٤٧٨.

٦ ـ وقال المغيرة بن شعبة: «إني لعند عمر بن الخطاب ليس عنده أحد غيري، إذ أتاه آت فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يزعمون أن الذي فعل أبو بكر في نفسه وفيك لم يكن له، وأنه كان بغير مشورة ولا مؤامرة. وقالوا: تعالوا نتعاهد أن لا نعود إلى مثلها. قال عمر: وأين هم؟ قال: في دار طلحة. فخرج نحوهم وخرجت معه، وما أعلمه يبصرني من شدة الغضب. فلما رأوه كرهوه، وظنوا الذي جاء له.

فوقف عليهم، وقال: أنتم القائلون ما قلتم؟. والله لن تتحابوا حتى يتحاب الأربعة: الإنسان والشيطان، يغويه وهو يلعنه، النار والماء، يطفئها وهي تحرقه. ولم يأن لكم بعد، وقد آن ميعادكم ميعاد المسيخ متى هو خارج.

قال: فتفرقوا، فسلك كل واحد منهم طريقاً، قال المغيرة: ثم قال لي: أدرك ابن أبي طالب، فاحبسه علي. قلت: لا يفعل أمير المؤمنين، وهو مغد. قال: أدركه، وإلا قلت لك: يا ابن الدباغة.

قال: فأدركته فقلت له: قف مكانك لإمامك، واحلم، فإنه سلطان، وسيندم وتندم.

قال: فأقبل عمر، فقال: والله ما خرج هذا الأمر إلا من تحت يدك.

قال علي: اتق أن لا تكون الذي نطيعك فنفتنك. قال: وتحب أن تكون هو؟ قال: لا. ولكننا نذكرك الذي نسيت.

فالتفت إليّ عمر، فقال: انصرف، فقد سمعت منا عند الغضب ما كفاك. فتنحيت قريباً. وما وقفت إلا خشية أن يكون بينهما شيء، فأكون قريباً. فتكلما كلاماً غير غضبانين، ولا راضيين. ثم رأيتهما يضحكان، وتفرقا.

وجاءني عمر، فمشيت معه، وقلت: يغفر الله لك، أغضبت؟ قال: فأشار إلى علي، وقال: أما والله لولا دعابة فيه ما شككت في ولايته، وإن

نزلت على رغم أنف قريش»[١].

كلام لعثمان بن عفان

٧ ـ وفي حديث طويل لعثمان مع ابن عباس ذكره ابن أبي الحديد عن الزبير بن بكار بسنده. وفيه: «إني أنشدك يابن عباس الإسلام والرحم، فقد والله غلبت وابتليت بكم، والله لوددت أن هذا الأمر كان صار إليكم دوني، فحملتموه عني، وكنت أحد أعوانكم عليه، إذاً والله لوجدتموني لكم خيراً مما وجدتكم لي. ولقد علمت أن الأمر لكم، ولكن قومكم دفعوكم عنه، واختزلوه دونكم، فوالله ما أدري ادفعوه عنكم، أم دفعوكم عنه.

قال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين... فأما صرف قومنا عنا الأمر فعن حسد قد والله عرفته، وبغي قد والله علمته. فالله بيننا وبين قومنا...»[٢].

كتاب معاوية لمحمد بن أبي بكر

٨ ـ كما روى نصر بن مزاحم لمحمد بن أبي بكر كتاباً لمعاوية ينكر فيه خلافه على أمير المؤمنين ومنازعته له.

وذكر جواب معاوية لمحمد بكتاب يتضمن الاعتراف بتعدي الأولين على أمير المؤمنين عليه السلام، يقول فيه: «من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر... أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه، وما أصفى به نبيه، مع كلام ألفته ووضعته، لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف. ذكرت حق ابن أبي طالب، وقديم

---

(١) العقد الفريد ٤ : ٢٦١ ـ ٢٦٢ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: أمر الشورى في خلافة عثمان.

(٢) شرح نهج البلاغة ٩ : ٩.

سوابقه وقرابته من نبي الله(صلى الله عليه)... وقد كنا وأبوك معنا في حياة من نبينا(صلى الله عليه) نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا. فلما اختار الله لنبيه ﷺ ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجته، قبضه إليه. فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه. على ذلك اتفقا واتسقا، ثم دعواه إلى أنفسهم، فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما، فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم. فبايع وسلم لهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان، يهتدي بهديهما، ويسير بسيرتهما. أبوك مهد مهاده، وبنى ملكه وشاده. فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله، وإن يك جوراً فأبوك أسسه، ونحن شركاؤه، وبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا. ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا ابن أبي طالب، وأسلمنا له. ولكنا رأينا أباك فعل ذلك فاحتذينا بمثاله، واقتدينا بفعاله، فعب أباك ما بدا لك، أو دع...»[١].

وقال الطبري: «وذكر هشام عن أبي مخنف قال: وحدثني يزيد بن ظبيان الهمداني أن محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لما ولي. فذكر مكاتبات جرت بينهما، كرهت ذكرها، لما فيه مما لا يحتمل سماعها العامة»[٢]. وذكر ابن الأثير قريباً من ذلك[٣].

وهما كما ترى لم يكذبا المكاتبات المذكورة، وإنما تركاها لعدم احتمال العامة سماعها. وكأن المهم إرضاء العامة، لا تسجيل الوقائع وبيان الحقائق!!

---

(١) وقعة صفين: ١١٨ ـ ١٢١. وتوجد في مصادر أخرى مثل: شرح نهج البلاغة ٣: ١٨٨، وأنساب الأشراف ٣: ١٦٥ ـ ١٦٧ في أمر مصر في خلافة علي ومقتل محمد بن أبي بكر ومحمد ابن أبي حذيفة رضي الله عنهما. ومروج الذهب ٣: ٢٠ ـ ٢٢ في ذكر خلافة معاوية بن أبي سفيان ذكر لمع من أخباره وسيره ونوادر من بعض أفعاله بين معاوية ومحمد بن أبي بكر.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٦٨ في ولاية محمد بن أبي بكر مصر.

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ١٥٧ في ذكر ولاية قيس بن سعد بمصر.

كلمات أخر لمعاوية

٩ ـ وروى نصر أيضاً كتاباً لمعاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه: «أما بعد فإن الله اصطفى محمداً بعلمه، وجعله الأمين على وحيه، والرسول إلى خلقه، واجتبى له من المسلمين أعواناً أيده الله بهم، فكانوا في منالهم [منازلهم. ظ] عنده على قدر فضائلهم في الإسلام. فكان أفضلهم في إسلامه، وأنصحهم لله ولرسوله، الخليفة من بعده، وخليفة خليفته، والثالث الخليفة المظلوم عثمان. فكلهم حسدت، وعلى كلهم بغيت. عرفنا ذلك في نظرك الشزر، وفي قولك الهجر، وفي تنفسك الصعداء، وفي إبطائك عن الخلفاء، تقاد إلى كل منهم كما يقاد الفحل المخشوش حتى تبايع وأنت كاره...»[1].

وقد تقدم في ضمن تصريحات أمير المؤمنين عليه السلام في أمر الخلافة كتاب من معاوية له عليه السلام ينديد بتبرمه عليه السلام من بيعة أبي بكر، ومحاولة نقضها، وينكر ذلك عليه.

١٠ ـ وروي أن الإمام الحسن (صلوات الله عليه) كان عند معاوية وجرى بينهما كلام فيه شيء من المنافرة، ثم وصل معاوية الإمام الحسن عليه السلام بثلاثمائة ألف، فلما خرج قال يزيد لمعاوية: «تالله ما رأيت رجلاً استقبلك بما استقبلك به، ثم أمرت له بثلاثمائة ألف! قال: يا بني إن الحق حقهم، فمن أتاك منهم فاحث له»[2].

---

(١) وقعة صفين: ٨٦ـ٨٧، واللفظ له. شرح نهج البلاغة ١٥: ٧٤. أنساب الأشراف ٣: ٦٦ـ٦٧ أمر صفين. المناقب للخوارزمي: ٢٥١. العقد الفريد ٤: ٣٠٧ـ٣٠٨ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: أخبار علي ومعاوية. صبح الأعشى ١: ٢٧٣ـ٢٧٤ المقالة الأولى: الباب الأول: الفصل الثاني: الطرف الأول: النوع التاسع مما يحتاج إليه الكاتب من حفظ جانب جيد من مكاتبات الصدر الأول ومحاوراتهم ومراجعاتهم وما ادعاه كل منهم لنفسه أو لقومه...: المقصد الثاني في ذكر شيء من مكاتبات الصدر الأول يكون مدخلاً إلى معرفة....

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦: ١٢.

كلام لعمرو بن العاص

١١ ـ وفي كلام لعمرو بن العاص في مجلس معاوية بن أبي سفيان مع الإمام الحسن عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال فيه: «إنه شتم أبا بكر وكره خلافته، وامتنع من بيعته، ثم بايعه مكرهاً...»(١).

كلام لعبد الله بن الزبير

١٢ ـ وفي كلام لعبد الله بن الزبير بمحضر ابن عباس معرضاً به: «إن أناساً يزعمون أن بيعة أبي بكر كانت غلطاً وفلتة ومغالبة. ألا إن شأن أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا. ويزعمون أنه لولا ما وقع لكان الأمر لهم وفيهم... فقال ابن عباس: على رسلك أيها القائل في أبي بكر وعمر والخلافة. أما والله ما نالا، ولا نال أحد منهما شيئاً، إلا وصاحبنا خير ممن نالا. وما أنكرنا تقدم من تقدم لعيب عبناه عليه، ولو تقدم صاحبنا لكان أهلاً وفوق الأهل»(٢).

وأحاديث الجمهور في ذلك كثيرة يجدها الباحث متفرقة في مطاوي الأحاديث والأحداث، وكلها تحوم حول عدم رضا أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) وبقية أهل البيت بما حصل في أمر الخلافة.

حديث لعلي بن الفارقي

وبالمناسبة يقول ابن أبي الحديد: «وسألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟

قال: نعم. قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك، وهي عنده صادقة؟

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦ : ٢٨٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ١٣٢.

فتبسم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً، وادعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه. ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة [المواقفة.ظ] بشيء، لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيما تدعى كائناً ما كان، من غير حاجة إلى بينة وشهود. وهذا كلام صحيح، وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل»[1].

وهو كما ترى ظاهر في مفروغية المتحدث عن أن أهل البيت عليهم السلام لم يعرضوا عن حقهم في الخلافة، وأنهم لو استطاعوا استرجاعه لاسترجعوه.

الأحداث المناسبة لعدم إقرار الأئمة عليهم السلام ما حصل في أمر الخلافة

الأمر الثاني: مما يؤكد عدم إقرار الأئمة (صلوات الله عليهم) استيلاء الأولين على الخلافة ما ذكره المؤرخون وأهل الحديث من مواقف أهل البيت عليهم السلام وخاصتهم، ومواقف خصومهم، المناسبة لاستنكارهم عليهم السلام ما حصل، وانكماشهم منه، ثم استسلامهم، وسكوتهم عنه، نتيجة الضغوط التي تعرضوا لها، أو للمحاذير المهمة التي منعتهم من التمسك بالمواقف الصلبة ضد الحاكمين، واضطرتهم لمجاراتهم والسير معهم..

أحداث السقيفة

١ ـ فقد بات من المشهورات الواضحات اعتزال أمير المؤمنين عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه في داره، وامتناعهم من بيعة أبي بكر بعد أن دعوا إليها، ومحاولة الطرف الآخر الضغط عليهم، وإخراجهم بالعنف والقوة

(١) شرح نهج البلاغة ١٦ : ٢٨٤.

للبيعة، في تفاصيل يضيق المقام عن استيعابها[١].

قال ابن أبي الحديد: «قال المسعودي: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبدالله في حصر بني هاشم في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم، ويقول: إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة، فتكون الكلمة واحدة. كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنه أحضر الحطب، ليحرق عليهم الدار»[٢].

وقد تقدم في كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام وجواب أمير

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٦ في خبر سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر. الإمامة والسياسة ١ : ١٥ في تخلف سعد بن عبادة رضي الله عنه عن البيعة، : ١٦ في إباية علي (كرم الله وجهه) بيعة أبي بكر رضي الله عنه. شرح نهج البلاغة ٦ : ٤٥.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ١٤٧. والموجود في مروج الذهب، طبعة بولاق، في مصر عام ١٢٨٣ هـ ٢ : ٧٩، والطبعة الأولى من المطبعة الأزهرية المصرية عام ١٣٠٣ هـ الذي بهامشه تاريخ روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر للعلامة ابن شحنة ٢ : ٧٢، والطبعة التي بهامش الكامل ٦ : ١٦٠ـ١٦١ : «وحدث النوفلي في كتابه في الأخبار، عن ابن عائشة، عن أبيه، عن حماد بن سلمة، قال: كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بني هاشم، وحصره إياهم في الشعب، وجمعه الحطب لتحريقهم، ويقول: إنما أراد بذلك إرهابهم، ليدخلوا في طاعته. كما أرهب بنو هاشم، وجمع لهم الحطب، لإحراقهم، إذ هم أبوا البيعة فيما سلف. وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا وقد أتينا على ذكره في كتابنا في مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب حدائق الأذهان».

بينما الموجود في الطبعة الثانية من مطبعة دار السعادة بمصر عام ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ٣ : ٨٦، والطبعة الأولى من مطبعة دار الفكر ببيروت عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، ٣ : ٨٧ : «وحدث النوفلي في كتابه في الأخبار، عن ابن عائشة، عن أبيه، عن حماد بن سلمة، قال: كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بني هاشم، وحصره إياهم في الشعب، وجمعه لهم الحطب لتحريقهم، ويقول: إنما أراد بذلك إرهابهم، ليدخلوا في طاعته. إذ هم أبوا البيعة فيما سلف. وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا وقد أتينا على ذكره في كتابنا في مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب حدائق الأذهان».

المؤمنين عليه السلام له التعرض إلى أنه عليه السلام كان يقاد لبيعة أبي بكر كما يقاد الجمل المخشوش[١].

وقال عليه السلام وهو يخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبره: «يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»[٢].

وقد قال أبو بكر عند موته: «وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال، ولو كان أغلق على حرب»[٣].

أحداث ما بعد السقيفة

٢ ـ واجتمع جماعة إلى أمير المؤمنين يسألونه القتال من أجل حقه، فطلب إليهم أن يغدوا على ذلك محلقين، فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر[٤]،

---

(١) نهج البلاغة ٣ : ٣٠. وقول معاوية: (تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع) ورد في المناقب للخوارزمي : ٢٥١، وكذلك ورد باختلاف يسير في كل من شرح نهج البلاغة ١٥ : ٧٤، والعقد الفريد ٤ : ٣٠٨ في فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: أخبار علي ومعاوية، وأنساب الأشراف ٣ : ٦٦ ـ ٦٧ في أمر صفين، ووقعة صفين : ٨٧، وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام لابن الدمشقي ١ : ٣٥٧، وصبح الأعشى ١ : ٢٢٨ المقصد الثاني.

(٢) الإمامة والسياسة ١ : ١٧ كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب(كرم الله وجهه). شرح نهج البلاغة ١١ : ١١١.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٣٧ في أيام أبي بكر، واللفظ له. مجمع الزوائد ٥ : ٢٠٣ كتاب الخلافة: باب كراهة الولاية ولمن تستحب. الأحاديث المختارة ١ : ٨٩ فيما رواه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه. المعجم الكبير ١ : ٦٢ فيما أسند أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ميزان الاعتدال ٥ : ١٣٥ في ترجمة علوان بن داود البجلي. تاريخ دمشق ٣٠ : ٤١٨ في ترجمة عبدالله ويقال عتيق بن عثمان... أبو بكر. لسان الميزان ٤ : ١٨٩ في ترجمة علوان بن داود البجلي. الضعفاء للعقيلي ٣ : ٤٢٠ في ترجمة علوان بن داود البجلي. تاريخ الطبري ٢ : ٣٥٣ في أحداث سنة:١٣هـ في ترجمة أبي بكر: بعد ذكر أسماء قضاته وكتابه وعماله على الصدقات.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٦ في خبر سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر.

أو أربعة[١].

٣ ـ وذكر ابن أبي الحديد عن الجوهري في كتاب السقيفة أن أمير المؤمنين عليه السلام حمل الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام على حمار، وطاف بها بيوت الأنصار يسألهم هو وفاطمة (صلوات الله عليهما) النصرة له من أجل استرجاع حقه، فاعتذروا بأن بيعتهم سبقت لأبي بكر، فلم يقبلا عذرهم[٢].

رد فعل الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام من أحداث السقيفة

٤ ـ ومن المعلوم أن الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام قد غضبت على الشيخين من أجل ما حصل، وما تبعه من أخذ فدك وغيرها.

وقد أرادا الدخول عليها واسترضاءها، فأبت، حتى طلبا من أمير المؤمنين عليه السلام أن يدخلهما عليها، فلما أدخلهما عليها أعرضت عنهما، فلما ألحا، فقالت: «أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرفانه وتفعلان به؟

قالا: نعم.

فقالت: نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟

قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما اسخطتماني وما أرضيتماني. ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه.

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١ : ١٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦ : ١٣. الإمامة والسياسة ١ : ١٦ في إباية علي (كرم الله وجهه) بيعة أبي بكر رضي الله عنه.

فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة. ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها...»[١].

٥ـ وأوصت أمير المؤمنين عليه السلام أن يدفنها ليلاً، لئلا يحضر الصلاة عليها من أغضبها. وتم لها ذلك، فدفنت ليلاً، ولم يحضر دفنها إلا نفر معدودون. وخفي قبرها، ولم يظهر حتى يومنا هذا[٢]، كل ذلك لتثبيت غضبها عليهما، وعلى من سار في فلكهما، أو غض النظر عن ذلك ولم يغير.

امتناع أمير المؤمنين عليه السلام عن بيعة أبي بكر

٦ـ وامتنع أمير المؤمنين عليه السلام عن بيعة أبي بكر مدة طالت أو قصرت[٣].

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٧ كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، واللفظ له. أعلام النساء ٤: ١٢٤ فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) غضب الزهراء عليهما، ووصيتها بأن تدفن ليلاً، وعدم صلاتهم عليها، تجده في كل من صحيح البخاري ٤: ١٥٤٩، كتاب المغازي: باب غزوة خيبر، و ٦ ص ٢٤٧٤ كتاب الفرائض: باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا نورث ما تركنا صدقة، وصحيح مسلم ٣: ١٣٨٠ كتاب الجهاد والسير: باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا نورث ما تركنا فهو صدقة، وصحيح ابن حبان ١١: ١٥٣ باب الغنائم: ذكر السبب الذي من أجله كان صلى الله عليه وآله وسلم خمس خمسه وخمس الغنائم جميعاً، ومسند أبي عوانة ج ٤ ص ٢٥١ مبدأ كتاب الجهاد: باب الأخبار الدالة على الإباحة أن يعمل في أموال من لم يوجف عليه خيلاً ولا ركاب من المشركين مثل ما عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنها لا تورث، والمصنف لعبدالرزاق ٥: ٤٧٢ في خصومة علي والعباس، والطبقات الكبرى ٢: ٣١٥ في ذكر ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما ترك، والإمامة والسياسة ١: ١٧ كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وطرح التثريب ١: ١٥٠ في ترجمة فاطمة، والإصابة ٨: ٥٩ في ترجمة فاطمة، وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٣) صحيح البخاري ج ٤: ١٥٤٩ كتاب المغازي: باب غزوة خيبر. صحيح مسلم ٣: ١٣٨٠ كتاب الجهاد والسير: باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا نورث ما تركنا فهو صدقة. صحيح ابن حبان ١١: ١٥٣ باب الغنائم: ذكر السبب الذي من أجله كان صلى الله عليه وآله وسلم خمس خمسه وخمس الغنائم جميعاً. مسند أبي عوانة ٤: ٢٥١ مبدأ كتاب الجهاد: باب الأخبار الدالة على الإباحة أن يعمل في أموال من لم

←

ثم لم يدخل في أمرهم ويسايرهم إلا خوفاً على الإسلام، كما قال عليه السلام في كتابه إلى أهل مصر: «فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله. فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب. فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، وأطمأن الدين وتنهنه»[١].

موقف أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه من أحداث الشورى

٧ـ وقد شكى عليه السلام في الشورى مما حصل في تفاصيل كثيرة تقدم بعضها. ومن المعلوم أن أمر الشورى كان مبنياً على الإرغام، وعلى أن من يأبى ما تنتهي إليه يقتل، بوصية عمر لأبي طلحة الأنصاري.

وذكر الطبري أنه لما بايع عبدالرحمن بن عوف عثمان قال أمير المؤمنين عليه السلام له: «حبوته حبو دهر. ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون. والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك. والله كل يوم هو في شأن. فقال عبدالرحمن: يا علي لا تجعل على نفسك سبيلاً»[٢].

← يوجف عليه خيلاً ولا ركاب من المشركين مثل ما عمل النبي صلى الله عليه وآله فإنها لا تورث. المصنف لعبد الرزاق ٥ : ٤٧٢ـ٤٧٣ في خصومة علي والعباس. الإمامة والسياسة ١ : ١٧، كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه). وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) نهج البلاغة ٣ : ١١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٥٨٣ في قصة الشورى، واللفظ له. شرح نهج البلاغة ١٢: ٢٦٤. تاريخ المدينة لابن شبة ٣ : ٩٣٠. العقد الفريد ٤ : ٢٥٩ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم، أمر الشورى في خلافة عثمان.

وقد قال عليه السلام لعبدالرحمن بعد أن اختلف مع عثمان، وخاب مما كان يأمل منه: «ياابن عوف، كيف رأيت صنيعك مع عثمان؟ رب واثق خجل. ومن لم يتوخ بعمله وجه الله عاد مادحه من الناس له ذاماً»[1].

وقال ابن أبي الحديد: «قال الشعبي: واجتمع أهل الشورى على أن تكون كلمتهم واحدة على من لم يبايع. فقاموا إلى علي، فقالوا: قم فبايع عثمان. قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: نجاهدك. قال: فمشى إلى عثمان، حتى بايعه، وهو يقول: صدق الله ورسوله»[2].

وذكر أيضاً عن الجوهري والشعبي في كتبهما المتقدمة ما جرى من عبد الرحمن بن عوف، قال: «فقال: ابسط يدك يا عثمان، فبسط يده، فبايعه، وقام القوم فخرجوا وقد بايعوا إلا علي بن أبي طالب، فإنه لم يبايع. قال: فخرج عثمان على الناس ووجهه متهلل. وخرج عليّ، وهو كاسف البال مظلم، وهو يقول: يا ابن عوف، ليس هذا بأول يوم تظاهرتم علينا، من دفعنا عن حقنا، والاستئثار علينا. وإنها لسنة علينا، وطريقة تركتموها»[3].

وقد تقدم بعض مواقف وتصريحات بعض خواصه عليه السلام حول الشورى... إلى غير ذلك مما طفحت به كتب الحديث والتاريخ. ويتيسر للباحث المنصف الاطلاع عليه. ويأتي بعض منه في جواب السؤال الرابع إن شاء الله تعالى.

ومن الظاهر أن الشيعة لا تقول في الأولين أكثر مما قاله أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومن توجه وجهته من أهل بيته وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كلماتهم المتقدمة ونحوها، ولا تقف منهم أشد من مواقفهم.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢ : ٣١٦.

(٢)، (٣) شرح نهج البلاغة ٩ : ٥٥ ، ٥٣.

وإذا أمكن للمجادل إنكار بعض ما تقدم، أو التشكيك فيه ـ لنقله بأخبار الآحاد، أو لعدم وضوح حال سنده، أو محاولة التكلف في مناقشة دليليته ـ فلا يظن بأحد إنكار جميع ما تقدم وتكذيبه، أو التشكيك فيه وتجاهله، أو منع دلالته.

أثر كلام أمير المؤمنين عليه السلام ومعاصريه في ظهور عقيدة التشيع

والظاهر أن ما سبق، ويأتي في جواب السؤال الرابع، من أمير المؤمنين عليه السلام ومن عاصره ـ من أهل بيته وصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ من الأقوال والمواقف من أجل بيان حقيقة الأمر في الخلافة، وتأكيدهم على ذلك، قد نبه كثيراً من المسلمين ـ ممن تهمهم الحقيقة ـ إلى حقيقة التشيع وعقيدته، وأخذوا يبحثون عن أدلتها ـ من الكتاب المجيد والسنة الشريفة ـ والاستزادة منها، حتى تبلورت هذه الحقيقة في عصره عليه السلام، وتبناها جماعة عن بصيرة، وتصميم يصل حدّ الجهاد والتضحية، بعد أن كاد التحجير على السنة النبوية ـ الذي أشرنا إليه في جواب السؤال السابع من الأسئلة السابقة ـ يقضي عليها. فقام للشيعة كيان ظاهر في عصره (صلوات الله عليه)، وأخذ يقوى تدريجاً، حتى انتهى إلى ما انتهى إليه اليوم. ويحسن بنا أن نشير إلى بعض شواهد ذلك..

١ ـ يقول ابن قتيبة عند عرض أحداث واقعة الجمل: «فلما قدم علي طيء أقبل شيخ من طيء قد هرم من الكبر، فرفع له من حاجبيه، فنظر إلى علي فقال له: أنت ابن أبي طالب؟

قال: نعم. قال: مرحباً بك وأهلاً... لو أتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك، لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأيامك الصالحة. ولئن كان ما يقال فيك من الخير حقاً إن في أمرك وأمر قريش لعجباً، إذ أخرجوك

وقدموا غيرك. سر فو الله لا يتخلف عنك من طيء إلا عبد أو دعي إلا بإذنك»[١].

فانظر لهذا الشيخ كيف انتبه بسبب ما بلغه مما ورد في حق أمير المؤمنين عليه السلام، فعجب من قريش كيف قدمت غيره عليه إن صدق ذلك.

٢ ـ ويذكر ابن أبي الحديد حديث وفاة أبي ذر رضي الله عنه، وأنه قد حضره نفر مروا عليه عند موته، وأن في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الذي يحضره عصابة من المؤمنين، ثم قال: «روى أبو عمر ابن عبد البر قبل أن يروي هذا الحديث في أول باب جندب: كان النفر الذي حضروا موت أبي ذر بالربذة مصادفة جماعة، منهم حجر بن الأدبر، ومالك بن الحارث الأشتر.

قلت: حجر بن الأدبر هو حجر بن عدي الذي قتله معاوية. وهو من أعلام الشيعة وعظمائها. وأما الأشتر فهو أشهر في الشيعة من أبي الهذيل في المعتزلة.

قرئ كتاب الاستيعاب على شيخنا عبد الوهاب بن سكينة المحدث، وأنا حاضر، فلما انتهى القارئ إلى هذا الخبر قال استاذي عمر بن عبد الله الدباس ـ وكنت أحضر معه سماع الحديث ـ: لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت، فما قال المرتضى والمفيد إلا بعض ما كان حجر والأشتر يعتقدانه في عثمان ومن تقدمه. فأشار الشيخ إليه بالسكوت. فسكت»[٢].

٣ ـ وفي حديث لشريح بن هاني مع عمرو بن العاص حينما أرسله أمير المؤمنين عليه السلام بنصيحة له، قال شريح: «فأبلغته ذلك، فتمعر وجه عمرو، وقال: متى كنت أقبل مشورة علي، أو أنيب إلى أمره، وأعتد برأيه؟!

---

(١) الإمامة والسياسة ١ : ٥٢ استنفار عدي بن حاتم قومه لنصرة علي رضي الله عنه.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٥ : ١٠٠ ـ ١٠١.

فقلت: وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم (صلى الله عليه) مشورته...»[١].

فإن نعته لأمير المؤمنين عليه السلام بذلك لا يناسب إلا ما عليه شيعته من تقديمه على من سبقه.

٤ ـ وقد روى المؤرخون من أن زياداً عامل معاوية على الكوفة كتب إليه في تجريم حجر بن عدي وأصحابه: «وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب»[٢].

٥ ـ ولما بعث عبد الله بن الزبير ابن مطيع والياً على الكوفة كان فيما قال: «ولأتبعن سيرة عمر وعثمان».

فقال له السائب بن مالك: «وأما سيرة عمر فأقل السيرتين ضرراً علينا. لكن عليك بسيرة علي بن أبي طالب، فإنا لا نرضى بما دونها»[٣].

٦ ـ ويقول بعض التوابين: «وجاء حصين بن نمير، وقد عبأ لنا

---

(١) وقعة صفين: ٥٤٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٢٦ في ذكر سبب مقتل حجر بن عدي من أحداث سنة ٥١ هـ واللفظ له. الكامل في التاريخ ٣: ٣٣٣ في ذكر مقتل حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما في أحداث سنة ٥١ هـ. مقتل الشهيد عثمان ١: ٢٢٥ في ذكر مقتل عمرو بن الحمق الخزاعي، ولكن بدل آل أبي طالب: آل علي بن أبي طالب.

(٣) أنساب الأشراف ٦: ٣٨٣ أمر المختار بن أبي عبيد الثقفي وقصصه، واللفظ له. تاريخ الطبري ٣: ٤٣٥ في أحداث سنة ست وستين: ذكر الخبر عن الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة. الكامل في التاريخ ٤: ٢٨ أحداث سنة ست وستين: ذكر وثوب المختار بالكوفة. جمهرة خطب العرب ٢: ٧٦ـ٧٧ خطبة عبد الله بن مطيع العدوي حين قدم الكوفة: رد السائب بن مالك الأشعري عليه. البداية والنهاية ٨: ٢٦٤ في أحداث سنة ست وستين. الفتوح لابن أعثم المجلد الثالث: ٢٤٩ ابتداء خروج المختار بن أبي عبيد وما كان منه، لكن بُتِر قسم من كلام ابن مطيع مع تغيير في كلام السائب بن مالك.

جنده... فلما دنوا دعونا إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان، وإلى الدخول في طاعته، ودعوناهم إلى أن يدفعوا إلينا عبيد الله بن زياد فنقتله ببعض من قتل من إخواننا، وأن يخلعوا عبد الملك بن مروان، وإلى أن يخرج من ببلادنا من آل ابن الزبير، ثم نرد هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا الذين آتانا الله من قبلهم بالنعمة والكرامة. فأبى القوم، وأبينا»[1].

٧ ـ ولذا كان الأمويون وعمالهم يمتحنون من يتهمونه بالتشيع بسؤالهم عن موقفهم من الأولين، ويؤاخذونهم بأنهم يبرؤون منهم. وذلك شاهد بشيوع هذه العقيدة في العصور الأولى.

٨ ـ وهذا أبو حمزة الشاري الخارجي لما دخل المدينة المنورة بأصحابه، في أواخر العهد الأموي، قال في خطبة له: «وأما إخواننا من الشيعة ـ وليسوا بإخواننا في الدين، لكني سمعت الله يقول: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾ ـ فإنها فرقة تظاهرت بكتاب الله، وآثرت الفرقة على الله، لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن، ولا عقل بالغ في الفقه، ولا تفتيش عن حقيقة الثواب، وقد قلدوا أمورهم أهواءهم، وجعلوا دينهم العصبية لحزب لزموه، وأطاعوه في جميع ما يقوله غياً كان أو رشداً، ضلالة كان أو هدى، ينتظرون الدول في رجعة الموت، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة، ويدعون علم الغيب لمخلوقين لا يعلم واحدهم ما في بيته، بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبه، أو يحوي جسمه، ينقمون المعاصي على أهلها، ويعملون بها ولا يعلمون المخرج منها، جفاة في دينهم، قليلة

---

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٤١٦ أحداث سنة خمس وستين: فمن ذلك ما كان من أمر التوابين للطلب بدم الحسين بن علي إلى عبيدالله بن زياد، واللفظ له. وقريب منه في أنساب الأشراف ٦ : ٣٧١ في أمر التوابين وخبرهم بعين الوردة، والفتوح لابن أعثم المجلد الثالث : ٢٤٥ ثم رجعنا إلى أخبار سليمان بن صرد وأصحابه، والكامل في التاريخ ٤ : ٧ في أحداث سنة خمس وستين: ذكر مسير التوابين وقتلهم.

عقولهم، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم، وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة، وينجيهم من عقاب الأعمال السيئة، قاتلهم الله أنى يؤفكون!...»[1].

وهو شاهد بشيوع هذه العقيدة وإن حاول في طرحه لها التهريج عليها وتبشيعها، كما هو المنتظر من أمثاله.

٩ - ولولا ذلك لما استطاع العباسيون أن يقيموا أساس دعوتهم على البراءة من الأولين وعدم شرعية حكمهم، واختصاص الحق بأهل البيت (صلوات الله عليهم) كما تقدم بعض شواهد ذلك في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة. وإن عدلوا بعد ذلك، وتخلوا عن التشيع، وتنكروا له، وجَدُّوا في مقاومته، حين بدأ العلويون ثوراتهم مطالبين بالخلافة، على أساس أنهم الأولى بها بعد أن كانت حقاً لأهل البيت عليهم السلام. فإن بناء دعوتهم على التشيع في أول الأمر لا يمكن عادة إلا إذا كان للتشيع قاعدة شعبية قوية تتقبل الدعوة المذكورة، وتتفاعل معها.

وما ذلك إلا بفضل جهود أمير المؤمنين عليه السلام ومن توجه وجهته من الصحابة، وتأكيدهم على اغتصاب الخلافة منه ـ كما ذكرنا ويتضح في جواب السؤال الرابع ـ بنحو لا يتناسب مع إمضائه عليه السلام لما حصل، وإقراره له، بحيث يضفي عليه شرعية معذّرة.

إدراك جماعة من السنة حقيقة موقف أمير المؤمنين عليه السلام

والظاهر أن كثيراً من جمهور السنة ومن خاصتهم يدركون ذلك في باطن أمرهم، وإن كان مقام أمير المؤمنين عليه السلام ورفعة شأنه تمنعانهم من الإقرار به وإعلانه ـ دفعاً لمعرته على السلف ـ إلا في فلتات أو

---

(١) شرح نهج البلاغة ٥ : ١١٩.

اندفاعات، لا يملكون فيها السيطرة على أنفسهم، وضبط أعصابهم. وقد تقدم التعرض لبعضها عند الكلام في اختصاص الشيعة بأئمتهم، ولزوم تصديقهم عليهم.

حديث إسماعيل الحنبلي عن موقف أمير المؤمنين عليه السلام من الأولين

ومن الطريف في ذلك ما ذكره ابن أبي الحديد في تعقيب كلامه السابق حول شكوى أمير المؤمنين في أمر الخلافة.

قال: «وحدثني يحيى بن سعيد بن علي الحنبلي المعروف بابن عالية من ساكني قَطُفْتا بالجانب الغربي من بغداد، وأحد الشهود المعدلين بها، قال: كنت حاضراً الفخر إسماعيل بن علي الحنبلي الفقيه المعروف بغلام ابن المنى. وكان الفخر إسماعيل بن علي هذا مقدم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف، ويشتغل بشيء من علم المنطق، وكان حلو العبارة، وقد رأيته أنا، وحضرت عنده، وسمعت كلامه، وتوفي سنة عشر وستمائة.

قال ابن عالية: ونحن عنده نتحدث إذ دخل شخص من الحنابلة، قد كان له دين على بعض أهل الكوفة، فانحدر إليه يطالبه به، واتفق أن حضرت زيارة يوم الغدير، والحنبلي المذكور بالكوفة. وهذه الزيارة هي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جموع عظيمة، تتجاوز حدّ الإحصاء.

قال ابن عالية: فجعل الشيخ الفخر يسأل ذلك الشخص: ما فعلت؟ ما رأيت؟ هل وصل مالك إليك؟ هل بقي لك منه بقية عند غريمك؟ وذلك يجاوبه. حتى قال له: يا سيدي لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير، وما يجري عند قبر علي بن أبي طالب من الفضائح والأقوال الشنيعة، وسبّ الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة، من غير مراقبة ولا خيفة!.

فقال إسماعيل: أي ذنب لهم؟!. والله ما جرأهم على ذلك، ولا فتح لهم هذا الباب، إلا صاحب ذلك القبر.

فقال ذلك الشخص: ومن صاحب القبر؟ قال: علي بن أبي طالب.
قال: يا سيدي، هو الذي سن لهم ذلك، وعلمهم إياه، وطرّقهم إليه؟

قال: نعم والله.

قال: يا سيدي، فإن كان محقاً فما لنا أن نتولى فلاناً وفلاناً؟! وإن كان مبطلاً فما لنا نتولاه؟!. ينبغي أن نبرأ إما منه، أو منهما.

قال ابن عالية: فقام إسماعيل مسرعاً، فلبس نعليه، وقال: لعن الله إسماعيل الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة. ودخل دار حرمه، وقمنا نحن، وانصرفنا»[١].

وبذلك ظهر أن الشيعة لم يخرجوا بذلك عن رأي أئمتهم (صلوات الله عليهم)، بل تابعوهم فيه، كما تابعوا الأدلة التي وردت في الكتاب المجيد والسنة الشريفة التي تفيض بمرجعية أهل البيت (صلوات الله عليهم) للأمة وإمامتهم عليها، والتي يأتي التعرض لبعضها في حوارنا هذا إن شاء الله تعالى.

دعوى إقرار الأئمة عليهم السلام الرضا بما حصل هي التي تحتاج للدليل.

بقي شيء له أهميته. وهو أنه بعد كون الخلافة حقاً لأمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام ـ كما تقول الشيعة، وهو المفروض في السؤال ـ فدعوى تنازل الأئمة عليهم السلام عن حقهم وإقرارهم لما حصل مخالفة للأصل. ومن أجل ذلك فهي التي تحتاج إلى دليل قاطع رافع للعذر.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩ : ٣٠٧ـ٣٠٨.

وحينئذٍ يحق لنا أن نسأل من يدعي إقرار أئمة أهل البيت عليهم السلام لذلك: هل اطلع على دليلٍ معتمد، يتعين لأجله رفع اليد عما سبق، ورده، أو الإعراض عنه، عملاً بأقوى الحجتين؟ وإذا كان قد أطلع على ذلك فنحن على استعداد للنظر فيه.

وعلى كل حال فمما سبق يظهر أن موقف الشيعة من الأولين لا يبتني على التعصب والعناد، ولا على النصب لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبغضهم،بل على ماعرفت من الأدلة، التي إن أصابوا فيها فهم الفائزون، وإن فرض جدلاً أنهم أخطأوا فيها ـ لوجود أدلة أقوى منها جهلوها ـ فهم معذورون إن شاء الله تعالى. خصوصاً على مباني الجمهور من فتح باب الاجتهاد في مثل هذه الأمور على مصراعيه،حتى لمثل معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

☐ س ٤: هـل يجوز على الجمهور الأعظم من الصحابة(رض) أن يغفلوا عن النص الشـرعي البين - إن وجد- في بيعـة الإمام علـي، ويتعاموا عنـه؟ والله يقـول عنهـم: [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ] آل عمران/ ١١٠.

ج: الجواب عن ذلك من وجوه..

إهمال الصحابة للنص أهون من إهمال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر الأمة

الوجـه الأول: أنـه إذا بني الأمر على الاستبعاد، فالبنـاء على إغفال الصحابـة للنص أهون بكثير مـن البناء على إهمال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر الأمة، وتركهـا من دون أن ينص على خليفة يرعاهـا، ومن دون أن يحدد بوضوح أمر الخلافة، بوجه شـامل، في عصور الإسلام المتعاقبة، مع ما عليه الخلافة من الأهمية الكبرى في الدين، وفي نظم أمر الإسلام والمسلمين، ومع كونها معترك المصالـح والمطامـع القبلية والفردية، ومختلف الآراء والاجتهادات التي لا ضابط لها ولا حدود. وهل ذلك إلا تفريط بالإسـلام العظيم، ينزه عنه الله سـبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم الكريم، ونقص في الدين الذي أكمله لنا رب العالمين.

خصوصـاً وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قـد تـرك الدعـوة الإسـلامية في أول نشـوئها، وهي في محيط قبلي بدائي لا ألفة له قبل ذلك بالدولة والسـلطان، ولم يعـرف نظام حكم فيها يجري عليـه بطبعه، فكيف يتركها صلى الله عليه وآله وسلم، من

دون نظام واضح قاطع، نهبة للمطامع، وميداناً للتسابق والتناحر؟!

ولا سيما مع ما تظافر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الإخبار بالفتن، حتى قال فيما رواه حذيفة: «لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال»[1].

كما استفاض عنه صلى الله عليه وآله وسلم الإخبار بولاية ولاة السوء على الأمة وظلمهم واستئثارهم وانتهاكهم الحرمات. فإن ذلك لا يتناسب مع إهماله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الولاية من دون أن يحدد ضوابطها الشرعية، لتعرف الأمة الحق من الباطل، والعدل من الجور.

وأطرف من ذلك أن يكتفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيان نظام الحكم بقوله المشهور: «الأئمة من قريش»[2]، من دون تحديد دقيق. ومن هي قريش؟ أليس أكثرها قد دخل في الإسلام أخيراً، حينما غلبوا على أمرهم،

---

(١) صحيح ابن حبان ١٥ : ٢١٨ باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث: ذكر الإخبار عن العلامة التي بها يعرف نجاة المرء من فتنة الدجال، واللفظ له. مجمع الزوائد ٧ : ٣٣٥ كتاب الفتن: باب فيما قبل الدجال ومن نجا منه نجا. مسند أحمد ٥ : ٣٨٩ حديث حذيفة ابن اليمان عن النبي ﷺ. موارد الظمآن : ٤٦٨. مسند البزار ٧ : ٢٣٢، ٢٣٣ فيما رواه طارق ابن شهاب عن حذيفة. كنز العمال ١٤ : ٣٢٢ حديث: ٣٨٨١٢.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٣ : ١٢١ باب من قال يؤمهم ذو نسب إذا استووا في القراءة والفقه، ٨ : ١٤٣،١٤٤ كتاب قتال أهل البغي: جماع أبواب الرعاة: باب الأئمة من قريش. السنن الكبرى للنسائي ٣ : ٤٦٧ كتاب القضاء: الأئمة من قريش. الأحاديث المختارة ٤ : ٤٠٣ فيما رواه بكير بن وهب الجزري عن أنس، ٦ : ١٤٣ فيما رواه سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف عن أنس. المستدرك على الصحيحين ٤ : ٨٥ كتاب معرفة الصحابة: ذكر فضائل القبائل. المصنف لابن أبي شيبة ٦ : ٤٠٢،٤٠٣ كتاب الفضائل: ما ذكر في فضل قريش. مسند أحمد ٣ : ١٢٩، ١٨٣ في مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، ٤ : ٤٢١ في أول مسند البصريين: حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه. المعجم الأوسط ٤ : ٢٦. المعجم الصغير ١ : ٢٦٠. مسند الطيالسي ١ : ١٢٥، ٢٨٤. مسند أبي يعلى ٦ : ٣٢١ فيما رواه سعد بن إبراهيم عن أنس، ٧ : ٩٤ فيما رواه سهل أبو الأسود عن أنس. المعجم الكبير ١ : ٢٥٢ ومما أسند أنس بن مالك رضي الله عنه. وغيرها من المصادر الكثيرة.

بعـد صراع طويل مرير، وبعد أن أريق كثير مـن الدماء، وتهددت كثير من المصالـح، مما أثار كثيراً من الأحقاد والأضغان.

ثم أليسـت قريـش مجمع التناقضـات، فيهـا القمة في الديـن والعفة والشرف: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفيها ما دون ذلك، درجة بعد درجة، في تسافل نحو الحضيض في الطغيان والجريمة والخسة، كبني أمية الشجرة الملعونـة في القرآن[1]، وآل أبي العاص الذين اتخـذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، ودينه دغلاً[2]، فأي ضابط هذا، وأي تحديد؟!

ولاسيما وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر بمرارة عن حال هؤلاء وما تلقى الأمة منهم، وقال أيضاً: «هلاك هذه الأمة على يدي أغيلمة من قريش»[3]،

---

(١) تفسير القرطبي ١٠ : ٢٨٦. الدر المنثور ٥ : ٣١٠. فتح القدير ٣ : ٢٣٩،٢٤٠. روح المعاني ١٥ : ١٠٧. لسـان الميـزان ١ : ١٨٩ في ترجمـة أحمد بن الطيب السرخسي. تاريخ الطبري ٥ : ٦٢١ في أحداث سنة أربع وثمانين ومائتين. وفي تفسير الطبري ١٥ : ١١٢، وتفسير ابن كثير ٣ : ٥٠ ولكن بدل بني أمية، بني فلان.

(٢) المستدرك عـلى الصحيحـين ٤ : ٥٢٧ كتـاب الفتن والملاحـم. مجمع الزوائـد ٥ : ٢٤١ كتاب الخلافـة: بـاب في أئمة الظلم والجور وأئمـة الضلالة. المعجم الأوسـط ٨ : ٦. المعجم الصغير ٢ : ٢٧١. وتجده مع اختلاف يسـير في كل من مسـند أبي يعلى ١١ : ٤٠٢، والمعجم الكبير ١٢ : ٢٣٦ فيما رواه ابن موهب عن ابن عباس، و ١٩ : ٣٨٢ فيما رواه عمير بن الحارث السـكوني عن معاوية، والفتن لنعيم بن حماد ١ : ١٣٠ باب آخر من ملك بني أمية.

(٣) المسـتدرك عـلى الصحيحـين ٤ : ٥٢٦، واللفـظ لـه، : ٥٧٢ كتـاب الفتن والملاحـم. صحيح البخاري ٣ : ١٣١٩ كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، ٦ : ٢٥٨٩ كتاب الفتن: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: هلاك أمتي على يدي أغيلمة سفهاء. مسند أحمد ٢ : ٥٢٠ مسند أبي هريرة. مسند إسحاق بن راهويه ١ : ٣٥٨، ٣٥٩ زيادات الكوفيين والبصريين وغيرهم عن أبي هريرة عـن النبي صلى الله عليه وسلم. المعجم الصغير ١ : ٣٣٤. مسـند الطيالسي : ٣٢٧ فيـما رواه مالك بن ظالم عن أبي هريـرة رضي الله عنه. فتـح البـاري ١١ : ٤٧٨. السـنن الواردة في الفتـن ٢ : ٤٧١،٤٧٢ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم هلاك أمتي على أيدي أغيلمة سـفهاء مـن قريش. الفتن لنعيم بن حماد ١ : ١٣٠ باب آخـر مـن ملك بني أميـة، : ٤٠٧ ما يكون بعد المهـدي. الفردوس بمأثـور الخطاب ٤ : ٣٤٦. التاريخ الكبير ٣ : ٤٩٩ في ترجمة سـعيد بن عمرو بن سـعيد بن العاصي الأموي القرشي، ٧ :

←

ونحو ذلك مما لا يتناسب وإطلاق أمر الإمامة في قريش من دون تحديد صارم يقطع أمل هؤلاء وأمثالهم في الحكم والسلطان، ويمنع من شرعية ولايتهم.

وإذا روي عن عمر بن الخطاب أنه قال عن بيعة أبي بكر إنها فلتة وقى الله شرها(١)، فما هو المؤمِّن من فلتات لا نهاية لها، ولا وقاية من شرها؟!

والأطرف من ذلك أن ينتبه المسلمون لذلك، ويغفله النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيطلبوا من عمر أن يستخلف على الأمة(٢).

← ٣٠٩ في ترجمة مالك بن ظالم. الثقات ٥ : ٣٨٨ في ترجمة مالك بن ظالم. تهذيب التهذيب ١٠ : ١٦ في ترجمة مالك بن ظالم. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) صحيح البخاري ٦ : ٢٥٠٣، ٢٥٠٥ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة: باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت. صحيح ابن حبان ٢ : ١٤٨ باب حق الوالدين: ذكر الزجر عن أن يرغب المرء عن آبائه إذ استعمال ذلك ضرب من الكفر، : ١٥٥،١٥٧ ذكر الزجر عن الرغبة عن الآباء إذ رغبة المرء عن أبيه ضرب من الكفر. مجمع الزوائد ٦ : ٥ كتاب الجهاد: باب تدوين العطاء. السنن الكبرى للنسائي ٤ : ٢٧٢،٢٧٣ كتاب الرجم: تثبيت الرجم. المصنف لابن أبي شيبة ٦ : ٤٥٣ كتاب السير: ما قالوا في الفروض وتدوين الدواوين، ٧ : ٤٣١ ما جاء في خلافة أبي بكر وسيرته في الردة. المصنف لعبدالرزاق ٥ : ٤٤١،٤٤٥ كتاب المغازي: بيعة أبي بكر رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة. مسند البزار ١ : ٣٠٢ ومما روى عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس عن عمر، : ٤١٠ ما رواه زيد ابن أسلم عن أبيه عن عمر أيضاً. مسند أحمد ١ : ٥٥ في مسندعمر بن الخطاب رضي الله عنه. مسند الشهاب ١ : ٢٣٧. جامع العلوم والحكم : ٣٨٦. التمهيد لابن عبد البر ٢٢ : ١٥٤. الثقات لابن حبان ٢ : ١٥٣،١٥٦ كتاب الخلفاء: استخلاف أبي بكر بن أبي قحافة الصديق رضي الله عنه. الفصل للوصل المدرج ١ : ٤٩٠،٤٩٣. الرياض النضرة ٢ : ٢٠٢ الفصل الثالث عشر في ذكر خلافته وما يتعلق بها من الصحابة: ذكر بيعة السقيفة وما جرى فيها. تاريخ الطبري ٢ : ٢٣٥ حديث السقيفة. السيرة النبوية ٦ : ٧٨، ٧٩ في أمر سقيفة بني ساعدة. وغيرها من المصادر.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ١٤٨ كتاب قتال أهل البغي: جماع أبواب الرعاة: باب الاستخلاف. مسند أبي عوانة ٤ : ٣٧٤ مبتدأ كتاب الأمراء: ذكر الخبر المبين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف والدليل على أن المستخلف خليفة يكون عليه مثل وزره فيما يأتي إلى رعيته مما لا يجوز. مسند أبي يعلى ١ : ١٨٢ في مسند عمر بن الخطاب. وغيرها من المصادر.

بل يزيد بعضهم، فيؤكد ذلك شارحاً خطورة الإهمال بالنحو الذي ذكرناه في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم. يقول عبدالله بن عمر عن أبيه في حديث له: «فدخلت عليه، فسألني عن حال الناس، وأنا أخبره. قال: ثم قلت له: إني سمعت الناس يقولون مقالة، فآليت أن أقولها لك. زعموا أنك غير مستخلف. وإنه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم، ثم جاءك وتركها رأيت أن قد ضيع، فرعاية الناس أشد. قال فوافقه قولي، فوضع رأسه ساعة، ثم رفعه إلي فقال: إن الله عز وجل يحفظ دينه. وإني لئن لا أستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف، وإن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف...»[1].

وعن عائشة أنها قالت لعبد الله بن عمر بعد أن طعن: «يا بني أبلغ عمر عني سلامي، وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملاً، فإني أخشى عليهم الفتنة فأتى عبد الله وأعلمه»[2].

نتائج الإهمال المزعوم

ثم ماذا كانت المحصلة من هذا الإهمال المزعوم؟! وإلى أين انتهى أمر الخلافة نظرياً بين فقهاء الجمهور، حيث لا يقف خلافهم في شروطها وقيودها عند حدود.

وعملياً بين الطامعين والانتهازيين، حتى تسنم ذروة الحكم من هو في

---

(١) صحيح مسلم ٣ : ١٤٥٥ كتاب الإمارة: باب الاستخلاف وتركه، واللفظ له. مسند أحمد ١ : ٤٧ في مسند عمر بن الخطاب. مسند أبي عوانة ٤ : ٣٧٥ مبتدأ كتاب الأمراء: ذكر الخبر المبين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف والدليل على أن المستخلف خليفة يكون عليه مثل وزره فيما يأتي إلى رعيته مما لا يجوز. السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ١٤٨ كتاب قتال أهل البغي: جماع أبواب الرعاة: باب الاستخلاف. المصنف لعبدالرزاق ٥ : ٤٤٨ كتاب المغازي: قول عمر في أهل الشورى. حلية الأولياء ١ : ٤٤ في ترجمة عمر بن الخطاب. وغيرها من المصادر.

(٢) الإمامة والسياسة ١ : ٢٨.

حضيض الجريمة والظلم والطغيان، ومن لا تلتقي بذمهم الشفتان.

وجرى بسبب ذلك أنهار الدماء في الحروب والفتن التي وقعت في صدر الإسلام، وأريقت أزكاها ـ كدماء أمير المؤمنين والحسين والصفوة من أهل البيت (صلوات الله عليهم)، ومن دونهم طبقة بعد طبقة ـ مع عظم أهمية الدماء في الإسلام. كما انتهك بسببه من الحرمات ما لا يحصى عدداً، ولا يقف عند حد، كحرمة الكعبة المعظمة والحرمين الشريفين فما دونها.

كل ذلك في مدة قصيرة، والصحابة الذين عاشوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم متوافرون. وهم قد رأوا سلطانه وحكمه وعدله، وسمعوا تعاليمه وإرشاداته، وتوقعاته بالفتن المقبلة.

ثم التهاون بالدين والتسافل في المثل، وضعف الكيان الإسلامي على مرّ العصور وتعاقب الدهور، حتى انتهى الأمر إلى ما هو عليه اليوم من الوهن والهوان، والتفكك والامتهان، بنحو لا يحتاج إلى شرح وبيان. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أمد رفعة الإسلام وتكامله

وبالمناسبة قال ابن أبي الحديد: «وروى أبو جعفر الطبري في تاريخه، قال: كان عمر قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا بإذن وأجل. فشكوه، فبلغه. فقام فخطب فقال: ألا إني قد سننت الإسلام سن البعير، يبدأ فيكون جذعاً، ثم ثنياً، ثم يكون رباعياً، ثم سديساً، ثم بازلاً. ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان؟ ألا وإن الإسلام قد صار بازلاً وإن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات على ما في أنفسهم. ألا إن في قريش من يضمر الفرقة، ويروم خلع الربقة، أما وابن الخطاب حي فلا، إني قائم دون شعب الحرة، آخذ بحلاقيم قريش

وحجزها أن يتهافتوا في النار»(١).

فانظر إليه كيف يقيم وضع الإسلام ويراه قد صار بازلاً ينتظر به النقصان. ومن القريب أن يكون قد قال ذلك حدود سنة عشرين من الهجرة النبوية التي هي مبدأ نشاط الإسلام. فلو سلمنا له تكامل الإسلام في ذلك الوقت، وغضضنا النظر عن السلبيات التي مني بها في تلك المدة القصيرة، فهل من الإنصاف أن يكون أمد تكامله عشرين سنة. ثم ينتظر بعدها نقصانه، وهو دين الله العظيم الذي ختم به الأديان، والذي يفترض فيه البقاء إلى يوم القيامة، لتهتدي به البشرية، وتنهل من معينه، وتنعم بخيراته.

وهل من المعقول أن يكون الله عزوجل حينما رضي هذا الدين للبشرية في عصورها الطويلة، وأكمل تشريعاته القويمة، قد شرعه بنحو يكون تكامله عشرين سنة، ثم يبدأ بالنقصان والنزول؟!

أليس من أهم محن الإسلام أمر الخلافة والسلطان؟ كما أشار إليه عمر في خطبته المتقدمة، ويشهد به واقع الإسلام الذي حصل.

فشل نظرية عدم النص دليل على وجوده

والإنصاف أنه لو لم يكن من دليل على وجود النص إلا فشل نظرية عدم النص عملياً، وما جرت على الإسلام والمسلمين من مآس وويلات، لكفى حجة من الله تعالى على المسلمين، لا يقف أمامها استبعاد تجاهل عموم الصحابة للنص، وخروجهم عليه، مهما أحيطوا به من هالة التعظيم والتقديس ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ١١ : ١٢. وهو الموجود في تاريخ الطبري ٢ : ٦٧٩ في ذكر بعض من سير عثمان بن عفان مع تغيير بسيط، إلا أنه قد حذفت منه : «إن في قريش من يضمر الفرقة، ويروم خلع الربقة». ويوجد في تاريخ دمشق ٣٩ : ٣٠٢ في ترجمة عثمان بن عفان، والفتنة ووقعة الجمل : ٧٥، وكنز العمال ١٤ : ٧٥ حديث: ٣٧٩٧٧.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٤٩.

الوجه الثاني: أن من الغريب جداً أن تستكثر على عموم الصحابة إغفال النص الشرعي وتجاهله..

مخالفة الصحابة للنص في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أولاً: بعد حادثة صلح الحديبية، حيث تظافرت الأحاديث بأن جمهور الصحابة الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها قد ثارت ثائرتهم ضد الصلح الذي أقره صلى الله عليه وآله وسلم مع قريش. وحينما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنحر والحلق، وكرر ذلك، لم يستجيبوا له.

وكذا في حجة الوداع حينما أمرهم صلى الله عليه وآله وسلم بالإحلال من الإحرام وجعلها عمرة، وبذلك شرعت عمرة التمتع وحجه. حيث لم يستجيبوا له، وأنكروا عليه.

فراجع تفصيل الحادثتين في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة، وفي بقية كتب الحديث والتاريخ، تجدهم قد خالفوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتصاموا عن أمره، مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد كان بين أظهرهم، يحاول حملهم على تنفيذ حكمه، والعمل بقوله، حتى غضب من ذلك. ولم يكن لهم من مصالح شخصية في ردهم عليه، إلا رأي رأوه.

كما خالفه كثير منهم، ولم يرعوا حرمته وكرامته صلى الله عليه وآله وسلم، في كثير من الموارد، تقدم هناك التعرض لبعضها. خصوصاً تقاعسهم عن تنفيذ بعث أسامة الذي شدد صلى الله عليه وآله وسلم فيه، ومنعهم له صلى الله عليه وآله وسلم من كتابة الكتاب الذي يعصم أمته في جميع العصور من الضلال في رزية الخميس المشهورة، وقد تقدمت الإشارة إليهما هناك.

فكيف يستبعد بعد ذلك تجاهلهم للنص على أمير المؤمنين عليه السلام بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخلو الجو لهم؟! وهم بين منتفع بذلك أعظم المنافع

الدنيوية، وطالب للعافية لا يهون عليه التضحية في سبيل تنفيذ النص.

أحاديث الحوض والفتن المنذرة بخطورة الموقف

وثانياً: بعد مثل نصوص الحوض المتظافرة والتي أشرنا في جواب السؤال المذكور إلى قسم منها. ولاسيما مع ما في بعضها من أنه لا يبقى منهم إلا مثل همل النعم، إشارة إلى قلة الناجين منهم. وبعد الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الكثيرة المحذرة من الفتن التي سوف يتعرضون لها،والمؤشرة على شدة المحنة وخطورة الموقف. وقد ذكرنا كثيراً منها هناك.

ما حدث في الأمم السابقة

ولاسيما بعد مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم ـ المتقدم هناك ـ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبر بشبر، وذراع بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!».

مع وضوح حال ما حصل في الأمم السابقة في مخالفتها لأنبيائها عليهم السلام. خصوصاً اليهود، الذين تضمن الكتاب الكريم زيغهم مرتين.

أشار إلى الأولى في قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1].

والثانية هي اتخاذهم العجل الذي تعرضت له آيات كثيرة، وتضمنته توراتهم المتداولة.

كما تضمن الكتاب المجيد في سورة الإسراء أنهم سوف يفسدون في الأرض مرتين، ويعلُنَّ علواً كبيراً، وأن عواقبهما تكون عليهم وخيمة.

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٣٨.

قد خولفت النصوص وإن لم تكن دليلا على الإمامة

وثالثاً: لأن ما ورد في حق أمير المؤمنين، والصديقة فاطمة الزهراء، وأهل البيت(صلوات الله عليهم أجمعين) عموماً، قد خولف على كل حال، سواءً كان نصاً في خلافة أمير المؤمنين أم لم يكن. كحديث الثقلين القاضي بوجوب التمسك بأهل البيت (صلوات الله عليهم)، الذي تقدم الحديث عنه في جواب السؤال السادس من الأسئلة السابقة.

ومثله حديث: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[(١)].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم»[(٢)]... إلى

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٢ : ٣٧٣ كتاب التفسير: تفسير سورة هود، واللفظ له، ٣ : ١٦٣ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أهل رسول الله ﷺ. مجمع الزوائد ٩ : ١٦٨ كتاب المناقب: باب في فضل أهل البيت عليهم السلام. مسند البزار ٩ : ٣٤٣ فيما روى سعيد بن المسيب عن أبي ذر. المعجم الأوسط ٤ : ١٠، ٥ : ٣٥٥، ٦ : ٨٥. المعجم الصغير ١ : ٢٤٠، ٢ : ٨٤. المعجم الكبير ٣ : ٤٥، ٤٦ في بقية أخبار الحسن بن علي عليهما السلام، ١٢ : ٣٤ فيما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس. مسند الشهاب ٢ : ٢٧٣، ٢٧٤ الباب الحادي عشر: الجزء العاشر. فيض القدير ٢ : ٥١٩. حلية الأولياء ٤ : ٣٠٦ في ترجمة سعيد بن جبير. تاريخ بغداد ٧ : ٣٣٦ في ترجمة الحسن ابن أبي طيبة القاضي المصري، ١٢ : ٩١ في ترجمة علي بن محمد بن شداد. فضائل الصحابة لعبدالله بن أحمد بن حنبل ٢ : ٧٨٥. وغيرها.

(٢) سنن ابن ماجة ١ : ٥٢ في فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب عليهم السلام، واللفظ له. صحيح ابن حبان ١٥ : ٤٣٤ كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم (رضي الله عنهم أجمعين): ذكر البيان بأن محبة المصطفى ﷺ مقرونة بمحبة فاطمة والحسن والحسين وكذلك بغضه ببغضهم. سنن الترمذي ٥ : ٦٩٩ كتاب كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ: باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ. المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٦١ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أهل رسول الله ﷺ. المصنف لابن أبي شيبة ٦ : ٣٧٨ كتاب الفضائل: ما جاء في الحسن والحسين. مجمع الزوائد ٩ : ١٦٩ كتاب المناقب: باب في فضل أهل البيت عليهم السلام. المعجم الأوسط ٣ : ١٧٩، ٥ : ١٨٢، ٧ : ١٩٧. معجم الشيوخ : ١٣٣

←

غير ذلك مما ورد في حق أهل البيت عليهم السلام عموماً.

وكذا حديث الغدير القاضي بأن أمير المؤمنين عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم، كما سبق.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «علي مع القرآن والقرآن مع علي»[(١)].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «علي مع الحق والحق مع علي»[(٢)].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «رحم الله علياً اللّهم أدر الحق معه حيث دار»[(٣)].

← فيما رواه محمد بن عمار بن محمد بن عاصم بن مطيع العجلي أبو جعفر، : ٣٨٠ فيما رواه أبو بكر الغزال. المعجم الصغير ٢ : ٥٣. المعجم الكبير ٣ : ٤٠ في بقية أخبار الحسن بن علي ، رضي الله عنهما ١٨٤ : ٥ فيما روى زيد بن أرقم. أمالي المحاملي : ٤٤٧. سير أعلام النبلاء ٢ : ١٢٢، ١٢٥ في ترجمة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ٣ : ٢٥٨ في ترجمة الحسن بن علي بن أبي طالب، ١٠ : ٤٣٢ في ترجمة أبي غسان النهدي مالك بن إسماعيل بن درهم. تهذيب الكمال ١٣ : ١١٢ في ترجمة صبيح مولى أم سلمة. تاريخ بغداد ٧ : ١٣٧ في ترجمة تليد بن سليمان المحاربي. وغيرها من المصادر.

(١) مجمع الزوائد ٩ : ١٣٤ كتاب المناقب: باب الحق مع علي رضي الله عنه. المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٣٤ كتاب معرفة الصحابة: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. المعجم الصغير ٢ : ٢٨. فيض القدير ٤ : ٣٥٦. المعجم الأوسط ٥ : ١٣٥. الفردوس بمأثور الخطاب ٣ : ٢٣٠. تاريخ الخلفاء : ١٧٣ في ترجمة علي بن أبي طالب: فصل في الأحاديث الواردة في فضله. إجمال الإصابة : ٥٥. الجامع الصغير ٢ : ١٧٧ حديث:٥٥٩٤. كنز العمال ١١ : ٦٠٣ حديث: ٣٢٩١٢ في فضائل علي رضي الله عنه. ينابيع المودة ١ : ١٢٤، ٢ : ٩٦، ٣٩٦، ٣ : ٤٠٣. النصائح الكافية : ٢١٥. المناقب للموفق الخوارزمي : ١٧٧. وغيرها من المصادر.

(٢) مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٥ كتاب الفتن: باب فيما كان في الجمل وصفين وغيرهما. تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢٠ في ترجمة يوسف بن محمد بن علي أبي يعقوب المؤدب. تاريخ دمشق ٢٠ : ٣٦١ في ترجمة سعد بن مالك بن أبي الوقاص، ٤٢ : ٤٤٩ في ترجمة علي بن أبي طالب. الإمامة والسياسة ١ : ٦٨ التحام الحرب. ينابيع المودة ١ : ١٧٣. وغيرها من المصادر. وقريب منه في مسند أبي يعلى ٢ : ٣١٨ من مسند أبي سعيد الخدري.

(٣) سنن الترمذي ٥ : ٦٣٣ كتاب كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. المعجم الأوسط ٦ : ٩٥. مسند البزار ٣ : ٥٢ ومما روى أبو حيان التيمي واسمه ←

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «علي مني وأنا من علي، لا يؤدي عني إلا أنا أو علي»[١].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي»[٢].

← يحيى بن سعيدبن حيان عن أبيه عن علي. فيض القدير ٢ : ٢٣٦، ٤ : ١٩. تذكرة الحفاظ ٣ : ٨٤٤ في ترجمة ابن الأنباري. سير أعلام النبلاء ١٥ : ٢٧٩ في ترجمة ابن الأنباري. المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٣٤ كتاب معرفة الصحابة: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. الكامل في ضعفاء الرجال ٦ : ٤٤٥ في ترجمة مختار بن نافع. الضعفاء للعقيلي ٤ : ٢١٠ في ترجمة مختار ابن نافع التمار. المجروحين ٣ : ١٠ في ترجمة مختار بن نافع التيمي. تهذيب الكمال ١٠ : ٤٠٢ في ترجمة سعيد بن حيان التيمي. العلل المتناهية ١ : ٢٥٥. الرياض النضرة ١ : ٢٤٣ الباب الرابع فيما جاء مختصاً بالأربعة الخلفاء: ذكر وصفه صلى الله عليه وسلم لكل واحد منهم وثنائه عليه ودعائه له والحث على محبته ولعن مبغضه. مسند أبي يعلى ١ : ٤١٨ مسند علي بن أبي طالب ولكن بدل (حيث دار) (كيف دار). وغيرها من المصادر.

(١) سنن الترمذي ٥ : ٦٣٦ كتاب كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: في باب لم يعنونه بعد باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واللفظ له. سنن ابن ماجة ١ : ٤٤ في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. السنن الكبرى للنسائي ٥ : ٤٥ فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم. مسند أحمد ٤ : ١٦٥ في حديث حبشي بن جنادة رضي الله عنه. الآحاد والمثاني ٣ : ١٨٣ في حديث حبشي بن جنادة السلولي رضي الله عنه. المعجم الكبير ٤ : ١٦ فيما رواه حبشي بن جنادة السلولي. السنة لابن أبي عاصم ٢ : ٥٦٦، ٥٩٨. تذكرة الحفاظ ٢ : ٤٥٥ في ترجمة سويد بن سعيد الحافظ. كشف الخفاء ١ : ٢٣٦. تهذيب الأسماء ١ : ٣١٨. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٥٩٩. سير أعلام النبلاء ٨ : ٢١٢ في ترجمة شريك بن عبد الله. تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٤٥ في ترجمة علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر.

(٢) صحيح البخاري ٤ : ١٦٠٢ كتاب المغازي: باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، واللفظ له، ٣ : ١٣٥٩ كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب علي بن أبي طالب. صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٠، ١٨٧١ كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم: باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. صحيح ابن حبان ١٥ : ١٥ باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الفتن والحوادث: ذكر نفي المصطفى صلى الله عليه وسلم كون النبوة بعده إلى قيام الساعة. المستدرك على الصحيحين ٢ : ٣٦٧ كتاب التفسير: تفسير سورة التوبة، ٣ : ١١٧ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ١٤٣ : كتاب معرفة الصحابة: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. الأحاديث المختارة ٣ : ٢٠٧ فيما رواه عبدالرحمن بن سابط عن سعد رضي الله عنه. وغيرها من المصادر الكثيرة.

وقولـه صلى الله عليه وآله وسلم: «أوحـي إليّ في عـلي ثلاثة أشـياء ليلـة أسري بي أنه سـيد المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين»[١]. وقد وصفه رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أمير المؤمنين في عدة مواضع[٢].

بـل في حديث بريدة قال: «أمرنا رسـول الله أن نسـلم على علي بأمير المؤمنين ونحن سبعة. وأنا أصغر القوم يومئذ»[٣].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «علي وليكم بعدي»[٤].

---

(١) المعجـم الصغـير ٢ : ١٩٢، واللفـظ له. مجمـع الزوائـد ٩ : ١٢١ كتاب المناقـب: باب مناقب عـلي بـن أبي طالـب عليه السلام: بـاب جامع في مناقبـه عليه السلام. المسـتدرك على الصحيحـين ٣ : ١٤٨ كتـاب معرفـة الصحابة: ومـن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب عليه السلام مما لم يخرجاه: ذكر إسـلام أمـير المؤمنـين علي عليه السلام، وقـال بعد ذكـر الحديث: «هـذا حديث صحيح الإسـناد ولم يخرجـاه». أسـد الغابة ١ : ٦٩ في ترجمة أسـد بـن زرارة الأنصـاري، ٣ : ١١٦ في ترجمة عبد الله بـن أسـعد بن زرارة الأنصـاري. تاريخ دمشـق ٤٢ : ٣٠٣،٣٠٢ في ترجمة عـلي بن أبي طالب. معجـم الصحابـة ١ : ٧٠ في ترجمـة أبجر بن غالب المـزني، ٢ : ١١٢ في ترجمة عبد الله بن زرارة بـن عـدس. موضـح أوهـام الجمـع والتفريـق ١ : ١٨٣، ١٨٦،١٨٥،١٨٤ في الوهـم الثالث والسـتون. الفـردوس بمأثور الخطاب ٥ : ٣١٥ فصل في عـلي بن أبي طالب. حلية الأولياء ١ : ٦٣ في ترجمـة عـلي بـن أبي طالب. تاريخ بغداد ١١ : ١١٢ في ترجمة عبد الجبار بن أحمد بن عبيد الله السمسـار، ١٣ : ١٢٢ في ترجمة المفضل بن سـلم. كشـف الخفاء ٢ : ٤٥٦. كنز العمال ١١ : ٦٢٠،٦١٩. ينابيع المودة ٢ : ١٦٢. ميزان الاعتدال ٧ : ٢٠٧ في ترجمة يحيى بن العلاء البجلي. الكامـل في ضعفـاء الرجـال ٧ : ١٩٩ في ترجمة يحيى بـن العلاء الرازي. وغيرهـا من المصادر.

(٢) تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٠٣،٣٨٦ في ترجمة علي بن أبي طالب. المناقب للخوارزمي : ٨٥. موضح أوهـام الجمع والتفريق ١ : ١٨٥. الفـردوس بمأثور الخطاب ٥ : ٣٦٤. حلية الأولياء ١ : ٦٣ في ترجمة علي بن أبي طالب. لسان الميزان ١ : ١٠٧ في ترجمة إبراهيم بن محمد بن ميمون. ميزان الاعتدال ١ : ١٩١ في ترجمة إبراهيم بن محمد ابن ميمون. وغيرها من المصادر.

(٣) تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٠٣ في ترجمة علي بن أبي طالب.

(٤) مجمـع الزوائـد ٩ : ١٢٨ كتـاب المناقب: بـاب منه جامع فيمـن يحبه ويبغضه. السـنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٣٣ كتاب الخصائص: ذكر خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ذكر قوله صلى الله عليه وآله وسلم علـي وليكم بعدي. المعجم الأوسـط ٦ : ١٦٣. مسـند أحمـد ٥ : ٣٥٦ في حديث بريدة

←

وقولـه صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي مـن فارقني فقد فـارق الله، ومن فارقك يا علي فقد فارقني»[١].

وقولـه صلى الله عليه وآله وسلم: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني»[٢].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»[٣].

← الأسـلمي رضي الله عنه. الفـردوس بمأثـور الخطـاب ٥ : ٣٩٢. فتح البـاري ٨ : ٦٧. تحفة الأحوذي ١٠ : ١٤٦،١٤٧. فيض القدير ٤ : ٣٥٧. الإصابة ٦ : ٦٢٣ في ترجمة وهب بن حمزة. الرياض النـضرة ٢ : ١٨٧. تاريـخ دمشـق ٤٢ : ١٨٩ في ترجمـة عـلي بـن أبي طالب. فضائـل الصحابة لابـن حنبـل ٢ : ٦٨٨. البداية والنهاية ٧: ٣٤٤،٣٤٦ أحداث سـنة أربعين مـن الهجرة: تزويجه فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٣٣ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب رضي الله عنه ممـا لم يخرجاه: ذكر إسـلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واللفظ لـه، وقال بعد ذكر الحديـث: «صحيح الإسـناد ولم يخرجـاه»، : ١٥٨ ذكر البيان الواضـح أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب رضي الله عنه بقي مـن خواص أوليائه جماعـة وهجرهم.... مجمع الزوائـد ٩ : ١٣٥ كتاب المناقب: باب الحق مع علي رضي الله عنه. مسـند البزار ٩ : ٤٥٥ فيما رواه معاوية بن ثعلبة عن أبي ذر. معجم شـيوخ أبي بكر الإسـماعيلي ٣ : ٨٠٠. المعجم الكبير ١٢ : ٤٢٣ فيما رواه مجاهد عن ابن عمـر. فضائـل الصحابـة ٢ : ٥٧٠. فيض القديـر ٤ : ٣٥٧. ميزان الاعتـدال ٣ : ٣٠ في ترجمة داود بن أبي عوف، : ٧٥ في ترجمة رزين بن عقبة. تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٠٧ في ترجمة علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر.

(٢) المسـتدرك عـلى الصحيحـين ٣ كتاب معرفـة الصحابة: ومـن مناقب أمير المؤمنـين علي بن أبي طالـب رضي الله عنه ممـا لم يخرجاه : ذكر إسـلام أمير المؤمنين عـلي ١٣١ : رضي الله عنه، واللفظ له، وقال بعد ذكـر الحديـث: «هـذا حديـث صحيـح الإسـناد ولم يخرجـاه»، : ١٣٩. معجم شـيوخ أبي بكر الإسـماعيلي ١ : ٤٨٥. الكامـل في ضعفـاء الرجـال ٤ : ٣٤٩ في ترجمـة عبـادة بن زيـاد. تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٠٧ في ترجمة علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر.

(٣) المسـتدرك عـلى الصحيحـين ٣ : ١٣٢ كتاب معرفـة الصحابة: ومن مناقب أمـير المؤمنين علي بـن أبي طالـب رضي الله عنه مما لم يخرجاه: ذكر إسـلام أمـير المؤمنين علي رضي الله عنه، واللفـظ له، وقال بعد ذكر الحديث: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٨٧ في ←

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ومن آذى علياً فقد آذاني»[١].

كما خولف قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة بضعة مني يريبني ما يريبها، ويؤذيني ما آذاها»[٢].

← ترجمة علي بن أبي طالب. الفردوس بمأثور الخطاب ٥ : ٣٣٢، ٣٦٤. حلية الأولياء ١ : ٦٤ في ترجمة علي بن أبي طالب. ميزان الاعتدال ٣ : ٤٤٩ في ترجمة ضرار بن صرد. الكشف الحثيث ١ : ١٣٨. المجروحين لابن حبان ١ : ٣٨٠ في ترجمة ضرار بن صرد. وغيرها من المصادر.

(١) صحيح ابن حبان ١٥ : ٣٦٥ كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم (رضي الله عنهم أجمعين): ذكر البيان بأن أذى علي بن أبي طالب رضي الله عنه مقرون بأذى المصطفى ﷺ. المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٣١ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مما لم يخرجاه: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. الأحاديث المختارة ٣ : ٢٦٧،٢٦٨ فيما رواه مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه. موارد الظمآن : ٥٤٣. مجمع الزوائد ٩ : ١٢٩ كتاب المناقب: باب منه جامع فيمن يحبه ويبغضه. المصنف لابن أبي شيبة ٦ : ٣٧١ فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. مسند الشاشي ١ : ١٣٤. مسند البزار ٣ : ٣٦٦ فيما رواه قنان بن عبد الله النهمي عن مصعب عن أبيه. مسند أحمد ٣ : ٤٨٣ في حديث عبد الله بن أرقم عن النبي ﷺ. مسند الروياني ٢ : ٤٥١. مسند الحارث ٢ : ٩٠٤. مسند أبي يعلى ٢ : ١٠٩. البيان والتعريف ٢ : ٢٠٣. التاريخ الكبير ٦ : ٣٠٦ في ترجمة عمرو ابن شاس الأسلمي رضي الله عنه. الجرح والتعديل ٦ : ٢٣٧ في ترجمة عمرو بن شاس الأسلمي. مشاهير علماء الأمصار : ٣٥ في ترجمة عمرو بن شماس الأسلمي. الثقات ٣ : ٢٧٣ في ترجمة عمرو بن شاس الأسلمي. التدوين في أخبار قزوين ٣ : ٣٩٠. معجم الصحابة ٢ : ٢٠١ في ترجمة عمرو بن شاس بن أبي بلي. الاستيعاب ٣ : ١١٠١ في ترجمة علي بن أبي طالب، : ١١٨٣ في ترجمة عمرو بن شأس بن عبيد. الإصابة ٤ : ٦٤٦ في ترجمة عمرو بن شأس الأسدي. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٥٧٩،٦٣٣. تاريخ الخلفاء : ١٧٣ في ترجمة علي بن أبي طالب: فصل في الأحاديث الواردة في فضله. أنساب الأشراف ٢ : ٣٧٩وأما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وغيرها من المصادر.

(٢) تفسير ابن كثير ٣ : ٢٥٧، واللفظ له. صحيح البخاري ٥ : ٢٠٠٤ كتاب النكاح: باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف. صحيح ابن حبان ١٥ : ٤٠٦ كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم (رضي الله عنهم أجمعين): ذكر ﷺ أن ينكح علي على فاطمة ابنته. مسند أبي عوانة ٣ : ٧٠ باب ذكر الخبر المبيح لوالد المرأة أن يمتنع من ←

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لها: «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»[١]، على اختلاف ألفاظ ذلك وتقارب معانيه، مع تواتره إجمالاً... إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة، ولا مجال لإنكاره بعد تواتره تفصيلاً أو إجمالاً، بل زاد

← الإذن لزوج الابنة أن يتزوج بامرأة أخرى ويقوم بمنعه عن التزويج عليها أو طلاقها والدليل على أن له أن يشكو زوج ابنته إلى إخوانه وأصحابه. سنن الترمذي ٥ : ٦٩٨ كتاب كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: باب فضل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم. السنن الكبرى للبيهقي ٧ : ٣٠٧ كتاب القسم والنشوز: باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف، ١٠ : ٢٨٨ كتاب العتق: باب من يعتق بالملك. سنن أبي داود ٢ : ٢٢٦ كتاب النكاح: باب ما يكره أن يجمع بينهن من النساء. سنن ابن ماجة ١ : ٦٤٣ كتاب النكاح: باب الغيرة. معتصر المختصر ١ : ٣٠٧ كتاب النكاح: في كراهة التزوج على فاطمة. المعجم الكبير ٢٢ : ٤٠٤ في مناقب فاطمة عليها السلام. الفردوس بمأثور الخطاب ١ : ٢٣٢. حلية الأولياء ٢ : ٤٠ في ترجمة الحسين بن علي، ٧ : ٣٢٥. سير أعلام النبلاء ٢ : ١١٩ في ترجمة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ٥ : ٩٠ في ترجمة ابن أبي مليكة. تهذيب التهذيب ١٢ : ٤٦٨ في ترجمة فاطمة الزهراء. تهذيب الكمال ٢٢ : ٥٩٩ في ترجمة عيسى بن حماد بن مسلم، ٣٥ : ٢٥٠ في ترجمة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. معجم الصحابة ٣ : ١١٠ في ترجمة المسور بن مخرمة. صفوة الصفوة ٢ : ١٣ في ترجمة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. معجم المحدثين : ٩. غوامض الأسماء المبهمة ١ : ٣٤٠ في ترجمة العوراء أو جويرية بنت أبي جهل. المغني ١٠ : ١٨٦ مسألة قال ولا تجوز شهادة الوالدين وإن علوا للولد وإن سفل ولا شهادة الولد وإن سفل لهما وإن علو. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٧٥٦. فضائل الصحابة للنسائي : ٧٨. وغيرها من المصادر.

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٦٧ كتاب معرفة الصحابة: ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. مجمع الزوائد ٩ : ٢٠٣ كتاب المناقب: باب مناقب فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. الآحاد والمثاني ٥ : ٣٦٣ أول ذكر النساء من هذا الكتاب وأوله ذكر فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. المعجم الكبير ١ : ١٠٨ فيما أسند علي بن أبي طالب عليه السلام، ٢٢ : ٤٠١ في مناقب فاطمة عليها السلام. ميزان الاعتدال ٢ : ٢٨٩ في ترجمة الحسين بن زياد بن علي بن الحسين بن علي العلوي، ٤ : ١٨٥ في ترجمة عبدالله بن محمد ابن سالم القزاز. الكامل في ضعفاء الرجال ٢ : ٣٥١ في ترجمة الحسين بن زيدبن علي. التدوين في أخبار قزوين ٣ : ١١. الإصابة ٨ : ٥٧ في ترجمة فاطمة الزهراء. تاريخ دمشق ٣ : ١٥٦ في باب ذكر بنيه وبناته (عليه الصلاة والسلام) وأزواجه. الذرية الطاهرة : ١٢٠.

على التواتر بمراتب.

وتلك الأحاديث ـ سواء كانت، أو كان بعضها، نصاً في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، أم لم تكن ـ قد خولفت يوم السقيفة وما تبعه من أحداث، بالهجوم على بيت أمير المؤمنين والصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، وانتهاك حرمتهما، وإيذائهما، وإغضابهما. وبمحاولة إرغام أمير المؤمنين عليه السلام على البيعة، وجعله تابعاً مطيعاً، بدلاً من الرجوع إليه في ذلك الخلاف، وتحكيمه في الحق والباطل منه، وطاعته فيما يقول.

وكذا بخذلانه وتركه بدلاً من التمسك به وبأهل بيته عليهم السلام، وركوب سفينتهم.

وبالولاية والتأمر عليه بدلاً من الخضوع لولايته وإمرته، فأصبح فيهم مستضعفاً، كما استضعف هارون عليه السلام في بني إسرائيل.

وكذا خولف يوم الشورى، حيث حكم عبدالرحمن بن عوف في أمر أمير المؤمنين عليه السلام، بدلاً من تحكيمه عليه السلام في الأمر، وأمر أبو طلحة الأنصاري بقتله عليه السلام إن أصر على الخلاف، وأرغم عليه السلام بالآخرة على بيعة عثمان، وصار مولى عليه مأموراً بدلاً من أن يكون هو الولي والأمير... إلى غير ذلك.

بل لا يشك الناظر في سيرة الأولين في كثرة مخالفتهم للنصوص، وخروجهم عنها. في تفاصيل يطول شرحها. وقد تكفلت بها كتب كثيرة، لا يهمنا فعلاً استقصاؤها.

فإذا أمكن من الصحابة مخالفة تلك النصوص الشريفة والتغافل عنها إذا لم تكن نصاً في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وإمامته، أمكن منهم مخالفة النص على إمامته وخلافته عليه السلام من هذه الأحاديث، أو غيرها.

مخالفة الأنصار للنص على أن الأئمة من قريش

بل لا ريب في أن الأنصار ـ وهم ذوو السبق للإسلام والنصرة له، والعدد الكبير فيه ـ قد خالفوا في محاولتهم بيعة سعد بن عبادة نص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشهور بأن الأئمة من قريش[١].

نعم قد أنكر جماعة من قريش عليهم مخالفة النص المذكور، حتى قال عمرو بن العاص: «كادوا والله أن يحلوا حبل الإسلام كما قاتلوا عليه، ويخرجوا منه من أدخلوا فيه. والله لئن كانوا سمعوا قول رسول الله ﷺ: الأئمة من قريش. ثم ادعوها لقد هلكوا، وأهلكوا. وإن كانوا لم يسمعوها فما هم كالمهاجرين»[٢].

لكن إنكارهم عليهم ذلك إنما كان لأنه يضر بمصالحهم، ويفشل مخططهم. ولذا لم يبال عمر بالخروج عنه، ولا أنكر عليه غيره، حينما قال بعد أن طعن وأشرف على الموت: «ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته...»[٣]، وكذا قوله: «لو أدركت معاذ بن جبل فاستخلفته فلقيت ربي فسألني...»[٤]، مع وضوح أن سالماً ومعاذاً المذكورين ليسا من قريش.

---

(١) تقدمت مصادره في بداية جواب هذا السؤال في: ١٧٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦ : ٢٩.

(٣) تاريخ الطبري ٢ : ٥٨٠ قصة الشورى، واللفظ له. العقد الفريد ٤ : ٢٥٥ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: أمر الشورى في خلافة عثمان ابن عفان. تاريخ دمشق ٥٨ : ٤٠٤، ٤٠٥ في ترجمة معاذ بن جبل. مقدمة ابن خلدون: ١٩٤ الفصل السادس والعشرون في اختلاف الأمة في حكم هذا المنصب وشروطه. حلية الأولياء ١ : ١٧٧ في ترجمة سالم مولى أبي حذيفة. صفوة الصفوة ١ : ٣٨٨. كشف الخفاء ٢ : ٤٢٨. وغيرها من المصادر.

(٤) تاريخ دمشق ٥٨ : ٤٠٤، واللفظ له. : ٤٠٣ في ترجمة معاذ بن جبل. مسند أحمد ١ : ١٨ في مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فتح الباري ١٣ : ١١٩. تحفة الأحوذي ٦ : ٣٩٩. فيض القدير ٣ : ١٩٠. صفوة الصفوة ١ : ٣٦٧. وغيرها من المصادر.

ومن هنا لا يستبعد من الكل الإقدام على مخالفة النص حين تخدم مخالفته مصالحهم، ولا تضر بها، وإنما تضر بأهل البيت عليهم السلام الذين هم المستضعفون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما يأتي عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

والحاصل: أنه بعد أن ثبت مخالفتهم للنصوص الكثيرة وتجاهلهم لها، وإن لم تكن دالة على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وإمامته، فلا مجال لاستبعاد تجاهلهم للنص على إمامته وخلافته، إذا كان موجوداً، كما تقول الشيعة.

تنبؤ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمخالفتهم النص على أمير المؤمنين عليه السلام

بل قد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم التنبؤ بموقف أصحابه من النص على أمير المؤمنين عليه السلام، وتوقع عدم جريهم عليه، وتفرقهم عن أمير المؤمنين عليه السلام لو نصبه علماً لهم، وهو صلى الله عليه وآله وسلم أعلم بنفسياتهم، وما تنطوي عليه ضمائرهم، وما تؤول إليه أمورهم.

فحينما عزمت عائشة على الخروج إلى البصرة حاولت أن تحمل أم سلمة على الخروج معها، فأبت أم سلمة، وحاولت أن تثنيها عن عزمها، وذكرتها بأمور في حق أمير المؤمنين عليه السلام، فكان فيما قالت: «وأذكرك أيضاً، كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر له، وكان علي يتعاهد نعلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيخصفها، ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت له نعل، فأخذها يومئذ يخصفها، وقعد في ظل سمرة. وجاء أبوك ومعه عمر، فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، ودخلا يحادثانه فيما أراد، ثم قالا: يا رسول الله، إنا لا ندري قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من يستخلف علينا، ليكون لنا بعدك مفزعاً. فقال لهما: أما إني قد أرى مكانه. ولو فعلت لتفرقتم عنه، كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران. فسكتا، ثم خرجا.

فلما خرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلت له ـ وكنت أجرأ عليه منا ـ: من

كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: خاصف النعل. فنظرنا، فلم نر أحداً إلا علياً، فقلت: يا رسول الله، ما أرى إلا علياً. فقال: هو ذاك. فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك»[1].

وعلى ذلك لا يتجه استبعاد وجود النص من أجل استبعاد إغفال عموم الصحابة له، بل يتعين النظر في دعوى النص ودليلها بموضوعية كاملة، وتجرد عن التراكمات، ثم تحكيم الوجدان في أن ما تذكره الشيعة من النصوص على إمامة أمير المؤمنين وأولاده (صلوات الله عليهم أجمعين) لو كان وارداً في حق غيرهم ممن يحاول الجمهور تصحيح خلافته، فهل يجعله الجمهور دليلاً على خلافة ذلك الغير، أو لا؟ والله سبحانه الهادي إلى سواء السبيل.

الذين أقدموا على مخالفة النص جماعة قليلة

الوجه الثالث: أن النص إذا كان موجوداً ـ كما تقول الشيعة ـ فالذي تعمد مخالفته والتغافل عنه، جماعة قليلة قادت الانقلاب على أمير المؤمنين عليه السلام، وأصرت على مقاومته، وصرف الخلافة عنه.

أما الباقون فهم لم يقدموا على مخالفة النص، ولا على مخالفة أمير المؤمنين عليه السلام، وإنما تعاملوا مع ما حصل كحقيقة قائمة، إما لعدم الاهتمام بالنص والحق، أو طلباً للعافية، أو لليأس من انتصار المنصوص عليه وإرجاع الحق إلى نصابه، أو لاستبعاده، أو لغير ذلك.

طبيعة المجتمعات البشرية في مواجهة الانقلابات

وهذا هو المعلوم بالوجدان من طبيعة المجتمعات البشرية في مواجهة الانقلابات والتغيرات المرتجلة، والتعامل معها. فإن الذي يتعمد التغيير وانتهاك الشرعية والقانون، ويخطط له وينفذه، هم فئة قليلة، وهي المنتفعة

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦ : ٢١٨.

بذلك، ثم تعتمد على الهمج الرعاع والانتفاعيين في تثبيت مخططها.

وبعد أن تفاجئ مجتمعاتها بذلك، فالذي ينكر عليها، ويتصدى لمخططاتها المتضررون بمخالفة الشرعية، ويعضدهم ذوو المبادئ الذين يهمهم تطبيق التشريع، وسيادة القانون، ويستعدون للتضحية في سبيلهما، وهم في أغلب الأحوال قليلون.

أما الباقون فهم بين متفرج لا تهمه الشرعية، ومنكر في نفسه لانتهاكها، إلا أنه يصعب عليه التضحية من أجل التغيير وإرجاع الحق إلى نصابه، جبناً وهلعاً، أو مستعد للتضحية، إلا أنه يتقاعس، ليأسه عن إمكانية التغيير والحفاظ على الشرعية، حسب موازنته بين القوى المتصارعة.

دعوى اتفاق أهل المدينة على بيعة أبي بكر

وقد يحاول البعض دعوى اتفاق أهل المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم على بيعة أبي بكر، وتشييد أمره، عدا أمير المؤمنين عليه السلام وجماعة قليلة جداً، بنحو يوحي بأن النص لو كان موجوداً فالكثرة الكاثرة من أهل المدينة قد تعمدت مخالفته والخروج عليه. وربما اعتقد كثير من الناس بذلك، تفاعلاً مع الصورة لإعلامية الضخمة، من دون نظرة استقلالية فاحصة.

شواهد بطلان الدعوى المذكورة

لكنها دعوى مخالفة للواقع، لا تناسب ما حصل من أحداث وملابسات.

فقد تظافرت الأحاديث بأن بيعة أبي بكر كانت فلتة[1]. وأهون ما قيل في معنى فلتة أنها كانت مباغتة من دون مشورة، كما يشهد به ما ذكره المؤرخون في كيفية حصولها. حيث يظهر منه أن الذين أقدموا عليها،

(١) تقدمت مصادره في أوائل الجواب عن هذا السؤال في : ١٧٥.

وعلى مخالفة النص ـ لو كان ـ جماعة قليلة، فاجأوا بها الناس، وجعلوهم أمام الأمر الواقع، مستغلين الفرصة نتيجة ذهول الناس لهول الحدث، وشعورهم بالفراغ لفقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم انشغال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وبني هاشم بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويقول اليعقوبي بعد أن شرح ظروف البيعة، وكيفية حصولها: «وجاء البراء بن عازب، فضرب الباب على بني هاشم، وقال: يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر. فقال بعضهم: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه، ونحن أولى بمحمد. وقال العباس: فعلوها ورب الكعبة. وكان المهاجرون والأنصار لا يشكون في علي... وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، ومالوا مع علي بن أبي طالب. ومنهم العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام بن العاص [كذا في طبعة النجف]، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب»[1].

وممن تخلف عن بيعته فروة بن عمر الأنصاري، وكان ممن جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقاد فرسين في سبيل الله تعالى، وكان يتصدق من نخله بألف وسق كل عام، وكان سيداً في قومه، وشاعراً. وهو من أصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وشهد معه وقعة الجمل[2].

وقال ابن أبي الحديد: «وروى الزبير بن بكار، قال: روى محمد بن إسحاق أن أبا بكر لما بويع افتخرت تيم بن مرة. وقال: وكان عامة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكون أن علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله»[3].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤ في خبر سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦ : ٢٨ ـ ٢٩.

(٣) شرح نهج البلاغة ٦ : ٢١.

الكلام حول محاولة الأنصار بيعة سعد بن عبادة

بل من القريب جداً أن لا تكون محاولة الأنصار المبادرة بالاستيلاء على الخلافة والسلطة، وبيعة سعد بن عبادة، مبنية على مضادة أمير المؤمنين عليه السلام، وتجاهل النص عليه، أو تعمد مخالفته، بل لتخوفهم من مسارعة قريش وأتباعهم بالاستيلاء على الحكم، مضادة للنص، وبغضاً لأمير المؤمنين عليه السلام ـ الذي جاهدهم في سبيل الله تعالى، ونكل بهم، والذي يعتبر حكمه امتداداً لحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي وترهم، وقوض بنيانهم ـ وضيقاً من شدته في ذات الله تعالى، ومحافظته على تطبيق أحكامه عزوجل بحدودها، من دون هوادة، ولا محاباة، ولا رخصة.

نشاط المنافقين والطلقاء

فقد ظهرت بوادر ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث نشط المنافقون والطلقاء، ومن تحالف معهم، حتى حاولوا اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قضية العقبة المشهورة، والتي تقدم الحديث عنها في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة.

كما ردوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتجاهلوا أوامره في كثير من الموارد.

(منها) تخلفهم عن جيش أسامة مع إصراره صلى الله عليه وآله وسلم على تنفيذه.

(ومنها) منعهم له من كتابة الكتاب الذي يعصم أمته من الضلال. وقد تقدمت الإشارة لهما في جواب السؤال المذكور.

(ومنها) تخلفهم عنه حين نزل في غدير خم، حتى أنبهم على ذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أيها الناس إني قد كرهت تخلفكم وتنحيكم عني، حتى خيل إليّ أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني»[1].

---

(١) تاريخ دمشق ٤٢ : ٢٢٧ في ترجمة علي بن أبي طالب، واللفظ له. العمدة لابن بطريق : ١٠٧.

←

ولما بلغ صلى الله عليه وآله وسلم عند رجوعه من مكة المكرمة جعلوا يستأذنونه، ويأذن لهم. ثم قال: «ما بال شق الشجرة التي تلي رسول الله أبغض إليكم من الشق الآخر؟!»[1].

(ومنها) مجاهرتهم لأهل بيته بالبغض والشنآن، حتى دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا رسول الله، إنا لنخرج فنرى قريشاً تحدث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

مسند الشاميين للطبراني ٣ : ٢٢٣ فيما رواه قبيصة عن جابر بن عبد الله الأنصاري، في الطبعة الموجودة في المعجم الفقهي.

(١) صحيح ابن حبان ١ : ٤٤٤ باب فرض الإيمان: ذكر كتبة الله جل وعلا الجنة وإيجابها لمن آمن به ثم سدد بعد ذلك، واللفظ له. مسند أحمد ٤ : ١٦ في حديث رفاعة بن عرابة الجهني (رضي الله تعالى عنه). مجمع الزوائد ١ : ٢٠ كتاب الإيمان: باب فيمن شهد أن لا إله إلا الله، ١٠ : ٤٠٨ كتاب أهل الجنة: باب فيمن يدخل الجنة بغير حساب. مسند الطيالسي : ١٨٢ فيما رواه رفاعة بن عرابة الجهني رضي الله عنه. الآحاد والمثاني ٥ : ٢٤ رفاعة الجهني رضي الله عنه. المعجم الكبير ٥ : ٤٩، ٥٠، ٥١ رفاعةبن عرابة الجهني عن رسول الله . شعب الإيمان ١ ص٣٦٤ التاسع من شعب الإيمان وهو باب في أن دار المؤمنين ومأواهم الجنة ودار الكافرين ومآبهم النار: فصل في عذاب القبر وكل معذب في الآخرة من كافر ومؤمن.... حلية الأولياء ٦ : ٢٨٦ في ترجمة هشام الدستوائي. تهذيب الكمال ٩ : ٢٠٨ في ترجمة رفاعة بن عرابة الجهني. موضح أوهام الجمع والتفريق ٢ : ٥٢٠ في ترجمة هلال بن علي العامري. موارد الظمآن ١ : ٣٢ كتاب الإيمان: باب فيمن شهد أن لا إله إلا الله.

(٢) مسند أحمد ٤ : ١٦٥ في حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب رضي الله عنه. واللفظ له. تفسير ابن كثير ٤ : ١١٤. مجمع الزوائد ١ : ٨٨ كتاب الإيمان : باب فيمن حبهم إيمان، ٩ : ١٧٠ كتاب المناقب: باب في فضل أهل البيت عليهم السلام. مسند البزار ٦ : ١٣١ مسند المطلب بن ربيعة. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٩١٨. معجم الصحابة ٢ : ١٩٤ في ترجمة عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. المعجم الأوسط ٥ : ٥٢، ٧ : ٣٧٣. المعجم الصغير ١ : ٣٩٩. سير أعلام النبلاء ٢ : ٨٨ في ترجمة العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ١٢ : ١٥٦ في ترجمة الرفاعي محمد بن يزيد بن محمد بن كثير. تهذيب الكمال ٣٣ : ٣٤٠ في ترجمة أبي سبرة النخعي. تاريخ بغداد ٣ : ٣٧٦ في ترجمة محمد بن يزيد بن محمد بن كثير. وغيرها من المصادر.

وفي رواية أخرى: «يا رسول الله إن قريشاً إذا لقى بعضها بعضاً لقوها ببشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها، قال: فغضب رسول الله ﷺ»[1].

وقد تقدم ما يناسب ذلك في أوائل جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة.

ويبدو ان الأمر انتهى بالآخرة إلى يأس النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه من إصلاح الأوضاع وتدارك الأمر، ففي رواية محب الدين الطبري، قال العباس: «إني أعلم ما بقاء رسول الله فينا إلا قليلاً. قال: فأتاه فقال: يا رسول الله لو اتخذت مكاناً تكلم الناس منه، قال: بل أصبر عليهم ينازعونني ردائي، ويطؤون عنقي، ويصيبني غبارهم، حتى يكون الله هو الذي يريحني منهم»[2]... إلى غير ذلك مما يكشف عن إصرارهم على تجاهل أمره، ومجاهرته بالخلاف، ومجاهرة أهل بيته عليهم السلام بالعداء، وتصميمهم على صرف الأمر عنهم.

وأكد ذلك للأنصار أمران:

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ : ٣٧٦ كتاب معرفة الصحابة: ذكر إسلام العباس رضي الله عنه واختلاف الروايات في وقت إسلامه، واللفظ له، ٤ : ٨٥ كتاب معرفة الصحابة: ذكر فضائل القبائل. السنن الكبرى للنسائي ٥ : ٥١ كتاب المناقب: فضائل علي رضي الله عنه. سنن الترمذي ٥ : ٦٥٢ كتاب كتاب المناقب: باب مناقب العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه. المصنف لابن أبي شيبة ٦ : ٣٨٢ كتاب الفضائل: ما ذكر في العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ. مسند البزار ٤ : ١٤٠ ومما روى عبد الله بن الحارث عن العباس. المعجم الكبير ٢٠ : ٢٨٤، ٢٨٥ فيما رواه مطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. تعظيم قدر الصلاة ١ : ٤٥٣، ٤٥٥ في حلاوة الإيمان. تهذيب الكمال ١٤ : ٢٢٨ في ترجمة عباس ابن عبدالمطلب. فضائل الصحابة للنسائي : ٢٢. وغيرها من المصادر.

(٢) ذخائر العقبى : ٢٠٤

إنذار الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالفتن المقبلة

الأول: إنذار الله تعالى والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالفتن المقبلة، وإخبارهما بوقوعها، وبشدتها، كما تقدم في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[1] .

حيث روي أنها نزلت لما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجالاً ينزون على منبره نزو القردة[2].

إنذار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما يجري على الدين وأهل بيته

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «هلاك هذه الأمة على يدي أغيلمة من قريش»[3].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها. فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة»[4].

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٦٠.

(٢) تفسير القرطبي ١٠ : ٢٨٢،٢٨٣. تفسير الطبري ١٥ : ١١٢ ـ ١١٣. تفسير ابن كثير ٣ : ٥٠. تاريخ الطبري ٥ : ٦٢٢ في أحداث سنة أربع وثمانين ومائتين. شرح نهج البلاغة ٩ : ٢٢٠. وقد ذكرت الرؤية من دون ذكر نزول الآية في كل من مجمع الزوائد ٥ : ٢٤٣ ـ ٢٤٤ كتاب الخلافة: باب في أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة، ومسند أبي يعلى ١١ : ٣٤٨ في تابع مسند أبي هريرة، والعلل المتناهية ٢ : ٧٠١ كتاب النوم: ذكر منامات روي عن رسول الله أنه رآها: منام آخر، والمستدرك على الصحيحين ٤ : ٥٢٧ كتاب الفتن والملاحم، وكنز العمال ١١ : ٣٥٨ حديث: ٣١٧٣٧، وغيرها من المصادر. ورواه مختصراً في سير أعلام النبلاء ٢ : ١٠٨ في ترجمة الحكم بن أبي العاص.

(٣) تقدمت مصادره في بداية الجواب عن هذا السؤال في ص ١٧٤.

(٤) صحيح ابن حبان ١٥ : ١١١ باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث: ذكر الإخبار بأن أول ما يظهر من نقض عرى الإسلام من جهة الأمراء فساد الحكم والحكام، واللفظ

←

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في جملة حديث له: «ألا إن رحا الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار. ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب»[1].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام: «إن الأمة ستغدر بك من بعدي»[2].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم له ـ وقد بكى، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما يبكيك؟ـ: «ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني»[3].

← له. مجمع الزوائد ٧ : ٢٨١ كتاب الفتن: باب نقض عرى الإسلام. مسند أحمد ٥ : ٢٥١ حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو بن وهب الباهلي عن النبي ﷺ. موارد الظمآن ١ : ٨٧ كتاب الصلاة: باب فيمن حافظ على الصلاة ومن تركها. المعجم الكبير ٨ : ٩٨ فيما رواه سليمان بن حبيب المحاربي قاضي عمر بن عبد العزيز عن أبي أمامة صدي بن عجلان. شعب الإيمان ٤ : ٣٢٦ الخامس والثلاثون من شعب الإيمان وهو باب في الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها، ٦ : ٦٩ فصل في فضل الجماعة والألفة وكراهية الاختلاف والفرقة وما جاء في إكرام السلطان وتوقيره. مسند الشاميين ٢ : ٤١١ ما انتهى إلينا من مسند سليمان بن حبيب المحاربي: سليمان عن أبي أمامة الباهلي. السنة لعبدالله بن أحمد ١ : ٣٥٦. الترغيب والترهيب ١ : ٢١٦ كتاب الصلاة: الترهيب من ترك الصلاة تعمداً وإخراجها عن وقتها تهاوناً. تعظيم قدر الصلاة ١ : ٤١٥ الأحاديث التي تدل على أن الأعمال داخلة في الإيمان. الفردوس بمأثور الخطاب ٣ : ٤٤٥. فيض القدير ٥ : ٣٩٩،٢٦٣. وغيرها من المصادر.

(١) مجمع الزوائد ٥ : ٢٣٨ كتاب الخلافة: باب في أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة، واللفظ له. مسند الشاميين ١ : ٣٧٩. المعجم الصغير ٢ : ٤٢. المعجم الكبير ٢٠ : ٩٠ فيما رواه يزيد بن مرثد عن معاذ بن جبل. فيض القدير ٣ : ٥٣٤. حلية الأولياء ٥ : ١٦٥.

(٢) تقدمت مصادره في جواب السؤال الثالث ص : ١١٤.

(٣) مجمع الزوائد ٩ : ١١٨ كتاب المناقب: باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه: باب بشارته بالجنة، واللفظ له. مسند البزار ٢ : ٢٩٣ ومما روى أبو عثمان النهدي عن علي. مسند أبي يعلى ١ : ٤٢٦ في مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه. المعجم الكبير ١١ : ٧٣ فيما رواه مجاهد عن ابن عباس. تاريخ بغداد ١٢ : ٣٩٨ في ترجمة الفيض بن وثيق بن يوسف. ميزان الاعتدال ٥ : ٤٣١ في ترجمة الفضل بن عميرة القيسي، ٧ : ٣١٥ في ترجمة يونس بن خباب الأسيدي. الكامل في ←

وقوله صلى الله عليه وآله لبني هاشم: «أنتم المستضعفون بعدي»[١].

وقوله صلى الله عليه وآله: «إن أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً»[٢].

وقوله صلى الله عليه وآله: «يجيء يوم القيامة المصحف والمسجد والعترة، فيقول المصحف: يا رب! حرقوني ومزقوني، ويقول المسجد: يا رب! خربوني وعطلوني وضيعوني، وتقول العترة: يا رب! طردونا وقتلونا وشردونا، وأجثوا بركبتي للخصومة، فيقول الله: ذلك إليَّ وأنا أولى بذلك»[٣].

وقوله صلى الله عليه وآله للأنصار: «ستلقون بعدي أثرة»[٤]... إلى غير ذلك.

← ضعفاء الرجال ٧ : ١٧٣ في ترجمة يونس بن خباب. تهذيب الكمال ٢٣ : ٢٣٩ في ترجمة الفضل ابن عميرة القيسي. العلل المتناهية ١ : ٢٤٣، ٢٤٤. تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤ في ترجمة علي بن أبي طالب.

(١) مجمع الزوائد ٩ : ٣٤ كتاب علامات النبوة: باب لم يعنونه بعد باب في وداعه ﷺ. مسند أحمد ٦ : ٣٣٩ في حديث أم الفضل بن عباس. المعجم الكبير ٢٥ : ٢٣ ما اسندت أم الفضل: ما روى عبدالله بن الحارث بن نوفل عن أم الفضل بنت الحارث. الفردوس بمأثور الخطاب ١ : ٣٩٤.

(٢) الفتن ١ : ١٣١، المستدرك على الصحيحين ٤ : ٤٨٧، كنز العمال ١١ : ١٦٩، وبألسنة متقاربة في المصنف لابن أبي شيبة ٨ : ٦٩٧، المعجم الكبير ١٠ : ٨٥، المعجم الأوسط ٦ : ٢٩، وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٥ : ٤٩٩، كنز العمال ١١ : ١٩٣.

(٤) صحيح البخاري ٣ : ١٣٨١ كتاب فضائل الصحابة: باب قول النبي ﷺ للأنصار: اصبروا حتى تلقوني...، ٤ : ١٥٧٤ كتاب المغازي: باب غزوة الطائف. صحيح مسلم ٢ : ٧٣٨ كتاب الزكاة: باب إعطاء من المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه. صحيح ابن حبان ١٦ : ٢٦٤ باب فضل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم: ذكر ﷺ بالصبر ثم وجود الأثرة بعده، : ٢٦٥ ذكر البيان بأن قول أنس أراد أن يكتب أن يقطع البحرين للأنصار، : ٢٦٨ ذكر ﷺ للأنصار بالعفة والصبر. الأحاديث المختارة ٤ : ٢٧٢ من اسمه أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك الأشهلي. مسند أبي عوانة ٤ : ٤١٥ بيان وجوب الصبر على الأثرة وحبس الإمام وترك التعرض له وحظر حبس ما يجب له وأن حبس ما يجب عليه ظلم. مجمع ←

تحاشي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام الاصطدام بالمنافقين

الثاني: ما ظهر لهم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام من تحاشيهما الاصطدام بالمنافقين والطلقاء والصرامة معهم، والتنكيل بهم، حذراً من الفتنة والانشقاق، والتقولات والتهريج غير المسؤول، بنحو يشوه صورة الإسلام المبدئية، وقدسية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام ،ويضر بالدعوة ـ عاجلاً أو آجلاً ـ ضرراً لا يتدارك.

كما يناسبه قوله صلى الله عليه وآله وسلم عندما طلب منه بعض أصحابه أن يقتل من تآمر على إلقائه من العقبة: «لا، أكره أن تتحدث العرب بينها أن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم...»[(١)].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لما طلب منه قتل عبد الله بن أبي: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»[(٢)].

← الزوائد ١٠ : ٣١،٣٣ كتاب المناقب: فضل الأنصار. السنن الكبرى للبيهقي ٦ : ٣٣٩ كتاب قسم الفيء والغنيمة: جماع أبواب تفريق القسم: باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من المهاجرين وما يستدل به على أنه إنما كان يعطيهم من الخمس دون أربعة أخماس الغنيمة. مسند أحمد ٣ : ١١١، ١٦٧، ١٧١ في مسند أنس بن مالك، ٤ : ٤٢ حديث عبد الله ابن زيد بن عاصم المازني رضي الله عنه ، ٤ : ٢٩٢ حديث البراء بن عازب، ٤ : ٣٥٢ حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه . مسند الروياني ٢ : ١٨٣. المعجم الكبير ١ : ٢٠٨ مما اسند أسيد بن حضير رضي الله عنه . السنن الواردة في الفتن ١ : ٢٠٣ باب قول الله عز وجل: [واتقوا فتنة لاتصيبين الذين ظلموا منكم خاصة]. أسباب ورود الحديث: ٢٢٦ . البيان والتعريف ١ : ٢٥٤ . سير أعلام النبلاء ٢ : ٤٥٣ في ترجمة أبي قتادة الأنصاري. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٨٠٨. وغيرها من المصادر.

(١) تفسير ابن كثير ٢ : ٣٧٣، واللفظ له. سبل الهدى والرشاد ٥ : ٤٦٧ ذكر إرادة بعض المنافقين الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة التي بين تبوك والمدينة واطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك. الدر المنثور ٤ : ٢٤٤. روح المعاني ١٠ : ١٣٩.

(٢) صحيح البخاري ٤ : ١٨٦١ كتاب التفسير: باب تفسير سورة الصف: باب قوله سواء عليهم استغفرت لهم أن لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين، ٤ : ١٨٦٣ باب ←

وكثير من مواقفه صلى الله عليه وآله وسلم ومواقف أمير المؤمنين عليه السلام المبنية على المرونة، وغض النظر، والتي يأتي بعض الشواهد عليها.

كل ذلك أشعر الأنصار بمحاولة قريش وأتباعهم انتهاز الفرصة، واستلاب الحكم من أمير المؤمنين عليه السلام، فحاولوا المبادرة بأخذ الحكم، ليسدوا الطريق على قريش، ويفشلوا مخططهم، لأنهم يتوقعون أن موازين الخلافة لو انفرطت، فسوف يتحكم فيها المنافقون والطلقاء، وينتقمون من الأنصار ويجزونهم شر الجزاء عما فعلوه بهم في نصرتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. وهو الأمر الذي حصل فعلاً.

ولو علم الأنصار أن الأمر يسلم لأمير المؤمنين عليه السلام فمن القريب جداً رضاهم به، وإحجامهم عن مغالبته واستلابه منه، وعن تجاهل النص الوارد فيه. ويشير إلى ذلك بعض ما ذكره أهل الحديث والمؤرخون عند عرض أحداث السقيفة.

أحاديث الأنصار ومواقفهم

فقد ذكر ابن أبي الحديد عن الجوهري في كتاب السقيفة أن أبا بكر لما خاطب الأنصار في السقيفة، واحتج عليهم لأولوية المهاجرين من قريش بالحكم منهم، وحذرهم من حسدهم لهم، أجابه الأنصار فقالوا: «والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم، ولا أحد أحب إلينا، ولا أرضى عندنا منكم. ولكنا نشفق فيما بعد هذا اليوم، ونحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا ولا منكم...»(١).

← قوله يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون. صحيح مسلم ٤ : ١٨٩٨ كتاب البر والصلة والآداب: باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً. وغيرهما من المصادر الكثيرة.

(١) شرح نهج البلاغة ٦ : ٧ ـ ٨.

وفي رواية أخرى: «فقام حباب بن المنذر ـ وكان بدرياً ـ فقال: منا أمير ومنكم أمير، فإنا والله ما ننفس هذا الأمر عليكم أيها الرهط. ولكنا نخاف أن يليه أقوام قتلنا آباءهم وإخوانهم. قال: فقال عمر: إذا كان ذاك قمت إن استطعت»(١).

وفي رواية ثالثة: «فقال الحباب ما نحسدك ولا أصحابك، ولكنا نخشى أن يكون الأمر في أيدي قوم قتلناهم، فحقدوا علينا»(٢).

وفي حديث حباب الآخر مع الأنصار: «أتسكنوني وقد فعلتم ما فعلتم؟! أما والله وكأني بأبنائكم وقد وقفوا على أبوابهم يسألون الناس الماء فلا يسقون. قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه: ومتى تخاف ذلك يا خباب (كذا في المصدر)؟ فقال: إني لست أخاف منك، ولكن أخاف من يأتي من بعدك.

قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه: فإذا كان ذلك، ورأيت ما لا تحب، فالأمر في ذلك الوقت إليك. فقال الخباب (كذا في المصدر): هيهات يا أبا بكر من أين يكون ذلك إذا مضيت أنا وأنت، وجاءنا قوم من بعد يسومون أبناءنا سوء العذاب والله المستعان؟!»(٣).

تنويه الأنصار وغيرهم بأمير المؤمنين عليه السلام

وقال اليعقوبي بعد التعرض لبيعة أبي عبيدة وعمر لأبي بكر في السقيفة: «وقام عبدالرحمن بن عوف، فتكلم فقال: يا معشر الأنصار إنكم

---

(١) أنساب الأشراف ٢ : ٢٦٠ أمر السقيفة، واللفظ له. الطبقات الكبرى ٣ : ١٨٢ ذكر بيعة أبي بكر. تاريخ دمشق ٣٠ : ٢٧٥ في ترجمة أبي بكر تحت عنوان عبدالله ويقال عتيق بن قحافة. شرح نهج البلاغة ٢ : ٥٣. كنز العمال ٥ : ٦٠٦ حديث:١٤٠٧٢.

(٢) أنساب الأشراف ٢ : ٢٦٣ أمر السقيفة.

(٣) الفتوح لابن أعثم المجلد الأول : ١٠ ـ ١١ ذكر ابتداء سقيفة بني ساعدة وما كان من المهاجرين والأنصار.

وإن كنتم على فضل فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعلي. وقام المنذر بن أرقم، فقال: ما ندفع فضل من ذكرت. وإن فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد. يعني: علي بن أبي طالب»[١].

وقد ذكر ابن أبي الحديد عن الزبير بن بكار أنه قال: «فلما بويع أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تزفه زفاً إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله. فلما كان آخر النهار افترقوا إلى منازلهم. فاجتمع قوم من الأنصار، وقوم من المهاجرين، فتعاتبوا فيما بينهم. فقال عبد الرحمن بن عوف: يا معشر الأنصار، إنكم وإن كنتم أولي فضل ونصر وسابقة، ولكن ليس فيكم مثل أبي بكر، ولا عمر، ولا علي، ولا أبي عبيدة. فقال زيد بن أرقم: إنا لا ننكر فضل من ذكرت يا عبد الرحمن، وإن منا لسيد الأنصار سعد بن عبادة... وإنا لنعلم أن ممن سميت من قريش من لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد: علي بن أبي طالب»[٢].

وذكر ابن أعثم المحاورة بين عبد الرحمن وزيد بن أرقم، وفي آخرها: «يا ابن عوف لولا أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من بني هاشم اشتغلوا بدفن النبي صلى الله عليه وآله وبحزنهم عليه، فجلسوا في منازلهم، ما طمع فيها من طمع. فانصرف ولا تهيج على أصحابك ما لا تقوم له»[٣].

وقال الطبري وابن الأثير بعد أن ذكرا اجتماع السقيفة، وتراد أبي بكر وعمر وأبي عبيدة للبيعة بينهم: «فبايعه عمر، وبايعه الناس. فقالت الأنصار، أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً»[٤].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٣ خبر سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦ : ١٩ ـ ٢٠.

(٣) الفتوح لابن أعثم المجلد الأول : ١٢ ذكر ابتداء سقيفة بني ساعدة وما كان من المهاجرين والأنصار.

(٤) تاريخ الطبري ٢ : ٢٣٣ ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ سنه ←

انحياز جماعة من أعيان الصحابة إلى أمير المؤمنين عليه السلام

وذكر ابن أبي الحديد عن الجوهري بسنده عن جرير بن المغيرة: «أن سلمان والزبير والأنصار كان هواهم أن يبايعوا علياً عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله»[١].

كما ذكر المؤرخون أن أمير المؤمنين عليه السلام قد اعتزل في داره مع جماعة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى هاجمهم جماعة أبي بكر[٢].

وذكر ابن أبي الحديد عن الجوهري في رواية أنه كان في البيت ناس كثير[٣].

وذكروا ان خالد بن سعيد بن العاص لم يكن في المدينة يوم السقيفة، ولما رجع وطلب منه بيعة أبي بكر امتنع وقال: لا أبايع إلا علياً[٤].

ندم الأنصار على بيعتهم لأبي بكر

بل من المعلوم أن الأنصار قد غلبوا على أمرهم في بيعة أبي بكر، ومع ذلك فقد ذكروا أن أمير المومنين عليه السلام لما أخرج من داره ليبايع وامتنع من ذلك وحاولوا حمله على ذلك، قال: «الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا

← يوم وفاته. الكامل في التاريخ ٢ : ٢٢٠ حديث السقيفة وخلافة أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه، نشر عام ١٣٤٨هـ عنيت بنشره إدارة الطباعة المنيرية وصحح أصوله الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار المدرس بقسم التخصص في الأزهر.

(١) شرح نهج البلاغة ٢ : ٤٩، ٦ : ٤٣.

(٢) الرياض النضرة ٢ : ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ذكر بيعة السقيفة وما جرى فيها، : ٢١٣ ـ ٢١٥ ذكر بيعة العامة. تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٦ خبر سقيفة بني ساعدة. الإمامة والسياسة ١ : ١٦ كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه). العقد الفريد ٤ : ٢٤٢ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر. وغيرها من المصادر.

(٣) شرح نهج البلاغة ٦ : ٤٨.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٠٥، شرح نهج البلاغة ٢: ٥٩.

سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته ، إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين ، لنحن أحق الناس به . لأنا أهل البيت ، ونحن أحق بهذا الامر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع بأمر الرعية ، المدافع عنهم الامور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية، والله إنه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله ، فتزدادوا من الحق بعداً ».

فقال بشير بن سعد الانصاري: ـ الذي كان أول المبادرين لبيعة أبي بكر والانتقاض على سعد بن عبادة حسداً له ـ «لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك يا علي قبل بيعتها لابي بكر ، ما اختلف عليك اثنان»[١].

ويبدو أن عامة الناس أخذوا يراجعون حساباتهم، ويظهر عليهم الندم لإسراعهم في بيعة أبي بكر، حتى ضاق أبو بكر من ذلك، يقول أبو سعيد الخدري: «لما بويع أبو بكر رأى من الناس بعض الانقباض، فقال: أيها الناس ما يمنعكم؟! ألست أحقكم بهذا الأمر؟!...»[٢].

وذكر ابن أبي الحديد عن الزبير بن بكار أنه لما بويع أبو بكر، واستقر أمره، ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته، وتلاوموا، وذكروا أمير المؤمنين عليه السلام، وهتفوا باسمه. وإنه في داره لم يخرج إليهم، وجزع لذلك المهاجرون الذين مع أبي بكر وكثير من مسلمة الفتح وأمثالهم ممن وترهم الأنصار والإسلام. وكثر بمناسبة ذلك الكلام والخطب، ونظمت الأشعار[٣].

وذكر عن الجوهري عن أبي سعيد الخدري قال: «سمعت البراء بن عازب يقول: لم أزل لبني هاشم محباً. فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تخوفت

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢٩.

(٢) تاريخ دمشق ٣٠: ٣٧، تاريخ الخلفاء: ٧٠، ٧١.

(٣) شرح نهج البلاغة ٦ : ٢٣، وما بعدها. وذكر ذلك باختصار اليعقوبي في تاريخه ٢ : ١٢٥.

أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عن بني هاشم، فأخذني ما يأخذ الواله العجول...».

ثم ذكر بيعة أبي بكر... إلى أن قال: «فخرجت إلى الفضاء فضاء بني بياضة، وأجد نفراً يتناجون، فلما دنوت منهم سكتوا، فانصرفت عنهم، فعرفوني، وما أعرفهم، فدعوني إليهم، فأتيتهم، فأجد المقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأبا ذر، وحذيفة، وأبا الهيثم بن التيهان. وإذا حذيفة يقول لهم: والله ليكونن ما أخبرتكم به. والله ما كذبت، ولا كذبت... ثم قال: ائتوا أبي بن كعب، فقد علم كما علمت.

قال: فانطلقنا إلى أبي، فضربنا عليه بابه، حتى صار خلف الباب، فقال: من أنتم؟ فكلمه المقداد. فقال: ما حاجتكم؟ فقال له: افتح عليك بابك، فإن الأمر أعظم من أن يجري من وراء حجاب. قال: ما أنا بفاتح بابي. وقد عرفت ما جئتم له. كأنكم أردتم النظر في هذا العقد. فقلنا: نعم. فقال: أفيكم حذيفة؟ فقلنا: نعم. قال: فالقول ما قال. وبالله ما أفتح عني بابي حتى تجري على ما هي جارية. ولما يكون بعدها شر منها. وإلى الله المشتكى...»[1].

محاولة إضعاف أمير المؤمنين عليه السلام واستمالة العباس

ولأجل ذلك ونحوه ـ من طعن الصحابة في بيعة أبي بكر، ومحاولتهم نقضها ـ أراد أبو بكر أن يضعف مركز أمير المؤمنين عليه السلام بأن يجعل للعباس وعقبه في الأمر نصيباً، لينقطعوا عن أمير المؤمنين عليه السلام ويخذلوه، وكان فيما قال للعباس: «وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين يتخذكم لجأ، فتكونون حصنه المنيع، وخطبه البديع. فإما دخلتم فيما دخل فيه الناس، أو صرفتموهم عما مالوا إليه فقد جئناك ونحن نريد

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢ : ٥١ ـ ٥٢.

أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً، ولمن بعدك من عقبك...».

وتحدث عمر بعده فصدقه، وكان فيما قال: «إنا لم نأتكم حاجة إليكم. ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم ولعامتهم»[١].

وأجابه العباس بما سبق بعضه في جواب السؤال الثالث.

الذين أنكروا على أبي بكر وهو على المنبر في رواية الشيعة

وقد روت الشيعة أنه قد أنكر اثنا عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار على أبي بكر يوم الجمعة، وهو على المنبر. وهم خالد بن سعيد ابن العاص، والمقداد بن الأسود، وأبي بن كعب، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وبريدة الأسلمي، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الهيثم بن التيهان. وأنهم ذكّروه حق أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، ونص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه، ووعظوه، وذكروا لكل منهم كلاماً طويلاً معه، لا يسعنا استقصاؤه[٢].

خطبة الزهراء عليها السلام واستنهاضها الأنصار خاصة

كما ذكر المؤرخون خطبة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمام أبي بكر، مطالبة له بفدك، وتعرضها للخلافة، وإنكارها ما حصل، ثم عدولها إلى مجلس الأنصار، وإنكارها عليهم تخاذلهم عن نصرة أهل البيت عليهم السلام، وحثهم على أداء واجبهم، في كلام

---

(١) شرح نهج البلاغة ١ : ٢٢٠، واللفظ له، الامامة والسياسة ١: كيف كانت بيعة أمير المؤمنين، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٥٢ خبر سقيفة بني ساعدة..

(٢) بحار الأنوار ٢٨ : ١٨٩، وما بعدها. وقريب منه مع شيء من الاختلاف والاضطراب في كتاب الخصال للصدوق أبواب الاثنى عشر: الذين أنكروا على أبي بكر جلوسه في الخلافة وتقدمه على علي بن أبي طالب: اثنا عشر : ٤٢٩ ـ ٤٣٤.

شـديد اللهجة. وقالت عليها السلام في آخر خطبتها ـ بعد استعظام ما حصل من المخالفة لله تعالى، وفداحة الخطب، وتشديد المسؤولية ـ:

«ألا وَقَد قُلْتُ الذي قُلْتُه عَلى مَعْرِفَة منّي بالْخَذْلان الَّذي خامَر صدوركُم، واسْتَشْعَرَتْه قُلُوبُكُمْ، وَلكن قلته فَيْضَةُ النَّفْس، وَنَفْثَةُ الْغَيْظ، وَبثة الصُّدُر، وَمعذرةُ الْحُجَّة. فَدُونكُمُوها فَاحْتَقِبُوها مدَبرَةَ الظَّهْر، نَاكبَةَ الْحق، باقيَةَ الْعار، مَوْسُومَةً بَشَنار الأَبَد، مَوْصُولَةً بنار الله الْمُوقَدَة **﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾** فَبعَيْن الله ما تَفْعَلُونَ **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ منقلب يَنْقَلِبُونَ﴾**. وَأَنَا ابْنَةُ نَذير لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَديدٍ، فاعملوا إنا عاملون **﴿وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾**»[1].

تأثير الخطبة في الناس ومعالجة أبي بكر للموقف

ويبدو أن خطبتها قد أحدثت ضجة بين المسلمين، وخصوصاً الأنصار، وبدت بوادر التحرك منهم.

فقد ذكر ابن أبي الحديد عن الجوهري في كتاب السقيفة، قال: «وحدثني محمد بن زكريا. قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالإسناد الأول، قال: فلما سمع أبو بكر خطبتها شق عليه مقالتها، فصعد المنبر، وقال: أيها الناس: ما هذه الرعة إلى كل قالة؟! أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم. إنما هو ثعالة شهيده ذنبه. مرب لكل فتنة. هو الذي يقول: كروها جذعة بعد ما هرمت. يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء، كأم طحال، أحب أهلها إليها البغي. ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إني ساكت ما تركت.

---

(١) تقدمت مصادر الخطبة في جواب السؤال الثالث : ١٢٥ .

ثـم التفـت إلى الأنصـار فقـال: قد بلغنـي يا معـشر الأنصـار مقالة سـفهائكم. وأحق من لزم عهد رسـول الله ﷺ أنتم. فقـد جاءكم فآويتم، ونصرتم. ألا إني لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا. ثم نزل. فانصرفت فاطمة عليها السلام إلى منزلها»[١].

والملفت للنظر أن أبا بكر قد تعمد المرونة في معالجة أحداث السقيفة ومـا تبعهـا، وتـرك الشـدة لغيره مـن جماعته. أما هـذه الخطبة فهـي تطفح بالشـتم المقـذع، والتهديـد، والشـدة. ولا يتضح لنا تفسـير ذلـك إلا بقوة نشاط المعارضة، في محاولتها إرجاع الخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام، بنحو لوّح بخطـورة الموقف، فحاول أن يتـدارك الأمر قبل أن ينفجر ذلك عن صراع يخشى منه، ولا يعلم نتائجه.

توقف الناس عن الجهاد ما دام أمير المؤمنين عليه السلام مبايناً للقوم

ومن أقوى الشـواهد على إيمان جمهور الصحابة بالنص، وبحق أمير المؤمنـين عليه السلام في الخلافـة، وبعدم شرعية خلافة أبي بكر، مـا ذكره المدائني عن عبدالله بن جعفر عن أبي عون، قال: «لما ارتدت العرب مشى عثمان إلى عـلي، فقـال: يا ابن عم، إنـه لا يخرج أحد إليَّ. فقـال: [إلى قتال. صح] هذا العدو وأنت لم تبايع، فلم يزل به حتى مشى إلى أبي بكر، فقام أبو بكر إليه، فاعتنقا، وبكى كل واحد إلى صاحبه، فبايعه. فسرّ المسلمون، وجد الناس في القتال، وقطعت البعوث»[٢].

وهو المناسـب لقول أمـير المؤمنين عليه السلام في كتابـه إلى أهل مصر: «فما راعنـي إلا انثيـال النـاس على فلان يبايعونه، فأمسـكت يـدي حتى رأيت

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦ : ٢١٤ـ ٢١٥.

(٢) أنساب الأشراف ٢ : ٢٧٠ أمر السقيفة.

راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد ﷺ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم...»[1].

هذا موقف من بالمدينة المنورة.

موقف قبائل العرب خارج المدينة، وحقيقة حروب الردة

أما موقف القبائل التي دخلت الإسلام في بقية البلاد، والتي حوربت من قبل أبي بكر، فهو وإن فسر بالارتداد، أو منع الزكاة، الذي قد يحاول البعض إلحاقه بالارتداد، لكونه إنكاراً لضروري من ضروريات الإسلام.

إلا أنه يبدو من بعض فلتات المؤرخين أن الأمر فيهم، أو في بعضهم، لا يصل إلى ذلك، بل إلى أن حكم أبي بكر لم يرق لكثير من الناس. إما لأنه لم يعهد له من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو لاستهانة الناس به وبقبيلته.

وأن ذلك قد حمل الناس على رفض حكم أبي بكر من دون خروج عن الإسلام، أو مع الخروج عن الإسلام، لسقوط هيبته وهيبة المسلمين بسبب حكم أبي بكر، بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وانشقاق الصحابة على أنفسهم، ثم إقصاء بني هاشم رهط النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين يملكون مقاماً رفيعاً في نفوس العرب، وهيبة زاد فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام أضعافاً مضاعفة.

وخصوصاً أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الضاربة، وسيفه الصارم في جهاده الطويل، والذي يعتبر امتداداً طبيعياً لوجوده صلى الله عليه وآله وسلم، في قوة شخصيته، وصلابته وهيمنته، وفي علمه وعمله، وفي مبادئه ومثاليته، بنحو يناسب انصياع العرب له بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يناسبه ما تقدم ـ في أوائل الجواب عن السؤال الثالث من هذه الأسئلة ـ

---

(١) نهج البلاغة ٣ : ١١٩.

عن سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري رضي الله عنهما من أن المسلمين لو جعلوها في أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما اختلف عليهم اثنان. وإن كان الظاهر أن قطعهما بذلك مستمد من إعلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم به.

ولنستعرض بعض الشواهد على ذلك.

إنكار بعض العرب بيعة أبي بكر وإقصاء أهل البيت عليهم السلام

فقد قال قائلهم في جملة أبيات له:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا	فيا لعباد الله ما لأبي بكر
أيورثها بكراً إذا مات بعده	وتلك لعمر الله قاصمة الظهر[1]

وقالت طيء لعدي بن حاتم: «لا نبايع أبا الفصيل أبداً»[2]. وكانت فزارة وأسد تقول: «لا والله لا نبايع أبا الفصيل أبداً»[3].

ويقول أحمد بن أعثم الكوفي في حديث عن ناقة أخذت للزكاة بغير حق، ووقع الشجار فيها بين الوالي الذي أخذها ـ وهو زياد بن لبيد ـ وأصحابها: «ثم أقبل حارثة بن سراقة إلى إبل الصدقة، فأخرج الناقة بعينها. ثم قال لصاحبها: خذ ناقتك إليك، فإن كلمك أحد فاحطم أنفه بالسيف. نحن إنما أطعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان حياً. ولو قام رجل من

---

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٢٥٥ بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي، واللفظ له. البداية والنهاية ٦ : ٣١٣ فصل في تصدي الصديق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة. معجم البلدان ٢ : ٢٧١ عند الكلام عن حضرموت. المحلى ١١ : ١٩٣ في مسألة:٢١٩٩. تاريخ دمشق ٢٥ : ١٦٠ في ترجمة طليحة بن خويلد بن نوفل. الأغاني ٢ : ١٤٩ خبر الحطيئة ونسبه. تاريخ المدينة ٢ : ٢٤٧ـ ٢٤٨، وفيه: أن قائلها الخفشيش، وأنه أخذ أسيراً وقتل صبراً.

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٢٦٠ ذكر بقية الخبر عن غطفان حين انضمت إلى طليحة وما آل إليه أمر طليحة، واللفظ له. تاريخ دمشق ٢٥ : ١٦٤ في ترجمة طليحة بن خويلد.

(٣) تاريخ الطبري ٢ : ٢٦١ ذكر بقية الخبر عن غطفان حين انضمت إلى طليحة وما آل إليه أمر طليحة. الثقات ٢ : ١٦٦.

أهل بيته لأطعناه. وأما ابن أبي قحافة فلا والله ماله في رقابنا طاعة ولا بيعة. ثم أنشد أبياتاً من جملتها:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا   فيـا عجباً ممن يطيع أبا بكر

فلما سمع زياد بن لبيد هذه الأبيات... كتب إلى حارثة بن سراقة هذه الأبيات من جملتها:

نقاتلهم في الله والله غالب   على أمره حتى تطيعوا أبا بكر

قـال: فلـما وردت هذه الأبيات من زياد بن لبيـد غضبت أحياء كندة لذلـك غضباً شـديداً. فأتت الأشـعث بن قيـس. فقال: خـبروني عنكم يا معـشر كنـدة إذ كنتم بايعتم على منع الزكاة وحرب أبي بكر فهلا قتلتم زياد ابـن لبيد... فقـال له رجل من بني عمـه: صدقت والله يا أشـعث، ما كان الـرأي إلا قتـل زياد بن لبيد، وارتجاع ما دفع إليـه من إبل الصدقة. والله ما نحـن إلا كعبيد لقريش، مـرة يوجهون إلينا أمية، فيأخـذون من أموالنا ما يريـدون، ومرة يولـون علينا مثل زياد ابن لبيد، فيأخـذ من أموالنا ويهددنا بالقتل. والله لاطمعت قريش في أموالنا أبداً.

ثم أنشأ يقول أبياتاً من جملتها:

إذا نحن أعطينا المصدق سؤله   فنـحن له فيما يريـــد عبيد

ثم تكلم الأشـعث بن قيس فقال: يا معشر كندة إن كنتم على ما أرى فلتكن كلمتكم واحدة، والزموا بلادكم، وحوطوا حريمكم، وامنعوا زكاة أموالكـم، فإني أعلـم أن العرب لا تقـر بطاعة بني تميم [تيـم.ظ] بن مرة، وتدع سـادات البطحاء من بني هاشـم إلى غيره، فإنهـا لنا أجود، ونحن لها أجرى وأصلح من غيرنا... قال: ثم إن زياد بن لبيد... سـار فإلى [إلى.ظ] حـي مـن أحياء كندة، يقـال لهم بنو ذهل بـن معاوية، فخبرهـم بما كان...

ودعاهم إلى السمع والطاعة، فأقبل إليه رجل من سادات بني تميم، يقال له الحارث بن معاوية، فقال لزياد: إنك لتدعو إلى طاعة رجل لم يعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد. فقال له زياد بن لبيد: يا هذا صدقت، فإنه لم يعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد، ولكنا اخترناه لهذا الأمر.

احتجاج بعض العرب لحق أهل البيت عليهم السلام في الخلافة

فقال له الحارث: أخبرني لَمَ نحيتم عنها أهلَ بيته، وهم أحق الناس بها، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾؟.

فقال له زياد بن لبيد: إن المهاجرين والأنصار أنظر لأنفسهم منك. فقال له الحارث بن معاوية: لا والله ما أزلتموها عن أهلها إلا حسداً منكم لهم. وما يستقر في قلبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج من الدنيا ولم ينصب للناس علماً يتبعونه، فارحل عنا أيها الرجل، فإنك تدعو إلى غير رضا.

ثم أنشأ الحارث بن معاوية يقول:

كان الرسول هو المطاع فقد مضى صلى عليه الله لم يستخلف؟!

قال: فوثب عرفجة بن عبد الله الذهلي، فقال: صدق والله الحارث ابن معاوية. أخرجوا هذا الرجل عنكم، فما صاحبه بأهل للخلافة، ولا يستحقها بوجه من الوجوه. وما المهاجرون والأنصار بأنظر لهذه الأمة من نبيها محمد... ثم وثبوا إلى زياد بن لبيد فأخرجوه من ديارهم، وهموا بقتله. قال: فجعل زياد لا يأتي قبيلة من قبائل كندة، فيدعوهم إلى الطاعة إلا ردوا عليه ما يكره.

فلما رأى ذلك سار إلى المدينة إلى أبي بكر رضي الله عنه فخبره بما كان من القوم، وأعلمه أن قبائل كندة قد أزمعت على الارتداد والعصيان... قال: واتصل الخبر بقبائل كندة فكأنهم ندموا على ما كان منهم.

ثـم وثـب رجل من أبناء ملوكهم يقال له أبضعـة بن مالك، فقال: يا معـشر كندة إنا أضرمنا على أنفسـنا ناراً لا أظن أنهـا تطفأ أو تحرق منا بشراً كثـيراً. والرأي عندي أن نتدارك ما فعلنـا... ونكتب إلى أبي بكر الصديق، فنخـبره بطاعتنا وأن نؤدي إليه زكاتنا طائعين غير مكرهين، وأنا قد رضينا به خليفة وإماماً».

ثـم ذكر كتاب أبي بكر إلى الأشـعث، وقال: «فلـما وصل الكتاب إلى الأشـعث، وقرأه أقبل على الرسـول، فقال: إن صاحبك أبا بكر هذا يلزمنا الكفر بمخالفتنا له، ولا يلزم صاحبه الكفر بقتله قومي وبني عمي.

فقال له الرسول: نعم يا أشعث يلزمك الكفر، لأن الله تبارك وتعالى قد أوجب عليك الكفر بمخالفتك لجماعة المسلمين»[1].

المتحصل من مجموع ما سبق

وهـذه الأخبـار ـ كـما تـرى ـ تقـضي بخـلاف النـاس عـلى أبي بكـر في داخـل المدينـة، وفي خارجها، وأن بعض تلك الحـروب لم تكن حروب ردة، بـل حـروب عصيان عـلى أبي بكر، وأن جماعات مـن الناس في المدينة وخارجهـا ترى أولوية بني هاشـم بالأمر، إلا أنها غلبـت على أمرها، وأن أمـير المؤمنـين عليه السلام لو ولي الأمر بعـد رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يتقدم عليه غيره، لتجنب المسلمون كثيراً من الخلاف والشقاق، ولبقيت هيبة الإسلام والمسـلمين، ولم تقـع تلـك الحـروب التـي أريقـت فيهـا كثير مـن الدماء، وانتهكت كثير من الحرمات.

وهي مؤكدة لما ذكرناه آنفاً من أن الذين أغفلوا النص ـ لو كان موجوداً كـما تقول الشـيعة ـ أفـراد معدودون مـن المهاجرين والأنصار، كما سـبق.

---

(١) الفتوح لابن أعثم المجلد الأول: ٤٩ ـ ٥٧ في ذكر ارتداد أهل حضرموت من كندة ومحاربة المسلمين إياهم، وفي ذكر كتاب أبي بكر إلى الأشعث بن قيس ومن معه من قبائل كندة.

موقف حديثي الإسلام من بيعة أبي بكر

نعم أيدهم الجمهور الأعظم من الموتورين ـ من قريش ونحوهم ـ ممن دخل الإسلام رغبة أو رهبة، عندما قوي وظهر، كالطلقاء، والمنافقين، ونحوهم، مثل المغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص،وخالد ابن الوليد،وسهيل بن عمرو،وعكرمةبن أبي جهل، والحارث بن هشام، وغيرهم. كما يشهد بذلك مواقفهم المذكورة في تأييد البيعة، وفي الهجوم على دار أمير المؤمنين والصديقة الزهراء (صلوات الله عليهما)، وفي نيلهم من الأنصار وطعنهم عليهم، وفي المشاركة في الحروب التي سميت بحروب الردة، والتي هي أو بعضها في الحقيقة حروب تثبيت السلطة، كما تقدم.

الوجود البارز لحديثي الإسلام في كيان السلطة

وكان لهؤلاء بالآخرة الوجود البارز في قيادات الجيوش وولايات الأمصار، وترك كثير من أعلام المهاجرين، والأنصار، إما إباء منهم للمشاركة في تلك السلطة، والعمل تحت أمرتها، أو إعراضاً من السلطة عنهم، خوفاً منهم، أو مقتاً لهم.

وقد روي عن عمر أنه قال: «نستعين بقوة المنافق، وإثمه عليه»[(١)].

وأنه قيل له: «إنك استعملت يزيد بن أبي سفيان، وسعيد بن العاص، ومعاوية، وفلاناً، وفلاناً من المؤلفة قلوبهم من الطلقاء وأبناء الطلقاء، وتركت أن تستعمل علياً والعباس، والزبير وطلحة».

فقال: «أما علي فأنبه من ذلك، وأما هؤلاء النفر من قريش فإني

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٦ : ٢٠٠ كتاب الأمراء: ما ذكر من حديث الأمراء والدخول عليهم، واللفظ له. كنز العمال ٤ : ٦١٤ حديث: ١١٧٧٥. السنن الكبرى للبيهقي ٩ : ٣٦ كتاب السير: باب من ليس للإمام أن يغزو به بحال. وقريب منه في كنز العمال ٥ : ٧٧١ حديث: ١٤٣٣٨.

أخاف أن ينتشروا في البلاد، فيكثروا فيها الفساد»[١].

وعن قيس بن حازم: «جاء الزبير إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في الغزو. فقال عمر: اجلس في بيتك، فقد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فردد ذلك عليه.

فقال له عمر في الثالثة أو التي تليها: اقعد في بيتك. فوالله إني لأجد بطرف المدينة منك ومن أصحابك أن تخرجوا فتفسدوا على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم»[٢].

ولا وجه لتخوفه من إكثارهم الفساد إلا شعوره بعدم انسجامهم مع السلطة، أو تخوفه من ذلك. ولذا أصر على أبي بكر حتى عزل خالد ابن سعيد بن العاص عن قيادة الجيوش التي أرسلها لفتح الشام، أو قيادة بعضها، لأنه اضطغن عليه تأخره عن بيعة أبي بكر، واستنهاضه بني هاشم أو بني عبد مناف للمطالبة بالخلافة، فلم يدع أبا بكر حتى عزله، وولى مكانه يزيد بن أبي سفيان[٣].

بل صرح بذلك في خلافته، حيث سبق في الوجه الأول للجواب عن هذا السؤال قوله في خطبة له في تبرير منعه المهاجرين عن الخروج

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩ : ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٢٩ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه مما لم يخرجاه: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واللفظ له. عون المعبود ١١ : ٢٤٦ـ٢٤٧.

(٣) الطبقات الكبرى ٤ : ٩٧ ـ ٩٨ في ترجمة خالد بن سعيد بن العاص. المستدرك على الصحيحين ٣ : ٢٧٩ كتاب معرفة الصحابة: ذكر مناقب خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس ابن عبدمناف رضي الله عنه، وقال بعد ذكر الحديث: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٣٣ في أيام أبي بكر. تاريخ الطبري ٢ : ٣٣١ في أحداث سنة ثلاث عشرة. تاريخ دمشق ١٦ : ٧٨ في ترجمة خالد بن سعيد بن العاص. شرح نهج البلاغة ٢ : ٥٨ ـ ٥٩.

من المدينة: «ألا إن في قريش من يضمر الفرقة، ويروم خلع الربقة. أما وابن الخطاب حي فلا. إني قائم دون شعب الحرة، آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا في النار».

بينما رضي بولاية أبي عبيدة بن الجراح، بل ولاه فعلاً، مع أنه من المهاجرين الأولين، ومن قريش أيضاً، ولم يخش منه، لانسجامه معه، وتوجهه وجهته.

كما لا وجه لأمنه من المنافقين والطلقاء ونحوهم لولا دعمهم لخطه وانسجامهم معه. وإلا فإنهم أخطر على البلاد والعباد لو أرادوا الفتنة والشقاق، كما حصل من معاوية حينما واتته الظروف. ولا أقل من أن يتعاونوا مع ذوي السوابق في الإسلام ممن يعارض الحكم القائم، وينوهوا بهم، ويدعوا الناس إليهم.

بل حتى لو لم يريدوا الفتنة، فإن إناطة أمور المسلمين بهم مع وجود من هو أفضل منهم في دينه ومعارفه خيانة للمسلمين.

وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من استعمل عاملاً من المسلمين، وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين»[1].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ١٠ : ١١٨ كتاب آداب القاضي: باب لا يولي الوالي امرأة ولا فاسقاً ولا جاهلاً أمر القضاء، واللفظ له. المستدرك على الصحيحين ٤ : ١٠٤ كتاب الأحكام. السنة لابن أبي عاصم ٢ : ٦٢٧. مجمع الزوائد ٥ : ٢١١ كتاب الخلافة: باب حق الرعية والنصح لها. المعجم الكبير ١١ : ١١٤ فيما رواه عمرو بن دينار عن ابن عباس. الترغيب والترهيب ٣ : ١٢٥. الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٢ : ١٦٥ كتاب أدب القضاء. نصب الراية ٤ : ٦٢ كتاب أدب القاضي. سبل السلام ٤ : ١٩٠. تاريخ بغداد ٦ : ٧٦ في ترجمة إبراهيم بن زياد القرشي. الكامل في ضعفاء الرجال ٢ : ٣٥٢ في ترجمة الحسين بن قيس أبي علي الرحبي. الضعفاء للعقيلي ١ : ٢٤٧ في ترجمة حسين ابن قيس الرحبي. تهذيب التهذيب ٢ : ٣١٣ في ترجمة الحسين بن قيس الرحبي.

بل قد نسب هذا الكلام لعمر نفسه[١]. كما روي عن عمر أيضاً أنه قال: «من استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله»[٢]. بل قد أدى ذلك بالآخرة إلى صدور كثير من المخالفات الدينية وانتهاك الحرمات منهم. كما استفاض نقل ذلك في كتب الحديث والتاريخ والأدب.

والحاصل: أن تجاهل النص والتعامي عنه لم يحصل من الكثرة الكاثرة من المهاجرين والأنصار، خصوصاً ذوي الشأن والمقام الرفيع منهم، بل كان هوى كثير منهم مع أمير المؤمنين وأهل البيت (صلوات الله عليهم)، كما سبق.

تقصير عامة الصحابة في نصرة الحق

نعم، لا ريب في أنه بناء على وجود النص وثبوت الحق لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ـ كما تقول الشيعة ـ فالكثرة الكاثرة من الصحابة قد فرطوا في نصرة الحق، والاستجابة لدعوة الإمام المنصوص عليه.

فقد سبق من أمير المؤمنين عليه السلام ـ في جواب السؤال الثالث ـ كثرة الشكوى من عدم الأنصار، وأنه اجتمع جماعة إليه يدعونه إلى البيعة، فقال لهم: اغدوا على هذا محلقين الرؤوس، فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر أو أربعة، وأنه عليه السلام قد أعلن أنه لو كان معه أربعون رجلاً لطالب بحقه.

كما أنه حمل الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام على حمار ـ ومعه ولداه الحسن والحسين عليهما السلام ـ وطاف بها على بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم الانتصار له، وهم يعتذرون لها بأن بيعتنا قد سبقت لأبي بكر، ولو

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ : ٣٠٤ كتاب معرفة الصحابة: ذكر مناقب أحد الفقهاء الستة من الصحابة معاذ بن جبل رضي الله عنه، واللفظ له. سير أعلام النبلاء ١ : ٤٦٠ في ترجمة معاذ بن جبل. الكشف الحثيث ١ : ١٧٨ في ترجمة عبيد بن تميم. لسان الميزان ٤ : ١١٨ في ترجمة عبيدبن تميم.

(٢) كنز العمال ٥ : ٧٦١ حديث:١٤٣٠٦.

كان ابن عمك سبق إلينا لما عدلنا به[١].

كما أكد معاوية ذلك في كتابه السابق لأمير المؤمنين عليه السلام. وقد روى الشيعة الكثير في ذلك.

وليس ذلك من الصحابة لتجاهلهم النص وتعاميهم عنه، بل خوفاً وهلعاً، أو يأساً من الانتصار بمقتضى المقاييس المدركة لهم، لأن مبدئية أمير المؤمنين، واهتمامه الأعظم بالكيان الإسلامي العام، جعلهم يدركون ضعف موقفه في الصراع، وضآلة قوته المادية.

بعض شواهد مبدئية أمير المؤمنين عليه السلام

ويكفي شاهداً على ذلك أنه ورد عنه عليه السلام الاعتذار عن مسابقة القوم بأني ما كنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنازة لا أجهزه، وأخرج لأنازع الناس سلطانه[٢].

ولما عرض عليه العباس أن يبايعه، ليقال: عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بايع ابن عمه، فلا ينازعه أحد، قال: «فإني لا أحب هذا الأمر من وراء رتاج وأحب أن أصحر به»[٣].

كما أن أبا سفيان ـ بما له من قوة قبلية لا يستهان بها ـ حين نظر للأمر من جانب قبلي، وحاول حمل أمير المؤمنين عليه السلام على المطالبة بالخلافة، لم يستجب عليه السلام له ونهره[٤].

---

(١) الإمامة والسياسة ١ : ١٦ إباية علي (كرم الله وجهه) بيعة أبي بكر رضي الله عنهما. شرح نهج البلاغة ٦ : ١٣.

(٢) الإمامة والسياسة ١ : ١٦ إباية علي (كرم الله وجهه) بيعة أبي بكر رضي الله عنهما. شرح نهج البلاغة ٦ : ١٣.
الفتوح لابن أعثم المجلد الأول: ١٣ ذكر ابتداء سقيفة بني ساعدة وما كان من المهاجرين والأنصار.

(٣) شرح نهج البلاغة ٩ : ١٩٦، واللفظ له، ١١ : ٩.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣ : ٨٣ كتاب معرفة الصحابة: أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه. المصنف لعبد الرزاق ٥ : ٤٥١ بيعة أبي بكر رضي الله عنه. الاستيعاب ٣ : ٩٧٤ في ترجمة عبد الله بن أبي

←

بينما استرضاه أبو بكر، فنفله أموال الصدقة[1]، وولى ولده[2]. فصار هو وأهل بيته من مؤيديه، وأنصاره... إلى غير ذلك.

ولعله لذا ونحوه ورد أنه ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها[3]. حيث إن مبدئية أهل الحق تفوت عليهم كثيراً من فرص الانتصار، بينما يستغلها أهل الباطل، فتكون سبب انتصارهم.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «قد يرى الحول القلب وجه الحيلة، ودونه مانع من أمر الله ونهيه، فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها. وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين»[4].

← قحافة، ٤ : ١٦٧٩ في ترجمة أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية. تاريخ الخلفاء ١ : ٦٧ فصل في الأحاديث والآيات المشيرة إلى خلافته وكلام الأئمة في ذلك. أنساب الأشراف ٢ : ٢٧١ أمر السقيفة. تاريخ الطبري ٢ : ٢٣٧ حديث السقيفة. شرح نهج البلاغة ٢ : ٤٥.

(١) العقد الفريد ٤ : ٢٤٠ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. شرح نهج البلاغة ٢ : ٤٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٤ : ٩٧ ـ ٩٨ في ترجمة خالد بن سعيد بن العاص. المستدرك على الصحيحين ٣ : ٢٧٩ كتاب معرفة الصحابة: ذكر مناقب خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبدمناف رضي الله عنه، وقال بعد ذكر الحديث: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٣٣ في أيام أبي بكر. تاريخ الطبري ٢ : ٣٣١ في أحداث سنة ثلاث عشرة. تاريخ دمشق ١٦ : ٧٨ في ترجمة خالد بن سعيد بن العاص. شرح نهج البلاغة ٢ : ٥٨ ـ ٥٩.

(٣) مجمع الزوائد ١ : ١٥٧ كتاب العلم: باب في الاختلاف. المعجم الأوسط ٧ : ٣٧٠. فيض القدير ٥ : ٤١٥. حلية الأولياء ٤ : ٣١٣. تذكرة الحفاظ ١ : ٨٧ في ترجمة الشعبي. سير أعلام النبلاء ٤ : ٣١١ في ترجمة الشعبي. ذكر من اسمه شعبة : ٦٨. كنز العمال ١ : ١٨٣ حديث: ٩٢٩. الجامع الصغير للسيوطي ٢ : ٤٨١ حديث: ٧٧٩٩. شرح نهج البلاغة ٥ : ١٨١ ولكن رواه في ضمن خطبة لأمير المؤمنين.

(٤) نهج البلاغة ١ : ٩٢.

تجب الاستجابة للإمام المنصوص عليه مهما كانت النتائج

لكن ذلك كله لا يصلح عذراً للصحابة، ولا لغيرهم مع الله تعالى، بل يجب على الناس طاعة الإمام المنصوص عليه، والاستجابة له، ونصره مهما كانت النتائج، وليس لهم الاجتهاد والنظر معه. إذ كثيراً ما يخفى وجه الصلاح على الناس فيما يفعله. نظير ما كان من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صلح الحديبية، الذي أنكره المسلمون لجهلهم بالعواقب، كما تقدم التعرض له في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة.

وكم صار الفشل العاجل سبباً للانتصار والفتح، على الأمد البعيد. ولو لم يكن للاستجابة في نصرة الحق والحرب على الباطل من ثمرة، إلا تنبيه الغافل، وإقامة الحجة لله تعالى، لكفى بذلك مكسباً عظيماً لدين الله تعالى، وأهل دعوته.

وفي حديث أبي سالم الجيشاني: «سمعت علياً رضي الله عنه بالكوفة يقول: إني أقاتل على حق ليقوم. ولن يقوم. والأمر لهم. قال: فقلت لأصحابي: ما المقام ههنا وقد أخبرنا أن الأمر ليس لهم؟ فاستأذناه إلى مصر. فأذن لمن شاء منا، وأعطى كل رجل منا ألف درهم. وأقام معه طائفة منا»[1].

فتراه (صلوات الله عليه) لم يثنه علمه بغلبة معاوية عن القتال في سبيل الحق، وبقي معه أهل البصائر من أصحابه.

وفي حديث الأسود الديلي عن أبيه: «عن علي رضي الله عنه قال: أتاني عبدالله ابن سلام، وقد وضعت رجلي في الغرز، وأنا أريد العراق، فقال: لا تأتي (كذا في المصدر)العراق، فإنك إن أتيته أصابك به ذباب السيف. قال علي: وأيم الله لقد قالها لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلك.

---

(١) الفتن لنعيم بن حماد ١ : ١٢٧ ما يذكر في ملك بني أمية وتسمية أساميهم بعد عمر رضي الله عنه.

قال أبو الأسود: فقلت في نفسي: ياالله ما رأيت كاليوم، رجل محارب يحدث الناس بمثل هذا»[١].

فانظر إليه (صلوات الله عليه) كيف يخبر الناس بأنه سوف يقتل، ومع ذلك يدعوهم للجهاد معه! وما ذلك إلا لأن الهدف من الجهاد المذكور أسمى من الانتصار العاجل.

كما أنه استفاض الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم [٢]، وعن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)[٣] بالإخبار بقتل الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٥١ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه مما لم يخرجاه: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واللفظ له، وقال بعد ذكر الحديث: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». صحيح ابن حبان ١٥ : ١٢٧ باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الفتن والحوادث: ذكر الإخبار عن خروج علي بن أبي طالب(رضوان الله عليه) إلى العراق. موارد الظمآن ١ : ٥٤٥ باب في فضل علي رضي الله عنه. نظم درر السمطين : ١٣٦ في ذكر أخبار النبي بقتله. تاريخ دمشق ٤٢ : ٥٤٦ في ترجمة علي بن أبي طالب.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٩٤، ١٩٦ كتاب معرفة الصحابة، أول فضائل أبي عبد الله الحسين بن علي الشهيد رضي الله عنهما بن فاطمة.. الأحاديث المختارة ٢: ٣٧٥ فيما رواه نجي الحضرمي والد عبد الله عن علي رضي الله عنه. مسند البزار ٣ : ١٠١ ومما روى عبد الله بن نجي عن علي. مسند أحمد ١ : ٧٥ مسند علي بن أبي طالب (رض) .مسند أبي يعلى ١ : ٢٩٨ مسند علي بن أبي طالب (رض). الآحاد والمثاني ١ :٣٠٨ ومن ذكر الحسين بن علي (رضي عنهما). مجمع الزوائد ٩: ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين ابن علي عليهما السلام، وفيه عدة روايات بعضها صرح بصحتها، المعجم الكبير ٣: ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨ عند ذكر الحسين بن علي بن أبي طالب (رض) يكنى أبا عبد الله : ذكر مولده وصفته وهيأته (رض)... سير أعلام النبلاء ٣ : ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠ في ترجمة الحسين الشهيد وغيرها من المصادر.

(٣) مجمع الزوائد ٩: ١٨٧، ١٩١ كتاب المناقب : باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. المعجم الكبير ٣: ١١٠، ١١١ عند ذكر الحسين بن علي بن أبي طالب(رض) يكنى أبا عبد الله: ذكر مولده وصفته وهيأته (رض)... الأحاديث المختارة ٢ : ٣٧٥ فيما رواه نجي الحضرمي والد عبد الله عن علي عليه السلام. مسند البزار ٣ : ١٠١ وما روى عبد الله نجي عن علي.

←

كما استفاض عن الحسين (صلوات الله عليه) نفسه الإخبار بقتله وانتهاك حرمته[١]. إلاّ أن ذلك لم يمنعه من النهوض والثورة في وجه الظالمين، ومن دعوة المسلمين للجهاد في سبيل الله تعالى، و التضحية معه . كل ذلك لأن الهدف ليس هو الانتصار المادي بالاستيلاء على السلطة، بل ما هو أسمى من ذلك بكثير .

فقد كتب صلوات الله عليه من مكة المكرمة ـ وهو يعد العدة لنهضته ـ إلى بني هاشم في المدينة المنورة: «بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم.. أما بعد فإن من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح. والسلام»[٢].

كما خطب عليه السلام في مكة المكرمة حين عزم على الخروج منها متوجهاً إلى العراق، فقال: «الحمد لله، وما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على رسوله. خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة. وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف. وخِير لي مصرع أنا لاقيه. كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة، بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً. لا محيص عن يوم خط بالقلم. رضا الله رضانا

← مسند أحمد ١ : ٧٥٠ مسند علي بن أبي طالب(رض) مسند أبي يعلى ١ : ٢٩٨ . مسند علي بن أبي طالب (رض) . الآحاد والمثاني ١ : ٣٠٨ ومن ذكر الحسين بن علي(رضي عنهما) . وغيرهما من المصادر الكثيرة.

(١) الفتوح لابن أعثم ٥ : ٩٤٠ ذكر نزول الحسين(رض) بكربلاء . تاريخ دمشق ١٤ : ٢١٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب . تاريخ الطبري ٣ : ٣٠٠ ذكر الخبر عن مسيره إليها (أي الكوفة) وما كان من أمره في مسيره . البداية والنهاية ٨ : ١٦٩ صفة مخرج الحسين إلى العراق. سير أعلام النبلاء ٣ : ٣٠٦ في ترجمة الحسين الشهيد . بغية الطلب في تاريخ حلب ٦ : ٢٦١٦ الكامل في التاريخ ٣: ٤٠١ ذكر مسير الحسين إلى الكوفة.

(٢) كامل الزيارات : ١٥٧ واللفظ له. بصائر الدرجات : ٥٠٢. نوادر المعجزات : ١١٠. دلائل الإمامة : ١٨٨. الخرائج والجرائح ٢ : ٧٧١ ـ ٧٧٢. وغيرها.

أهل البيت. نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين. لن تشذ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده. ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً، إن شاء الله تعالى»[١].

فهو عليه السلام في الوقت الذي يتنبأ بقتله في خطبته هذه، وبقتل أهل بيته في كتابه السابق، يرى نفسه فاتحاً ـ كما سبق ـ ويستنصر الناس لهذا الفتح. وأي فتح هذا الذي يكون مع القتل والشهادة؟!

ذلك ما جهله كثير من الناس، فأشاروا عليه بترك الخروج، وعلمه هو (صلوات الله عليه) فأصر على الخروج. ووثق بقيادته عليه السلام خاصة شيعته، فتبعوه بخوعاً لأمر الله تعالى، ووفاءً لحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واشتركوا معه في الشهادة، والفتح، والسعادة، التي كتبها الله تعالى له ولهم.

وعلى كل حال فواجب الأمة الانقياد للإمام المنصوص والاستجابة له، بغض النظر عن النتائج، عملاً بالتكليف الشرعي، ولأنه مسدد من قبل الله تعالى الذي أمر باتباعه. كما يأتي قول أمير المؤمنين عليه السلام في الثناء على خاصة شيعته من الصحابة: «ووثقوا بالقائد فاتبعوه»[٢].

هذا ما تأخذه الشيعة ـ بعد استيضاحهم النص على أمير المؤمنين عليه السلام ـ على الكثرة الكاثرة من الصحابة الذين تخلفوا في حادثة السقيفة عن الخليفة المنصوص عليه، ولم يستجيبوا لدعوته، ويشدوا أزره، وينصروه، ليسترجع الحق، كما أراده الله عز وجل.

---

(١) مقتل الحسين للمقرم: ١٩٣ ـ ١٩٤ السفر إلى العراق، واللفظ له. كشف الغمة ٢: ٢٣٩. بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٠٩. ينابيع المودة ٢: ٢٩.

عدم نصر الإمام المنصوص عليه لا يرجع للتعامي عن النص

وليس هذا منهم ـ حسب منظور الشيعة ـ عن جهل بالنص، ولا عن تعام عنه، أو ردّ له. بل هو لا يزيد على التقاعس عن أداء الواجب في نصرة الحق المعلوم والجهاد في سبيله. نظير تثاقل الصحابة في الخروج لغزوة بدر، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾(١).

وكذا فرارهم في معركتي أحد وحنين، وتخاذلهم يوم الخندق، وتخلف بعضهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما خرج لغزوة تبوك، ونحو ذلك مما لا يرجع من كثير منهم إلى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نبوته.

وكذا تقاعس أهل الكوفة عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام في أواخر أيامه، وعن نصرة الإمام الحسن عليه السلام، وتقاعس المسلمين عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام حينما استنصرهم في مكة، وغيرها. حيث لا يرجع ذلك من كثير منهم إلى إنكار إمامتهم (صلوات الله عليهم)، وتجاهل النص عليهم.

عدم نصر الإمام المنصوص عليه ذنب قابل للتوبة

نعم هو ذنب عظيم، نظير الفرار من الزحف الذي شدد الله تعالى فيه، وهو من الكبائر العظام. ونظير تخلف المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حروبه الذي أنبهم الله تعالى عليه أشد التأنيب. إلا أن الله تعالى قد فتح باب التوبة منه، كسائر الذنوب التي يقارفها عباده مهما عظمت.

وقد صرح في القرآن الكريم بالعفو عن فرار المسلمين في واقعة أحد. كما تاب الله عزوجل ﴿عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٥ ـ ٦.

الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١]... إلى غير ذلك.

تراجع الصحابة لأمير المؤمنين عليه السلام ودعمهم له

وهو ما حصل فعلاً من كثير من الصحابة مع أمير المؤمنين وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين). خصوصاً بعد أن ظهرت سلبيات خروج الخلافة عن أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام.

فقد رجعوا إليه، وعرفوا تقصيرهم في أمره، وبايعوه حين أمكنتهم بيعته بعد عثمان.

لزوم الصحابة لأمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان

بل لولا تنويههم به عليه السلام وبيانهم لفضله وحقه لما أصرت جماهير المتواجدين في المدينة بعد مقتل عثمان على بيعته، مع أنه عليه السلام لم يكن هو المتصدي لقيادة تلك الجماهير، وتأليبها على عثمان. بل كان عليه السلام ألين النفر في أمره. ثم نصروه في حروبه، وكان لهم دور بارز فيها، وفي عضد السلطة وإدارتها في عهده. وشواهد ذلك كثيرة جداً. نذكر بعض ما هو المسجل منها، والمثبت في المصادر المناسبة.

١ ـ قال أبو جعفر الإسكافي: «لما اجتمعت الصحابة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد قتل عثمان للنظر في أمر الإمامة أشار أبو الهيثم بن التيهان، ورفاعة بن رافع، ومالك بن العجلان، وأبو أيوب الأنصاري، وعمار بن ياسر بعلي عليه السلام، وذكروا فضله، وسابقته، وجهاده، وقرابته... فمنهم من فضله على أهل عصره خاصة، ومنهم من فضله على المسلمين كلهم كافة، ثم بويع...»[٢].

---

(١) سورة التوبة الآية: ١١٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ٧ : ٣٦، ٣٩.

ثـم لما بايعـوه، وحملوا الناس على بيعته تبنوا دعوتـه، وذكروا بمقامه وحقـه، ولزمـوا جانبه، ونـصروه في حروبه، وكان لهـم دور بارز في عضد السلطة وإدارتها في عهده(صلوات الله عليه)..

وسوف يأتي في آخر هذا الحديث تصريحهم بفضله، وبالوصية له عند البيعة وبعدها في كلام كثير.

٢ ـ كـما اسـتطرد الإسـكافي في ذكـر ما حدث بعـد البيعة مـن بوادر الشـقاق والخلاف من بعض النفر على أمير المؤمنين عليه السلام، بسـبب قسـمته المال بالسوية، وتعريضه بالمترفين، والمنتفعين بوجه غير مشروع في عهد من سبق. وقال: «فلما ظهر ذلك من أمرهم قال عمار بن ياسر لأصحابه: قوموا بنا إلى هؤلاء النفر من إخوانكم، فإنه قد بلغنا عنهم، ورأينا منهم، ما نكره من الخلاف، والطعن على إمامهم. وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين الزبير والأعسر العاق. يعني: طلحة.

فقـام أبو الهيثم وعمار وأبو أيوب وسـهل بن حنيـف وجماعة معهم، فدخلـوا عـلى علي عليه السلام. فقالـوا: يا أمير المؤمنـين، انظر في أمـرك، وعاتب قومك هذا الحي من قريش، فإنهم قد نقضوا عهدك، وأخلفوا وعدك. وقد دعونا في السر إلى رفضك، هداك الله لرشدك. وذلك لأنهم كرهوا الأسوة، وفقـدوا الأثـرة. ولما آسـيت بينهـم وبـين الأعاجم أنكـروا، واستشـاروا عـدوك وعظموه، وأظهروا الطلب بدم عثمان، فرقة للجماعة، وتألفاً لأهل الضلالة. فرأيك»[1].

فانظـر إلى خـواص الصحابـة رضي الله عنهم كيـف اسـتوضحوا حـق أمـير المؤمنين عليه السلام ودعوا إليه، ونصحوا له، وجدّوا في تثبيت حكمه.

(١) شرح نهج البلاغة ٧ : ٣٦، ٣٩.

٣ ـ وقال خفاف بن عبدالله الطائي لمعاوية في وصف ما حدث بعد قتل عثمان: «ثم تهافت الناس على علي بالبيعة تهافت الفراش... ثم تهيأ للمسير، وخفّ معه المهاجرون والأنصار. وكره القتال معه ثلاثة نفر: سعد بن مالك، وعبدالله بن عمرّ، ومحمد بن مسلمة، فلم يستكره أحداً. واستغنى بمن خفّ معه عمن ثقل»[1].

٤ ـ وقد روى سعيد بن جبير أنه كان مع أمير المؤمنين عليه السلام في وقعة الجمل ثمانمائة من الأنصار، وأربعمائة ممن شهد بيعة الرضوان[2]، وفي رواية أنه كان معه عليه السلام سبعمائة من الأنصار[3].

٥ ـ ولما كتب معاوية إلى عبد الله بن عمر يستنصره أجابه ابن عمر، فقال: «أما بعد فإن الرأي الذي أطمعك في هو الذي صيرك إلى ما صيرك إليه. إني تركت [أترك] علياً في المهاجرين والأنصار، وطلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين، واتبعتك [واتبعك]!... ».

ثم قال لابن غزية: أجب الرجل ـ وكان أبوه ناسكاً، وكان أشعر قريش ـ فقال أبياتاً منها:

تركنا علياً في صحاب محمد ... وكان لما يرجى له غير تارك
و قد خفت الأنصار معه و عصبة ... مهاجرة مثل الليوث الشوابك[4]

٦ ـ وفي كتاب محمد بن أبي بكر ـ المشار إليه آنفاً ـ إلى معاوية:

---

(١) وقعة صفين: ٦٥. الإمامة والسياسة ١ : ٧٤ في قدوم ابن عم عدي بن حاتم الشام. شرح نهج البلاغة ٣ : ١١١.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ١٨٤ تفصيل خبر معركة الجمل. العقد الفريد ٤ : ٢٨٩ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يوم الجمل.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ٣٠ وقعة الجمل.

(٤) وقعة صفين: ٧٢ ـ ٧٣.

«والشاهد لعلي ـ مع فضله المبين، وسبقه القديم ـ أنصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن، فأثنى الله عليهم، من المهاجرين والأنصار، فهم معه عصائب وكتائب حوله، يجالدون بأسيافهم ويهريقون دماءهم دونه...»[١].

٧ ـ ولما نزل أمير المؤمنين عليه السلام بفيد ـ في طريقه إلى حرب الجمل ـ أتته أسد وطيء، فعرضوا عليه أنفسهم، فقال: «الزموا قراكم. في المهاجرين كفاية»[٢].

٨ ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى معاوية: «وأنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتامهم... قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية...»[٣].

٩ ـ وقال عقيل بن أبي طالب لمعاوية: «أني كنت أنظر إلى أصحاب علي يوم أتيته فلم أرَ معه إلا المهاجرين والأنصار وأبناءهم والتفت الساعة فلم أرَ إلا أبناء الطلقاء وبقايا الأحزاب»[٤].

١٠ ـ وورد في الحديث عن تعبئة الجيش بصفين أن أمير المؤمنين عليه السلام كان في القلب، في أهل المدينة، بين أهل الكوفة وأهل البصرة. وعظم من معه من أهل المدينة الأنصار[٥].

---

(١) وقعة صفين: ١١٩، واللفظ له. شرح نهج البلاغة ٣: ١٨٨. مروج الذهب ٣: ٢١ في ذكر لمع من أخباره (معاوية) وسيره ونوادر عن بعض أفعاله: بين معاوية ومحمد بن أبي بكر.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ١١٧ في ذكر مسير علي بن أبي طالب إلى البصرة والوقعة. الفتنة ووقعة الجمل ١: ١٣٧. تاريخ الطبري ٣: ٢٤ ذكر الخبر عن مسير علي بن أبي طالب نحو البصرة. شرح نهج البلاغة ١٤: ١٨.

(٣) نهج البلاغة ٣: ٣٥. شرح نهج البلاغة ١٥: ١٨٤. مناقب الإمام علي لابن الدمشقي ١: ٣٧٥. ينابيع المودة ٣: ٤٤٧.

(٤) الموفقيات: ٣٣٥.

(٥) تاريخ الطبري ٣: ٨٤ في تكتيب الكتائب وتعبئة الناس للقتال.

١١ ـ وروى نصر بن مزاحم بسنده عن أبي سنان الأسلمي، قال: «لما أخبر علي بخطبة معاوية وعمرو، وتحريضهما الناس عليه، أمر الناس فجمعوا. قال: كأني أنظر إلى علي متوكئاً على قوسه، وقد جمع أصحاب رسول الله(صلى الله عليه) عنده: فهم يلونه [وكأنه] أحب أن يعلم الناس أن أصحاب رسول الله متوافرون عليه...»[١].

١٢ ـ وقال عمرو بن العاص لمعاوية: «إنك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمد ﷺ قرابة قريبة... وإنه قد سار إليك بأصحاب محمد المعدودين، وفرسانهم وقرائهم وأشرافهم وقدمائهم في الإسلام. ولهم في النفوس مهابة...»[٢].

١٣ ـ وخطب سعيد بن قيس أصحابه، فقال في جملة خطبته: «وقد اختصنا الله منه بنعمة، فلا نستطيع أداء شكرها، ولا نقدر قدرها. أن أصحاب محمد المصطفين الأخيار معنا، وفي حيزنا. فوالله الذي هو بالعباد بصير أن لو كان قائدنا حبشياً مجدعاً، إلا أن معنا من البدريين سبعين رجلاً لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا، وتطيب أنفسنا، فكيف؟! وإنما رئيسنا ابن عم نبينا...»[٣].

١٤ ـ ونصوص المؤرخين وإن اختلفت في عدد الصحابة الذين شهدوا مع أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) في حروبه وفي صفين خاصة، إلا أنها تكاد تجمع على الوجود المكثف لهم، فقيل: إنه شهد معه

---

(١) وقعة صفين: ٢٢٣.

(٢) المصدر السابق: ٢٢٢.

(٣) وقعة صفين: ٢٣٦ـ٢٣٧، واللفظ له. شرح نهج البلاغة ٥: ١٨٩. جمهرة خطب العرب ١: ٣٥٥ في خطبة سعيد بن قيس.

صفين سبعون بدرياً[١]، وقيل: ثمانون[٢]، وقيل: أكثر[٣]، كما شهدها ممن بايع بيعة الرضوان سبعمائة[٤]، وقيل: ثمانمائة[٥]، وقيل غير ذلك[٦].

ويروي ابن عساكر بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام ومحمد بن المطلب وزيد بن الحسن قالوا: «شهد مع علي بن أبي طالب في حربه من أصحاب بدر سبعون رجلاً، وشهد معه ممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل فيما لا يحصى من أصحاب رسول الله...»[٧].

١٥ ـ وقال نصر: «وإن معاوية دعا النعمان بن بشير الأنصاري ومسلمة بن مخلد الأنصاري ـ ولم يكن معه من الأنصار غيرهما ـ فقال: يا هذان، لقد غمني ما لقيت من الأوس والخزرج، صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال، حتى والله جبنوا أصحابي، الشجاع والجبان، وحتى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلا قالوا: قتلته الأنصار... يقولون: نحن الأنصار! قد والله آووا ونصروا، ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم...

وانتهى الكلام إلى الأنصار، فجمع قيس بن سعد الأنصاري

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨٨ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١١٢ . كتاب معرفة الصحابة : ذكر مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .الإصابة ١ : ١٦٤ في ترجمة حبة . التدوين في أخبار قزوين ١ : ١٩٣ . تالي تلخيص المتشابه ٢ : ٥٠٣ . وغيرها من المصادر.

(٣) شرح الزرقاني ٣ : ١٥٨ . مروج الذهب ٢ : ٣٥٠ ذكر خلافة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه: التقاء الحكمين.

(٤) شرح الزرقاني ٣ : ١٥٨.

(٥) الاستيعاب ٣ : ١٣٨ في ترجمة عمار بن ياسر . الإصابة ٤ ص :٢٨٢ في ترجمة عبد الرحمن بن أبزي.

(٦) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١١٢ . كتاب معرفة الصحابة: ذكر مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٧) تاريخ دمشق ١٩ : ٤٤٢ في ترجمة زيد بن صوحان.

الأنصار، ثم قام خطيباً فيهم، فقال: إن معاوية قد قال ما بلغكم... فلعمري لئن غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه بالأمس، ولئن وترتموه في الإسلام فقد وترتموه في الشرك. وما لكم إليه من ذنب [أعظم] من نصر هذا الدين الذي أنتم عليه. فجدوا اليوم جداً تنسونه [به] ما كان أمس، وجدوا غداً [جداً] تنسونه [به] ماكان اليوم.

وأنتم مع هذا اللواء الذي كان يقاتل عن يمينه جبرائيل، وعن يساره ميكائيل. والقوم مع لواء أبي جهل والأحزاب... »[١].

١٦ ـ وطلب معاوية من النعمان أن يخرج إلى قيس بن سعد بن عبادة فيعاتبه، ويسأله السلم.

فخرج النعمان حتى وقف بين الصفين، فقال: يا قيس بن سعد، أنا النعمان بن بشير. فخرج إليه. وبعد تبادل الحديث بينهما. قال قيس في جملة حديثه: «وأما معاوية فوالله أن لو اجتمعت عليه العرب [قاطبة] لقاتلته الأنصار. وأما قولك: إنا لسنا كالناس، فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله، نتقي السيوف بوجوهنا، والرماح بنحورنا، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقاً، أو أعرابياً، أو يمانياً مستدرجاً بغرور؟! انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان الذين رضي الله عنهم، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك؟! ولستما والله ببدريين [ولاعقبيين] ولا أحديين، ولا لكما سابقة في الإسلام، ولا آية في القرآن. ولعمري لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك»[٢].

---

(١) وقعة صفين: ٤٤٥ ـ ٤٤٧.

(٢) وقعة صفين: ٤٤٩، واللفظ له. شرح نهج البلاغة ٨: ٨٧ ـ ٨٨. الإمامة والسياسة ١: ٩١ ـ ٩٢ ما خاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد. جمهرة خطب العرب ١: ٣٦٧ الخطب والوصايا ←

وقد أشار بشغب أبيه إلى أن بشير بن سعد ـ أبا النعمان هذا ـ أول من بايع أبا بكر في سقيفة بني ساعدة[١]،أو من أوائلهم.

١٧ ـ وذكروا في جملة وقائع صفين أن عماراً حمل في عدة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والأنصار على عمرو بن العاص، وهو يقود تنوخ ونهداً وغيرهما من أهل الشام[٢].

١٨ ـ ويقول أبو عبدالرحمن السلمي وهو من شهود صفين: «فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتبعونه كأنه علم لهم»[٣].

١٩ ـ وفي حديث أم الخير بنت الحريش يوم قتل عمار: «صبراً يا معشر المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم...»[٤].

← عصر صدر الإسلام: خلافة الإمام علي (كرم الله وجهه): جواب قيس بن سعد.

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤ خبر سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر. الرياض النضرة ٢ : ٢١٥ الفصل الثالث عشر: ذكر بيعة العامة. الإصابة ١ : ٣١١ في ترجمة بشير بن سعد. فتح الباري ٧ : ٣١. الطبقات الكبرى ٣ : ١٨٢ في ترجمة أبي بكر: ذكر بيعة أبي بكر. وغيرها من المصادر.

(٢) مروج الذهب ٢ : ٣٧٥ ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق وأهل الشام بصفين: اليوم الثالث.

(٣) الاستيعاب ٣ : ١١٣٨ في ترجمة عمار بن ياسر، واللفظ له. تاريخ الطبري ٣ : ٩٩ مقتل عمار بن ياسر. المجموع في شرح المهذب للنووي ١٩ : ١٦٢. شرح نهج البلاغة ١٠ : ١٠٤. أسد الغابة ٤ : ٤٦ في ترجمة عمار بن ياسر.

(٤) جمهرة خطب العرب ١ : ٣٧١ خطبة أم الخير بنت الحريش، واللفظ له. تاريخ دمشق ٧٠ : ٢٣٥ في ترجمة أم الخير بنت الحريش. العقد الفريد ٢ : ٩٠ فرش كتاب الجمانة في الوفود: الوافدات على معاوية (رحمه الله تعالى). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ١ : ٢٩٧ النوع التاسع مما يحتاج إليه الكاتب من حفظ جانب جيد من مكاتبات الصدر الأول ومحاوراتهم ومراجعاتهم وما ادعاه كل منهم لنفسه أو لقومه والنظر في رسائل المتقدمين من بلغاء الكتاب: المقصد الثاني في ذكر شيء من مكاتبات الصدر الأول يكون مدخلا إلى معرفة ما يحتاج إلى حفظه من ذلك: ومن ←

٢٠ ـ وفي حديث عكرشة بنت الأطش أو الأطرش في صفين: «قاتلوا يا معشر الأنصار والمهاجرين على بصيرة من دينكم»[١]... إلى غير ذلك مما لا يتيسر لنا ذكره، ويكشف عن الوجود المكثف للصحابة في حروب أمير المؤمنين عليه السلام، ونصرتهم له.

وجود الصحابة المكثف في خاصة أمير المؤمنين عليه السلام وقياداته وولاته

وقد كان منهم جماعة من قواد جيشه، وولاته على الأمصار، وعيون أصحابه، كعمار بن ياسر، وأبي أيوب الأنصاري، وحذيفة بن اليمان، وابن التيهان، وذي الشهادتين، وقيس بن سعد بن عبادة، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وهاشم بن عتبة المرقال، وعدي ابن حاتم الطائي، وعبد الله ومحمد ابني بديل بن ورقاء الخزاعي، وسهل وعثمان ابني حنيف، وجابر ابن عبد الله، وغيرهم كثير.

تلهف أمير المؤمنين عليه السلام على خاصته من الصحابة

وقد تلهف أمير المؤمنين عليه السلام على بعضهم في خطبة له حث فيها الناس على الجهاد، فقال: «أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم

→ ذلك كلام أم الخير بنت الحريش البارقية يوم صفين في الانتصار لعلي رضي الله عنه. بلاغات النساء: ٣٨ كلام أم الخير بنت الحريش البارقية.

(١) بلاغات النساء: ٧١ كلام عكرشة بنت الأطش، واللفظ له. العقد الفريد ٢: ٨٦ فرش كتاب الجمانة في الوفود: الوافدات على معاوية: وفود عكرشة بنت الأطرش على معاوية رحمه الله. وقريب منه في صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ١: ٣٠١ النوع التاسع مما يحتاج إليه الكاتب من حفظ جانب جيد من مكاتبات الصدر الأول ومحاوراتهم ومراجعاتهم وما ادعاه كل منهم لنفسه أو لقومه والنظر في رسائل المتقدمين من بلغاء الكتاب: المقصد الثاني في ذكر شيء من مكاتبات الصدر الأول يكون مدخلا إلى معرفة ما يحتاج إلى حفظه من ذلك، وجمهرة خطب العرب ١: ٣٦٨ ـ ٣٦٩ خطب الشيعيات في وقعة صفين: خطبة عكرشة بنت الأطرش.

من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟».

قال الراوي: ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء، ثم قال عليه السلام: «أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه...»[1].

وقد بقي من بقي منهم مع الإمام أبي محمد الحسن عليه السلام حين ولي الأمر، حتى صالح معاوية، وبقوا بعد ذلك يوالونه ويوالون أهل بيته.

تعرض الصحابة لانتقام معاوية

وقد تعرض كثير منهم للقتل والتشريد والنقمة والتنكيل من معاوية، انتقاماً منهم لموقفهم مع أمير المؤمنين عليه السلام ومع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبله، ولمجافاتهم لمعاوية بعده، حتى شرِّد الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي، ولما قتل أو مات قطعوا رأسه وحملوه إلى معاوية، ووضع رأسه في حجر زوجته التي كانت في سجن معاوية، ففزعت، وقالت: غيبتموه عني طويلاً، ثم أهديتموه إلي قتيلاً...[2].

مقتل حجر بن عدي وأصحابه واستياء المسلمين من ذلك

كما قتل الصحابي العظيم حجر بن عدي الكندي وجماعته في مرج عذراء، في حادثة مشهورة، لأنهم أنكروا على زياد عامل معاوية على الكوفة، وامتنعوا بعد ذلك من البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد كان لمقتلهم ضجة استنكار من المسلمين. فهذه عائشة قد

---

(١) نهج البلاغة ٢ : ١٠٩.

(٢) أسد الغابة ٤ : ١٠١ في ترجمة عمرو بن الحمق. البداية والنهاية ٨ : ٤٨ في أحداث سنة خمسين. تاريخ دمشق ٦٩ : ٤٠ في ترجمة آمنة بنت الشريد.

أكثرت في ذلك، فقالت مرة لمعاوية لما دخل عليها: «يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه...»[1].

وفي رواية أخرى: «أما والله لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعة ما اجترأ على أن يأخذ حجراً وأصحابه من بينهم حتى يقتلهم بالشام، ولكن ابن آكلة الأكباد علم أنه قد ذهب الناس. أما والله إن كانوا...»[2].

وفي كلام آخر لها مع معاوية: «ما حملك على ما صنعت من قتل أهل عذراء حجر وأصحابه...»[3]. ولها كلام أيضاً غير هذا[4].

ولما بلغ عبد الله بن عمر قتل حجر وهو في السوق أطلق حبوته، وقام وقد غلب عليه النحيب[5].

ولما بلغ الربيع بن زياد ـ عامل معاوية ـ مقتله قال: «اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك»[6].

وقال الحسن البصري: «أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة، انتزاؤه على هذه الأمة... وقتله حجر. ويلاً له من حجر مرتين»[7].

---

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٣٢ أحداث سنة إحدى وخمسين: في مقتل حجر بن عدي.

(٢) الاستيعاب ٤ : ١٢٦ في ترجمة حجر بن عدي.

(٣) البيان والتعريف ٢ : ٧٢. فيض القدير ٤ : ١٢٦.

(٤) راجع تاريخ الطبري ٣ : ٢٣٢ أحداث سنة إحدى وخمسين: في مقتل حجر بن عدي، وتاريخ دمشق ١٢ : ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٠ في ترجمة حجر بن عدي.

(٥) الاستيعاب ١ : ٣٣٠ في ترجمة حجر بن عدي، واللفظ له. تاريخ دمشق ١٢ : ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩ في ترجمة حجر بن عدي. البداية والنهاية ٨ : ٥٥ في أحداث إحدى وخمسين: مقتل حجر بن عدي.

(٦) الاستيعاب ١ : ٣٣٠ في ترجمة حجر بن عدي، واللفظ له. تهذيب التهذيب ج : ٣ : ٢١١ في ترجمة الربيع بين زياد. تهذيب الكمال ٩ : ٧٩ في ترجمة الربيع بن زياد.

(٧) تاريخ الطبري ٣ : ٢٣٢ أحداث سنة إحدى وخمسين: في مقتل حجر بن عدي. الاستيعاب ١ : ٣٣١

←

وهناك كلمات استنكار أخرى صدرت من المسلمين عند مقتله(رضوان الله عليه)[1]. ونكتفي بالذي ذكرناه.

وفيهم ورد قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يقتل بعذراء سبعة نفر يغضب الله وأهل السماء من قتلهم...»[2].

وقد نكل بالكثير من الصحابة من أجل أن هواهم مع أهل البيت (صلوات الله عليهم)، كما لا يخفى على من نظر في تاريخ تلك الفترة السوداء.

ولما قدم معاوية المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري، وورد في الحديث عن ذلك: «فقال له معاوية: يا أبا قتادة تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار. ما منعكم؟ قال: لم يكن معنا دواب. قال معاوية: فأين النواضح؟ قال أبو قتادة: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر. قال: نعم يا أبا قتادة. قال أبو قتادة: إن رسول الله ﷺ قال لنا: إنا نرى بعده أثرة. قال معاوية: فما أمركم عند ذلك؟ قال: أمرنا بالصبر. قال: فاصبروا حتى تلقوه»[3].

← في ترجمة حجر بن عدي. الكامل في التاريخ ٣ : ٣٣٧ في أحداث سنة إحدى وخمسين: ذكر مقتل حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وأصحابهما. ينابيع المودة ٢ : ٢٧. شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٦٢.

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٣٢، ٢٣٣ أحداث سنة إحدى وخمسين: في مقتل حجر بن عدي. تاريخ دمشق ١٢ : ٢١٩، ٢٣٢، ٢٣٣ في ترجمة حجر بن عدي. البداية والنهاية ٨ : ٥٤، ٥٥ في أحداث سنة إحدى وخمسين : مقتل حجر بن عدي.

(٢) أنساب الأشراف ٥ : ٢٧٤ في أمر حجر بن عدي الكندي ومقتله، واللفظ له. تاريخ دمشق ١٢ : ٢٢٦ في ترجمة حجر بن عدي الأدبر. الجامع الصغير ٢ : ٦١ حديث:٤٧٦٥. البداية والنهاية ٦ : ٢٢٦ ما روي في إخباره عن مقتل حجر بن عدي وأصحابه، ٨ : ٥٥ في أحداث سنة إحدى وخمسين: مقتل حجر بن عدي. كنز العمال ١١ : ١٢٦ حديث:٣٠٨٨٧، ١٣ : ٥٨٧ حديث: ٣٧٥٠٩، : ٥٨٨ حديث:٣٧٥١٠. تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٣١ في أيام معاوية بن أبي سفيان بعد وفاة الحسن عليه السلام. النصائح الكافية : ٨٣. فيض القدير ٤ : ١٢٦. ومثله في الإصابة ٢ : ٣٨ في ترجمة حجر بن عدي.

(٣) الاستيعاب ٣ : ١٤٢١ في ترجمة معاوية بن أبي سفيان، واللفظ له. سير أعلام النبلاء ←

وقال ابن أبي الحديد: «قدم عبد الله بن الزبير على معاوية وافداً، فرحب به وأدناه، حتى أجلسه على سريره، ثم قال: حاجتك أبا خبيب. فسأله أشياء. ثم قال له: سل غير ما سألت. قال: نعم المهاجرون والأنصار، ترد عليهم فيئهم، وتحفظ وصية نبي الله فيهم، تقبل من محسنهم، وتتجاوز عن مسيئهم. فقال معاوية: هيهات هيهات، لا والله ما تأمن النعجة الذئب وقد أكل أليتها»[١].

إغفال الأمويين ماضي الصحابة في خدمة الإسلام

بل تعدى الأمر ذلك إلى إغفال الأمويين ماضي الصحابة في خدمة الإسلام وعدم التذكير به.

فحين حضرت وفود الأنصار باب معاوية، وخرج إليهم حاجبه سعد أبو درة، قالوا له: استأذن لنا، فدخل وقال لمعاوية: الأنصار بالباب، وكان عنده عمرو بن العاص ـ وهو الذي نال من الأنصار في أعقاب حادثة السقيفة، وانتصر لهم منه أمير المؤمنين عليه السلام حتى اضطره للخروج من المدينة، كما سبق ـ فالتفت لمعاوية حين سمع حاجبه يذكرهم باسم الأنصار ـ وهو اللقب الذي شاع لهم بين المسلمين، تبعاً للكتاب المجيد والسنة الشريفة ـ وقال له: ما هذا اللقب الذي قد جعلوه نسباً؟! اردِدهم إلى نسبهم.

← ٢ : ٤٥٣ـ٤٥٤ في ترجمة أبي قتادة الأنصاري السلمي. شعب الإيمان ٦ : ٥٦ـ٥٧ التاسع والأربعون من شعب الإيمان وهو باب في طاعة أولي الأمر بفصولها: فصل في ذكر ما ورد من التشديد في الظلم. الجامع لمعمر بن راشد ١١ : ٦٠ـ٦١ باب في فضائل الأنصار. تاريخ دمشق ٣٤ : ٢٩٥ـ٢٩٦ في ترجمة عبد الرحمن بن حسان، ٦٧ : ١٥١ في ترجمة أبي قتادة الأنصاري. تاريخ الخلفاء ١ : ٢٠١ معاوية بن أبي سفيان: فصل في نبذ من أخباره.

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ١٤١.

فقال له معاوية: إن علينا في ذلك شناعة، قال: وما في ذلك؟ إنما هي كلمة مكان كلمة، ولا مرد لها.

فقال معاوية لحاجبه: اخرج فناد: من بالباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل. فخرج الحاجب، فنادى بذلك، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الأنصار.

فقال معاوية: اخرج فناد: من كان هاهنا من الأوس والخزرج فليدخل، فخرج فنادى ذلك. فوثب النعمان بن بشير فأنشأ يقول:

يا سعد لا تعد الدعاء فما لنا ... نسب نجيب به سوى الأنصار

نسب تخيره الإله لقومنا ... أثقل به نسباً على الكفار

إن الذين ثووا ببدر منكم ... يوم القليب هم وقود النار

وقام مغضباً فانصرف. فرده معاوية وترضاه، وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من الأنصار[1].

بل ضاق مروان بن الحكم بحجر وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبر عثمان بن مظعون. وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة المنورة، فدفنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبقيع وجعل على قبره حجراً، ليعرف به، ويدفن عنده من يموت من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فلما ولي مروان بن الحكم المدينة من قبل معاوية مر على ذلك الحجر، فأمر به فرمي به، وقال: «لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به».

فأتته بنو أمية، فقالوا: بئس ما صنعت، عدت إلى حجر وضعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورميت به. بئس ما عملت به، فأمر به فليرد. قال: «أما والله إذ رميت به فلا يرد»[2].

---

(١) الأغاني ١٦ : ٥٦، واللفظ له، : ٥٠ ـ ٥١ باكورة شعر النعمان.

(٢) تاريخ المدينة ١ : ١٠١ ـ ١٠٢ فيما ذكر في مقبرة البقيع وبني سلمة والدعاء هناك.

وذكـر الزبير بن بكار أن سـليمان بن عبد الملك مـر بالمدينة ـ وهو ولي عهـد ـ فأمر أبـان بن عثمان أن يكتب له سـير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومغازيه، فقال أبان: «هي عندي قد أخذتها مصححة ممن أثق به، فأمر بنسخها وألقى فيها إلى عشرة من الكتاب، فكتبوها في رق، فلما صارت إليه نظر، فإذا فيها ذكر الأنصـار في العقبتـين، وذكر الأنصار في بـدر، فقال: ما كنـت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل. فإما أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا... ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتى أذكره لأمير المؤمنين، لعله يخالفـه. فأمر بذلـك الكتاب فخُرِّق... فرجع سـليمان بن عبد الملك فأخبر أبـاه... فقال عبد الملك: وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل؟! تعرف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها.

قال سليمان: فلذلك يا أمير المؤمنين أمرت بتخريق ما كنت نسخته... فصوب رأيه»[1].

وما موقف أهل المدينة من يزيد في خلعهم له، وموقفه منهم في واقعة الحـرة بفجائعها وبشـاعتها، إلا امتداد لموقف الآباء، ومـا بينهم من بغض مستحكم وعداء.

تشويه الإعلام الأموي للحقائق

ومـن الطريـف بعـد ذلـك أن يستطيع الإعـلام الأمـوي تشـويه الحقائق، حتى جعل الجمهور من السـنة يوالون معاوية وعمرو بن العاص وأضرابهـما، ويدافعـون عنهم، بمـلاك مـوالاة الصحابة، والدفـاع عنهم، ويـرون في موقف الشـيعة منهم وطعنهم فيهم نيلاً مـن الصحابة، وتجاوزاً عليهـم، متجاهلـين موقف الصحابـة من هؤلاء، وتقييمهـم لهم، وموقف هؤلاء من الصحابة وعداءهم لهم.

---

(١) الموفقيات: ٣٣١ ـ ٣٣٤ خبر أبان بن عثمان يكتب سير النبي (ص) ومغازيه.

موقف الصحابة من أهل البيت عليهم السلام بعد هلاك معاوية

ونعود إلى موقف الصحابة من أهل البيت(صلوات الله عليهم) بعد هلاك معاوية، فنرى جماعة منهم قد خرجوا مع الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام إلى العراق، واستشهدوا بين يديه. وفيهم نفر من الأنصار، ومنهم أنس بن مالك الكاهلي، الذي شهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدراً وحنيناً. وقد حدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن ابني هذا (يعني: الحسين) يقتل بأرض كربلاء. فمن شهد ذلك منكم فلينصره»[1].

وكان حين الواقعة شيخاً كبيراً، وقد برز شاداً وسطه بالعمامة رافعاً حاجبيه بالعصابة. ولما نظر إليه الحسين عليه السلام بهذه الهيئة بكى، وقال: «شكر الله لك يا شيخ». وقتل على كبره ثمانية عشر، وقتل(رضوان الله عليه)[2].

إلى غير ذلك من مواقف الصحابة في ولاء أهل البيت عليهم السلام ودعمهم لهم، ومباينتهم لأعدائهم ومضادتهم.

جهود الصحابة في رواية النص ومناقب أهل البيت عليهم السلام

كما أن لكثير من الصحابة اليد الطولى في رواية النص على أمير المؤمنين(عليه أفضل الصلاة والسلام)، وفي إظهاره ونشره بين المسلمين، وفي رواية مناقبه ومناقب أهل البيت(صلوات الله عليهم)، وتنبيه الأمة لذلك كله، وإلفات نظرها إليه.

وقد تقدم في جواب السؤال السابع من الأسئلة السابقة عند الكلام

---

(١) الإصابة ١ : ١٢١ في ترجمة أنس بن الحارث بن نبيه. تاريخ دمشق ١٤ : ٢٢٤ في ترجمة الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام. البداية والنهاية ٨ : ١٩٩ في أحداث سنة إحدى وستين: في صفة مقتله. ينابيع المودة ٣ : ٨.

(٢) مقتل الحسين للمقرم : ٣١٣.

في واقعة الغدير أن نفراً من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري سلموا على أمير المؤمنين بالولاية، تنبيهاً لحديث الغدير الذي يرى الشيعة أنه نص في إمامة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه). ولعل ذلك هو السبب لمناشدة أمير المؤمنين عليه السلام من شهد واقعة الغدير ـ ممن حضره حينئذٍ ـ أن يقوم فيشهد بما رأى وسمع، فاستجاب له من حضره من الصحابة، فقاموا وشهدوا إلا نفر قليل. وربما كان نتيجة ذلك انتشار حديث الغدير وتناقله والإكثار من رواية الصحابة له، كما تقدم.

جمع الإمام الحسين الصحابة لتثبيت حق أهل البيت

كما روى سليم بن قيس الهلالي (رضوان الله تعالى عليه) أن الإمام الحسين حج في أواخر عهد معاوية بن أبي سفيان، فجمع وجوه من بقي من المهاجرين والأنصار، وجماعة ممن يعرف بالصلاح والنسك من التابعين المنتشرين في أقطار الأرض، ثم قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد، فإن هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم، وإني أريد أن أسألكم عن شيء، فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني. أسألكم بحق الله عليكم، وحق رسول الله، وحق قرابتي من نبيكم، لما سيرتم مقامي هذا، ووصفتم مقالتي، ودعوتم أجمعين في أنصاركم من قبائلكم من أمنتم من الناس ووثقتم به، فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا، فإني أتخوف أن يدرَس هذا الأمر، ويذهب الحق ويُغلب. والله متمّ نوره ولو كره الكافرون».

ثم ما ترك (صلوات الله عليه) شيئاً مما أنزل الله تعالى فيهم في القرآن إلا تلاه وفسره، ولا شيئاً مما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أبيه وأخيه وأمه وفي نفسه وأهل بيته (صلوات الله عليهم) إلا رواه.

وفي كل ذلك يقول من شهد الحديث من الصحابة: «اللهم نعم، وقد سمعنا وشهدنا»، ويقول التابعي : «اللهم قد حدثني به من أصدقه وأءتمنه من الصحابة».

فقال عليه السلام : «أنشدكم الله إلا حدثتم به من تثقون به وبدينه». ثم تفرقوا على ذلك[1].

وروى جابر بن عبد الله الأنصاري حديث اللوح الذي أنزله الله تعالى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأسماء الأئمة الاثني عشر من آله (صلوات الله عليهم)[2].

بل لولا الصحابة لما وصل كثير من النصوص الدالة على إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده، وكثير من فضائله ومناقبه، وفضائل أهل البيت (صلوات الله عليهم) ومناقبهم، وكثير من مثالب أعدائهم وفضائحهم. فإنهم حدثوا بجميع ذلك، خصوصاً بعد ارتفاع الحجر عن السنة النبوية، الذي أشرنا إليه في جواب السؤال السابع من الأسئلة السابقة.

أسباب تحجير الأولين على السنة النبوية

بل من القريب أن يكون السبب في التحجير على السنة النبوية من قبل الأولين، وفي منع عمر كثيراً من أعيان الصحابة عن الخروج من المدينة، هو الحذر من روايتهم النص على أمير المؤمنين والأئمة من ولده (صلوات الله عليهم)، ونشر فضائلهم ومناقبهم في البلاد، وتنبيه المسلمين في أقطار الأرض لها، خوفاً من ردود الفعل السيئة على السلطة القائمة، وسلب الثقة بشرعيتها.

فإن السلطة كانت تدرك أن هوى كثير من الصحابة رضي الله عنهم مع أمير

---

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي : ٣٢٠ ـ ٣٢٣.

(٢) بحار الأنوار ٣٦: ٢٠١ ـ ٢٠٢.

المؤمنين (صلوات الله عليه)، وأنهم يؤمنون بالنص عليه، وبأحقيته وأحقية أهل البيت عليهم السلام بالأمر، وتعدي غيرهم عليهم، كما أشرنا إليه آنفاً.

والحاصل: أن الناظر في التاريخ والحديث بتدبر وإمعان يستوضح أن هوى كثير من الصحابة ـ بما فيهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ـ مع أمير المؤمنين وأهل بيته (صلوات الله عليهم)، قبل استيلائه على الحكم، وبعده، وبعد مقتله (عليه أفضل الصلاة والسلام).

ظهور حال كثير من الصحابة في اعترافهم بحق الإمام عليه السلام

وحيث كان ذلك منهم قد حصل مع معرفتهم بأن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يرى أنه صاحب الحق في الخلافة من اليوم الأول، ويؤكد ذلك هو وكثير ممن معه في المناسبات المختلفة، فلابد أنهم يتفقون معه، ويرونه صاحب الحق فيها، دون غيره ممن تقدم عليه. وهو راجع بالآخرة إلى إيمانهم بالنص عليه.

بيعة أمير المؤمنين عليه السلام رجوع الحق لأهله بنظر كثير من الصحابة

بل الذي يبدو للمتأمل أن بيعة أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) قد ابتنت بنظر كثير من الصحابة والناس على كونه هو الأولى بالأمر ممن تقدمه، وأن الحق قد عاد لأهله، كما يشهد بذلك كثير من كلام أمير المؤمنين وغيره. وقد سبق عن أبي جعفر الإسكافي أن الصحابة اجتمعوا بعد مقتل عثمان للتشاور في أمر الخلافة، وأنهم ذكروا فضل أمير المؤمنين عليه السلام، فمنهم من فضله على أهل عصره، ومنهم من فضله على المسلمين كلهم كافة.

ومن الظاهر رجوع القسم الثاني إلى تقديمه على الأولين، وفيه إيماء إلى كونه أولى منهم بالأمر.

كما سبق في جواب السؤال الثالث في جملة كلمات أمير المؤمنين عليه السلام

في أمر الخلافة قوله في أول خطبة خطبها بعد بيعة الناس له: «والتوبة من ورائكم. قد كانت [لكم] أمور [ملتم علي فيها ميلة] لم تكونوا عندي فيها محمودين ولا مصيبين...».

وتقدم عن حذيفة أنه قال حينما بلغه استنفار أمير المؤمنين عليه السلام الناس لنصرته على أهل البصرة: «إن الحسن وعماراً قدما يستنفرانكم. فمن أحب أن يلقى أمير المؤمنين حقاً حقاً فليأت علي بن أبي طالب»(١).

وقد روى اليعقوبي في تاريخه عند ذكر بيعة أمير المؤمنين عليه السلام أن قوماً من الأنصار تكلموا، وكان أول من تكلم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، وكان خطيب الأنصار فقال: «والله يا أمير المؤمنين لئن كانوا تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين. ولئن كانوا سبقوك أمس فقد لحقتهم اليوم. ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك ولا يجهل مكانك. يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك»(٢).

وقد روى الحاكم النيسابوري أن خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين أنشد حين البيعة أمام المنبر:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا ... أبو حسن مما نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس إنه ... أطب قريش بالكتاب و بالسنن
وإن قريشاً ما تشق غباره ... إذا ما جرى يوماً على الضمر البدن
و فيه الذي فيهم من الخير كله ... و ما فيهم كل الذي فيه من حسن(٣)

---

(١) أنساب الأشراف ٢ : ٣٦٦ وأما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٩ في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٢٤ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه مما لم يخرجاه : ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واللفظ له. الإصابة ٢ : ٢٧٨ في ترجمة خزيمة بن ثابت بن الفاكه.

ومن الظاهر أن أمير المؤمنين عليه السلام لم ينافسه أحد من قريش حين البيعة، فذكر خزيمة بن ثابت في هذه الأبيات لقريش لابد أن يكون تعريضاً بمن تقدم منهم عليه عليه السلام. بل مضمون الأبيات ظاهر في تقدمه عليه السلام على جميع قريش بما فيهم من تقدمه في الحكم.

وأظهر في ذلك بقية الأبيات التي رواها السيد المرتضى قدس سره وهي:

وصي رسول الله من دون أهله ... وفارسه قد كان في سالف الزمن

وأول من صلى من الناس كلهم ... سوى خيرة النسوان والله ذو المنن

وصاحب كبش القوم في كل وقعة ... يكون لها نفس الشجاع لدى الذقن

فذاك الذي تثنى الخناصر باسمه ... امامهم حتى أغيب في الكفن[1]

وفي حديث الحسن بن سلمة قال: «لما بلغ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مسير طلحة والزبير وعائشة من مكة إلى البصرة نادى الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قلنا: نحن أهل بيته، وعصبته، وورثته، وأولياؤه، وأحق خلائق الله به، لا ننازع حقه وسلطانه، فبينما نحن على ذلك إذ نفر المنافقون، فانتزعوا سلطان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم منا، وولوه غيرنا، فبكت لذلك والله العيون والقلوب منا جميعاً، وخشنت والله الصدور... وقد ولي ذلك ولاة ومضوا لسبيلهم، ورد الله الأمر إليّ. وقد بايعني هذان الرجلان طلحة والزبير فيمن بايعني، وقد نهضا إلى البصرة، ليفرقا جماعتكم، ويلقيا بأسكم بينكم. اللهم فخذهما بغشهما لهذه الأمة وسوء نظرهما للعامة.

فقام أبو الهيثم بن التيهان رحمه الله، وقال: يا أمير المؤمنين إن حسد قريش

---

(١) الفصول المختارة: ٢٦٧.

إياك على وجهين، أما خيارهم فحسدوك منافسة في الفضل، وارتفاعاً في الدرجة. وأما أشرارهم فحسدوك حسداً أحبط الله به أعمالهم، وأثقل به أوزارهم. وما رضوا أن يساووك حتى أرادوا أن يتقدموك، فبعدت عليهم الغاية، وأسقطهم المضمار، وكنت أحق قريش بقريش...»، ثم أنشد أبياتاً نذكر منها:

إن قوماً بغوا عليك وكادوك ... وعابوك بالأمور القباح

ليس من عيبها جناح بعوض ... فيك حقاً ولا كعشر جناح

أبصروا نعمة عليك من اللـ ... ـه وقرماً يدق قرن النطاح

وإماماً تأوى الأمور إليه ... ولجاماً يلين غرب الجماح

حاكماً تجمع الإمامة فيه ... هاشمياً له عراض البطاح

يا وصي النبي نحن من الحـ ... ـق على مثل بهجة الإصباح[1]

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام وتعقيب ابن التيهان عليه كما ترى شاهد على ما ذكرنا.

ولابن التيهان أبيات أخرى تشير لما ذكرنا يقول فيها:

قل للزبير وقل لطلحة إننا ... نحن الذين شعارنا الأنصار

نحن الذين رأت قريش فعلنا ... يوم القليب أولئك الكفار

كنا شعار نبينا ودثاره ... يفديه منا الروح والأبصار

إن الوصي إمامنا ولينا ... برح الخفاء وباحت الأسرار[2]

وقال عبد الرحمن بن جعيل حين بويع أمير المؤمنين:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة ... على الدين معروف العفاف موفقاً

علياً وصي المصطفى وابن عمه ... وأول من صلى أخا الدين والتقى[3]

---

(١) أمالي الشيخ المفيد: ١٥٤ ـ ١٥٦.

(٢)، (٣) شرح نهج البلاغة ١: ١٤٣ ـ ١٤٤.

فإن النعوت التي نعت بها أمير المؤمنين عليه السلام تناسب تقدمه على غيره حتى الأولين.

وفي حديث لشريح بن هاني مع عمرو بن العاص حينما أرسله أمير المؤمنين عليه السلام بنصيحة له قال شريح: «فابلغته ذلك يوم لقيتة، فتمعر وجه عمرو، وقال: متى كنت أقبل مشورة علي أو أنيب إلى أمره، وأعتد برأيه؟!

فقلت: وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم (صلى الله عليه) مشورته. لقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه.

فقال: إن مثلي لا يكلم مثلك. فقلت: بأي أبويك ترغب عن كلامي، بأبيك الوشيظ، أم بأمك النابغة؟! فقام من مكانه...»[1].

تأكيد الصحابة على أن أمير المؤمنين عليه السلام وصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم

بل في تأكيدهم وتأكيد كثير من الصحابة ـ يزيدون على عشرين، كما قيل ـ والتابعين في عهد أمير المؤمنين عليه السلام في أشعارهم وخطبهم وأحاديثهم في المناسبات المختلفة على وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام تذكير بالنص وتأكيد عليه، لأن المراد بها وصية النبوة، وهي قيامه مقامه في أمته، كسائر أوصياء الأنبياء، فإن ذلك هو الظاهر منها في الأحاديث الكثيرة الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[2]، دون الوصية بالأمور الشخصية الخاصة، وإن كانت هي شاملة لها أيضاً.

---

(١) وقعة صفين: ٥٤٣، واللفظ له. ينابيع المودة ٢ : ٢٣.

(٢) فتح الباري ٨ : ١٥٠. مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٧ كتاب الفتن أعاذنا الله منها: باب فيما كان في الجمل وصفين وغيرهما، ٨ : ٢٥٣ كتاب علامات النبوة: باب عظم قدره صلى الله عليه وآله وسلم، ٩ : ١٦٥ كتاب المناقب: باب في فضل أهل البيت عليهم السلام. المعجم الكبير ٣ : ٥٧ بقية أخبار الحسن بن علي عليهما السلام، ٤ : ١٧١ فيما رواه عباية بن ربعي الأسدي عن أبي أيوب، ٦ : ٢٢١ فيما رواه أبو سعيد عن

←

استفزاز دعوى الوصية بعض من تبنى خلافة الأولين

ولذا استفزت دعوى الوصية له عليه السلام بعض من تبنى خلافة الأولين، وأنكروها. فعن الأسود، قال: «ذكر عند عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى علي، فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست، فانخنث فمات، فما شعرت. فكيف أوصى إلى علي؟!»[1].

ويأتي في جواب السؤال الثامن عند الكلام في صحاح الجمهور الكلام حول هذا الحديث إن شاء الله تعالى.

وفي حديث طلحة بن مصرف: «سألت عبد الله بن أبي أوفى: أوصى النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: لا. فقلت: كيف كتب على الناس الوصية، أمروا بها ولم يوص؟ قال: أوصى بكتاب الله»[2].

← سلمان رضي الله عنه. المعجم الأوسط ٦ : ٣٢٧. فضائل الصحابة ٢ : ٦١٥. الفردوس بمأثور الخطاب ٣ : ٣٣٦. كنز العمال ١١ : ٦٠٥ حديث: ٣٢٩٢٣. الكامل في ضعفاء الرجال ٤ : ١٤ في ترجمة شريك بن عبد الله بن الحارث. الموضوعات ١ : ٣٦٩، ٣٧٤. تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٩٢، ١٣٠ في ترجمة علي بن أبي طالب. شرح نهج البلاغة ١٣ : ٢١٠. المناقب للخوارزمي : ١٤٧، ٨٥. ينابيع المودة ١ : ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤١، ٢ : ٧٩، ١٦٣، ٢٣٢، ٢٦٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣ : ٢٦٤، ٢٩١، ٣٨٤. وغيرها من المصادر.

(١) صحيح البخاري ٤ : ١٦١٩ كتاب المغازي: باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته وقول الله تعالى: [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ]، واللفظ له. صحيح مسلم ٣ : ١٢٥٧ كتاب الوصية: باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه. مسند أحمد ٦ : ٣٢ في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها. وغيرها من المصادر.

(٢) صحيح البخاري ٤ : ١٩١٨ كتاب فضائل القرآن: باب الوصية بكتاب الله عز وجل، واللفظ له، ٣ : ١٠٠٦ كتاب الوصايا: باب الوصايا، ٤ : ١٦١٩ كتاب المغازي: باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته وقول الله تعالى [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ]. السنن الكبرى للبيهقي ٦ : ٢٦٦ كتاب الوصايا: باب من قال بنسخ الوصية للأقربين الذين لا يرثون وجوازها للأجنبيين. مسند أبي عوانة ٣ : ٤٧٥ مبتدأ كتاب الوصايا: بيان الخبر المبين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص شيئاً إلى أحد والدليل على أنه لم يوص في المال لأنه لم يترك شيئاً من الأموال ميراثاً وبيان الخبر المبين أنه أوصى بما وجب عليه. وغيرها من المصادر الكثيرة.

وفي حديث مالك بن معول عن طلحة قال: «قلت لعبد الله بن أبي أوفى أوصى رسول الله ﷺ قال: لا. قلت: فكيف كتب على الناس الوصية ولم يوص؟! قال: أوصى بالقرآن. فقال له هزيل بن شرحبيل: أبو بكر يتأمر على خليفة رسول الله ﷺ!! لود أبو بكر أنه وجد عهداً من رسول الله ﷺ وأنه خزم أنفه خزام»(١).

ويقول ابن كثير بانفعال وعصبية ظاهرة: «وأما ما يفتريه كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء، من أنه أوصى إلى علي بالخلافة، فكذب وبهت وافتراء عظيم، يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة، وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته... وما قد يقصه بعض القصاص من العوام وغيرهم في الأسواق وغيرها من الوصية لعلي في الآداب والأخلاق... كل ذلك من الهذيانات، فلا أصل لشيء منه. بل هو اختلاق بعض السفلة الجهلة، ولا يعول على ذلك، ولا يغتر به إلا غبي عيي»(٢).

والحاصل: أن شيوع الحديث عن الوصية بعد بيعة الناس لأمير

---

(١) مسند أبي عوانة ٣ : ٤٧٦، واللفظ له، : ٤٧٥ مبتدأ كتاب الوصية: بيان الخبر المبين أن النبي ﷺ لم يوص شيئاً إلى أحد والدليل على أنه لم يوص في المال لأنه لم يترك شيئاً من الأموال ميراثاً وبيان الخبر المبين أنه أوصى بما وجب عليه. سنن الدارمي ٢ : ٤٩٦ ومن كتاب الوصايا: باب من لم يوص. مسند البزار ٨ : ٢٩٧ ـ ٢٩٨ فيما رواه عبدالله بن أبي أوفى. فتح الباري ٥ : ٣٦١. البداية والنهاية ٥ : ٢٥١ في فصل لم يعنونه بعد قصة سقيفة بني ساعدة. حلية الأولياء ٥ : ٢١ في ترجمة طلحة بن المصرف. الرياض النضرة ٢ : ١٩٧ الفصل الثالث عشر في ذكر خلافته وما يتعلق بها من الصحابة: ذكر أنه ﷺ لم يعهد في الخلافة بعهد ولم ينص فيها على أحد بعينه. تاريخ الخلفاء ١ : ٧ فصل في بيان كونه ﷺ لم يستخلف وسر ذلك. الفائق في غريب الحديث ٤ : ٤٢ في مادة وثب. النهاية في غريب الحديث ٢ : ٢٩ في مادة خزم، ٥ : ١٤٩ في مادة وثب. لسان العرب في مادة وثب، ومادة خزم. غريب الحديث لابن سلام ٣ : ٢١٢ ـ ٢١٣ في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) البداية والنهاية ٧ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦ في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

المؤمنين عليه السلام، وتأكيد جماعة كبيرة من الصحابة وغيرهم لها، ظاهر في الاعتراف بالنص والإذعان به.

غاية الأمر أن الصحابة قد غلبوا على أمرهم مدة من الزمن، فاستسلموا للأمر الواقع. وهو أمر آخر غير تجاهلهم للنص.

شكوى أهل البيت عليهم السلام كانت من قريش، لا من الصحابة

ولذا لم يعرف من أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته (صلوات الله عليهم) الشكوى من الصحابة عموماً، وإنما أكثروا الشكوى من قريش ومن تبعهم خاصة، كما يظهر مما سبق وغيره مما لم يتيسر لنا ذكره.

بل أغلب من تعرض لأحداث السقيفة وما بعدها إنما نسب الموقف المضاد لأهل البيت عليهم السلام لقريش، لا للمسلمين عموماً، ولا للصحابة، حتى مثل عمر وعثمان في كلماتهما المتقدمة في جواب السؤال الثالث من هذه الأسئلة.

نعم، قد ينسبه للمسلمين أو للصحابة من يحاول إضفاء الشرعية عليه، كما في كلام أبي بكر مع العباس المتقدم هنا، وكتابي معاوية للإمام الحسن عليه السلام المتقدمين في جواب السؤال الثالث.

فوز كثير من الصحابة بالمقام الرفيع

وبذلك فاز كثير من الصحابة رضي الله عنهم الذين بقوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمقام الرفيع، والمنزلة السامية، والفضل الكبير، والأجر العظيم. كما فاز بجميع ذلك قبلهم من الصحابة من صدقوا في نصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واهتدوا بهديه، ومضوا على منهاجه في حياته ـ قبل أن يحدث الخلاف والشقاق بين المسلمين ـ من أعلام المهاجرين والأنصار، وذوي الأثر المحمود في الإسلام.

ثناء الأئمة عليهم السلام على الصحابة

وقد عرف الأئمة عليهم السلام لكثير من الصحابة ذلك، وشكروه لهم، وأثنوا عليهم، ونوهوا بهم وبجهادهم وجهودهم.

فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: «ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً، ومضياً على اللقم، وصبراً على مضض الألم، وجداً في جهاد العدو. ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما، أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا. فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر»[(١)].

وقال (صلوات الله عليه) في خطبة له: «لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فما أرى أحداً يشبههم. لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم. إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاء الثواب»[(٢)].

ولما تكلم عمرو بن العاص على الأنصار، ونال منهم في أعقاب السقيفة بكلامه المتقدم، ونظم شعراً في ذمهم،وحاول جماعة من سفهاء قريش ـ من مسلمة الفتح ونحوهم ـ تشجيعه على ذلك، فعاد للكلام فيهم، استنكر أمير المؤمنين عليه السلام عليه ذلك، ولزم جانب الأنصار، وتكلم

---

(١) نهج البلاغة ١ : ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) نهج البلاغة ١ : ١٨٩ ـ ١٩٠، واللفظ له. كنز العمال ١٦ : ٢٠٠ حديث: ٤٤٢٢٢. صفوة الصفوة ١ : ٣٣١ ـ ٣٣٢ في ترجمة أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كلمات منتخبة من كلامه ومواعظه عليه السلام. تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٩٢ في ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

مغضباً فقال: «يا معشر قريش إن حب الأنصار إيمان، وبغضهم نفاق، وقد قضوا ما عليهم وبقي ما عليكم...» في كلام طويل. وطلب من الفضل بن العباس أن ينصر الأنصار بشعره، فنظم أبياتاً في ذلك.

فمشت قريش عند ذلك إلى عمرو بن العاص، فقالوا: «أيها الرجل أما إذا غضب عليّ فاكفف».

ثم أعاد أمير المؤمنين عليه السلام الكرة، وأثنى على الأنصار، وندد بمن نال منهم، وصدقه المسلمون، حتى خرج عمرو بن العاص من المدينة، ولم يرجع حتى رضي عنه أمير المؤمنين عليه السلام والمهاجرون[1].

وقال عليه السلام عن الأنصار في كلام آخر له: «هم والله ربوا الإسلام كما يربى الفلو. مع غنائهم بأيديهم السباط، وألسنتهم السلاط»[2].

وروى زرارة عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «ما سلت السيوف، ولا أقيمت الصفوف، في صلاة ولا زحوف، ولا جهر بأذان ولا أنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حتى أسلم أبناء القيلة [قيلة.ظ] الأوس والخزرج»[3]... إلى غير ذلك مما ورد عنهم عليهم السلام في حق الصحابة.

كما أن الإمام أبا محمد علي بن الحسين السجاد زين العابدين (صلوات الله عليه) قد خصّ صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفقرات كثيرة في دعائه الرابع من أدعية الصحيفة السجادية في الصلاة على أتباع الرسل ومصدقيهم.

قال فيه: «اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحابة، والذين أبلو البلاء الحسن في نصره، واستجابوا له، حيث أسمعهم حجة

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦ : ٢٩ ـ ٣٦.

(٢) نهج البلاغة ٤ : ١٠٦.

(٣) بحار الأنوار ٢٢ : ٣١٢.

رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، وانتصروا به، ومن كانوا منوطين على محبته، يرجون تجارة لن تبور في مودته...». إلى آخر ما ذكره (صلوات الله عليه) في دعائه لهم[١].

موالاة من ثبت على الحق من الصحابة من فرائض الدين

بل قد عدّ الأئمة (صلوات الله عليهم) موالاة من ثبت على الحق من الصحابة من فرائض الدين، وشرايع الإسلام، التي يجب القيام بها.

ففي حديث الأعمش عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق (صلوات الله عليه) في بيان شرائع الدين، قال عليه السلام: «وحب أولياء الله والولاية لهم واجبة، والبراءة من أعدائهم واجبة، ومن الذين ظلموا آل محمد عليهم السلام، وهتكوا حجابه... وأسسوا الظلم وغيروا سنة رسول الله... والبراءة من الأنصاب والأزلام، أئمة الضلال، وقادة الجور كلهم أولهم وآخرهم، واجبة... والبراءة من جميع قتلة أهل البيت عليهم السلام واجبة. والولاية للمؤمنين الذين لم يغيروا ولم يبدلوا بعد نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم واجبة. مثل سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمار بن ياسر، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وحذيفة بن اليمان، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وأبي أيوب الأنصاري، وعبدالله بن الصامت، وعبادة بن الصامت، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي سعيد الخدري، ومن نحا نحوهم، وفعل مثل فعلهم. والولاية لأتباعهم والمقتدين بهم وبهداهم واجبة»[٢].

---

(١) تجده أيضاً في ينابيع المودة ٣: ٤٢٨، ٤٢٩.

(٢) الخصال: ٦٠٧ ـ ٦٠٨ باب الواحد إلى المائة: خصال من شرائع الدين.

وقد سأل المأمون العباسي الإمام أبا الحسن علي بن موسى الرضا (صلوات الله عليه) أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار، فكتب عليه السلام له: «إن محض الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله...»، ثم كتب أصول الإسلام وفروعه، وجاء في جملة ذلك في بيان الواجبات في شريعة الإسلام:

«والبراءة من الذين ظلموا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهموا بإخراجهم، وسنوا ظلمهم، وغيروا سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم... والولاية لأمير المؤمنين عليه السلام، والذين مضوا على منهاج نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يغيروا ولم يبدلوا. مثل سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وحذيفة اليماني، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وعبادة بن الصامت، وأبي أيوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي سعيد الخدري، وأمثالهم (رضي الله عنهم، ورحمة الله عليهم)، والولاية لأتباعهم وأشياعهم، والمهتدين بهداهم، والسالكين منهاجهم (رضوان الله عليهم)»[1].

وقد عرف لهم شيعة أهل البيت ذلك، فوالوهم كما قال أئمتهم (صلوات الله عليهم)، أداء لحقهم، وبخوعاً لأمر الله تعالى وأمر رسول الله وأوصيائه (صلوات الله عليهم) فيهم.

فقد قال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

---

(١) عيون أخبار الرضا ١: ١٢٩ـ١٣٤ باب ماكتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين.

(٢) سورة الحشر الآية: ١٠.

وقد تقدم عن الأئمةعليهم السلام ما يكفي في ذلك.

كما قد تقدم في أواخر الجواب عن السؤال الثاني من الأسئلة السابقة أن من تمام الدين الحب في الله تعالى والبغض في الله، وموالاة أولياء الله، والبراءة من أعداء الله ومعاداتهم، وأن الأحاديث في ذلك كثيرة جداً، ذكرنا هناك بعضاً منها.

خلاصة ما سبق

وبذلك كله ظهر جلياً ما سبق من أن النص على أمير المؤمنينعليه السلام لو كان موجوداً ـ كما تقول الشيعة ـ فالذين ردوه جماعة قليلة من المهاجرين والأنصار قادت الانقلاب على أمير المؤمنينعليه السلام، وتبعهم كثير من ضعاف الدين من مسلمة الفتح ونحوهم ممن دخل الإسلام رهبة أو رغبة في الدنيا. أما باقي المهاجرين والأنصار فلا يتضح منهم ذلك. بل الذي يظهر من كثير منهم الإذعان بالنص.

وهم وإن فرطوا في نصرة أمير المؤمنينعليه السلام في أول الأمر ـ عدا القليل منهم ـ إلا أنهم قد رجعوا إليه بعد ذلك، ولزموا جانبه، وقاتلوا معه، وشدوا أزره. فشكر الله تعالى سعيهم، وغفر ذنبهم، وأجزل ثوابهم، إنه قابل التوبة، شكور غفور.

وفي ختام حديثنا هذا نود التنبيه على أمرين قد يغفل عنهما:

يكفي الشك في اعراض الصحابة عن النص

الأول: ان الذي يبدو من السؤال المفروغية عن تبني الجمهور الأعظم من الصحابة لما حصل في السقيفة وعن إعراضهم عن أمير المؤمنين(صلوات الله عليه). وكأن ذلك من الوضوح بحد لايحتاج معه إلى إثبات ومن ثَمَّ استنكر السائل النص على أمير المؤمنينعليه السلام لاستبعاد

تجاهلهم له لو كان موجوداً.

لكن طبيعة الاستدلال تقتضي بأن تبني الجمهور الأعظم من الصحابة لما حصل هو الأمر المحتاج للإثبات، ويكفي في عدم صحة الاستدلال التشكيك فيه. ومن ثَمَّ لا يتوقف رد الاستدلال المذكور على إثبات صحة الأحداث والشواهد التي ذكرناها في الجواب وتمامية سندها، بل يكفي احتماله صحتها، أو صحة بعضها.

على أنها من الكثرة والتعاضد بحيث يعلم بحصول كثير منها، ولا يشك الناظر فيها في عدم تبنيهم لما حصل وعدم إعراضهم عن أمير المؤمنين وعن النص عليه لو كان وارداً.

إذعان الصحابة للنص شرف لهم

الثاني: أن الناظر في حديثنا السابق قد يحسب بدواً أنا نحاول تأييد النص والدفاع عنه من طريق بيان إذعان كثير من الصحابة به وعدم تجاهلهم له، وبيان فضل أمير المؤمنين عليه السلام ورفيع مقامه من طريق بيان ولاء الصحابة المذكورين له، ولزومهم جانبه، وحروبهم معه.

لكن وضوح النص وجلاءه، وبداهة رفعة مقام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، وكونه علماً للحق، وفارقاً بينه وبين الباطل، كل ذلك يجعلهما في غنى عن التأييد والاستظهار بغيرهما. كما قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة»[1]. بل يبقى (صلوات الله عليه) وسام شرف لمن ائتم به، وأذعن بالنص عليه، وشايعه، وجاهد في سبيل دعوته.

---

(١) نهج البلاغة ٣ : ٦٢. الإمامة والسياسة ١ : ٥١ خروج علي من المدينة. الأغاني ١٦ : ٢٩٠ رسائل بين علي وأخيه عقيل.

ومـن ثم يكـون حديثنـا السـابق في حقيقتـه بيانـاً لفضـل الصحابة المذكوريـن، ودفاعاً عنهم، وتنزيهاً لهم عما قد يوصمون به ـ نتيجة الإعلام المضاد ـ من النكوص على الأعقاب والزيغ عن الحق وأهله.

هذا هو التفسـير الصحيح لما حصل. وعليه جرى السـلف الصالـح لشيعة أهل البيت عليهم السلام، ففي حديث عبد الرحمن بن الحجاج، قال: «كنا في مجلس أبان بن تغلب، فجاءه شاب، فقال: يا أبا سعيد أخبرني كم شهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله؟

قـال: فقـال له أبـان: كأنك تريـد أن تعرف فضل عليّ بمـن تبعه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قـال: فقـال الرجـل: هـو ذلـك. فقـال: والله مـا عرفنـا فضلهم إلا باتباعهم إياه...»[1].

ويشـبهه في ذلك حديث عبد الله بـن أحمد بن حنبل، قال: «كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم، فجاءت طائفة من الكرخيين، فذكروا خلافة أبي بكر، وخلافة عمر بن الخطاب، وخلافة عثمان بن عفان، فأكثروا، وذكروا خلافة علي بن أبي طالب، وزادوا فأطالوا.

فرفع أبي رأسـه إليهم، فقال: يا هؤلاء، قـد أكثرتم في علي والخلافة، والخلافة وعلي. إن الخلافة لم تزين علياً، بل علي زينها»[2].

---

(١) معجم رجال الحديث ١ : ١٣٣ في ترجمة أبان بن تغلب.

(٢) تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٤٦ في ترجمة علي بن أبي طالب. تاريخ بغداد ١ : ١٣٥ في ترجمة علي بن أبي طالب. المنتظم ٥ : ٦٢ أحداث سنة خمس وثلاثين: ومن الحوادث في هذه السنة أعني سنة خمس وثلاثين من الهجرة خلافة علي عليه السلام.

الكلام في آية: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس...﴾

بقي الكلام في الآية الشريفة، وهي قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١). وكأنك تدعي أن المراد بها هم الصحابة، من أجل أن تبعد عنهم احتمال الجهل بالنص، والتعامي عنه. وما ندري كيف تقول ذلك؟!

فإن اللغويين وإن ذكروا للأمة معاني مختلفة، إلا أن أظهرها وأجمعها ما في مفردات الراغب، قال: «والأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما، إما: دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد»(٢). والمناسب للمقام أن يراد بها هي أمة الإسلام عموماً.

وإنما صارت خير أمة لأنها خاتمة الأمم، ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء وأشرفهم، ودينها خاتم الأديان وأفضلها، وشريعتها خاتمة الشرايع وأكملها. ولأن هذه الأمة مهما شذت واختلفت فإنها لم تكفر بالله تعالى ولم تشرك به، كما أشرك اليهود حين عبدوا العجل، وحين ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(٣).

وكما كفر النصارى حين ﴿قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾(٤)، وأشركوا حين ﴿قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ﴾(٥)... إلى غير ذلك مما فضلت به هذه الأمة على الأمم.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١١٠.

(٢) مفردات غريب القرآن: ٢٣ في مادة (أم).

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٤) سورة المائدة الآية:٧٢.

(٥) سورة المائدة الآية:٧٣.

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد قال له بعض اليهود: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه! فقال عليه السلام له: «إنما اختلفنا عنه، لا فيه. ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم: **اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**»(١).

أما الصحابة فهم كسائر أفراد هذه الأمة، فيهم الصالح والطالح، والحافظ لعهد الله تعالى والناكث له، كما تقدم الحديث عن ذلك مفصلاً في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة.

ولو فرض أنه لم يكن المراد منها أمة الإسلام عموماً، بل خصوص من حضر منها الخطاب، حين نزول الآية الشريفة، فهم لا يختصون بالصحابة، بل هم كل المسلمين الموجودين حين نزول الآية، وإن لم يصحبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعدهم عنه. ومن الظاهر أنهم ليسوا منزهين عن الزيغ، ولا يؤمن عليهم. فلابد من حمل الآية على بعضهم.

على أنه لو سلم جدلاً أن المراد بالآية الشريفة خصوص الصحابة، بمعنى: من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمع حديثه، فإن كان المدعى أنهم كلهم خير لا شر فيه.

فيدفعه.. **أولاً**: أن الآية الشريفة لا تقتضي ذلك، لأنه يكفي في التفضيل زيادة نسبة الخير في الأفضل، ولا يتوقف على خلوّ الأفضل من الشر.

وثانياً: أن ذلك لا يناسب حال الصحابة، كما سبق في جواب السؤال المذكور. بل هو أمر لا يقول به حتى السنة، فإنهم لا ينزهون الصحابة عن الشر، ولا يرون عصمتهم، غاية الأمر أن يقولوا، أو يقول بعضهم، بعدالتهم، وهي تجتمع مع صدور الشر منهم.

---

(١) نهج البلاغة ٤ : ٧٥.

وإن كان المدعى أنهم خير نسبياً بأن تكون نسبة الخير فيهم أكثر من نسبة الخير في غيرهم. فهو لا ينافي إعراضهم عن النص على أمير المؤمنين عليه السلام ـ لو كان موجوداً، كما تقول الشيعة ـ لأنه لا يبلغ حدّ الكفر بالله تعالى والشرك به، الذي صدر من أصحاب الأنبياء السابقين وأممهم. وربما كان الثابتون على الحق من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر نسبة من الثابتين عليه من أصحاب الأنبياء السابقين وأممهم. وهذا كافٍ في كون صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيراً من أولئك نسبياً.

وعلى كل حال فالآية الكريمة أجنبية عما نحن فيه، ولا تنفع في إثبات المدعى، من أجل استبعاد وجود النص على أمير المؤمنين عليه السلام. بل لابد من النظر في النص، وبذل الجهد في الفحص عنه، وتحقيق سنده ودلالته، خروجاً عن تبعة مخالفته لو كان موجوداً، لعظم المسؤولية وخطورة التبعة. مع خلوص النية، والبعد عن اللجاجة والمراء، واللجأ إلى الله تعالى في التوفيق والتسديد، فإن الأمر بيده، كما قال عز من قائل: ﴿**وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[1].

وقال عزوجل: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2]. والله سبحانه وتعالى الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) سورة النحل الآية:٩.

(٢) سورة العنكبوت الآية:٦٩.

❑ س٥ يقول البعض أن الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر المؤلم من يوم هدم الخلافة الإسلامية إلى يومنا هذا ـ سنة وشيعة ـ يتوجب عليهم تنصيب رجل يقوم بأعباء الأمة وحاجاتها وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية السمحة. خصوصاً أن أهل السنة اليوم لا يتمثلهم خليفة. وكذلك أنتم في زمن الغيبة، حيث أن الشيعة من زمن الغيبة لا يختلفون عن أهل السنة في احتياجهم إلى شخص يقوم بأعباء الأمة، فما رأيكم في ذلك؟.

ج: لا ريب في أن وضع المسلمين اليوم مدعاة للحسرة والألم، بحدّ يبلغ المأساة والفجيعة. إلا أن وجوب نصب رجل عليهم يقوم بأعباء الأمة وحاجاتها وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية ـ كما تضمنه السؤال ـ يتوقف على أمرين..

لابد من تحديد من له أهلية المنصب شرعاً

الأول: تحديد من هو أهل لهذا المنصب العظيم بمقتضى الشريعة الإسلامية، وإلا فالاختيار الكيفي من دون تقيد بالميزان الشرعي..

أولاً: لا يتأدى به الواجب، والخروج عن العهدة مع الله تعالى. بل يتحمل الذين يزاولونه مسؤولية التسليط غير المشروع على دماء المسلمين،

وأموالهم، وأعراضهم، ومصالحهم، ويتحملون تبعة الأخطاء التي تنجم عن ذلك، لتسبيبهم إليها بذلك التسليط.

وثانياً: لا يكتسب به الشخص الذي يختار للمنصب القدسية والولاء الديني الذي يحمل أفراد المسلمين على طاعته، التي يتوقف عليها قيامه بمهمته، وأداؤه لوظيفته.

ومن هنا لابد من بحث المسألة فقهياً في مذاهب المسلمين المختلفة، التي ارتضوها لأنفسهم. فإن أمكن الخروج برأي موحد، يتم العمل عليه منهم جميعاً، فذاك. وإلا كان على كل منهم أن يعمل بوظيفته التي أدى إليه اجتهاده ويرى العمل عليها مبرئاً للذمة، ورافعاً للمسؤولية بينه وبين الله عز وجل.

وهو أمر لا مجال للحديث فيه هنا في هذه العجالة، وبهذه البساطة. بل لابد من إيكاله لأهل الاختصاص، ليبحثوه فقهياً بعمق وتثبت، يناسب أهمية الموضوع، وخطورته، وتعقده.

لابد من ملاءمة الظروف الحاضرة لتنفيذ هذا المشروع

الثاني: إحراز إمكان تطبيق ذلك بالنظر لأوضاع المسلمين القائمة، وظروفهم الحاضرة، وما يحيط بهم من ملابسات، بما في ذلك الأوضاع العالمية المعاصرة. فإن الإقدام على مثل هذا الأمر الخطير في غير وقته قد ينجم عنه مضاعفات وسلبيات تزيد في تدهور المسلمين وسوء حالهم. فلابد من مزيد من التروي والتثبت، ومراعاة مقتضيات الحكمة. والحذر ثم الحذر من الاندفاع العاطفي غير المدروس في مثل هذا الأمر الخطير.

وظيفة المسلمين الحاضرة عند تعذر تنفيذ هذا المشروع

وإذا لم يتسن لنا في الأوضاع القائمة والظروف الحاضرة تنفيذ ذلك، فلا أقل من أن نتوجه إلى أمرين مهمين يتعلقان به، ويتيسر لكل أحد أن

يؤدي وظيفته فيهما، ويخرج عن المسؤولية إزاءهما:

أحدهما: أن من أعظم مصائب المسلمين، وأعقد العقبات التي تقف دون تنفيذ هذا الأمر، هو تشرذم المسلمين، واختلافهم، وانشقاقهم على أنفسهم، إما بسبب الاختلاف المذهبي، أو بسبب الاختلاف السياسي، نتيجة انتماء كل بقعة إسلامية إلى حكومة تسيطر عليها، ويكون مصير شعبها منوطاً باختياراتها، وخاضعاً لحساباتها.

وإن هذا التشرذم والاختلاف من أهم الأهداف التي يحاول أعداء الإسلام استغلالها وتغذيتها، من أجل إضعاف المسلمين، وتفريق كلماتهم، وتشتيت جماعتهم. فهم دائماً يحاولون زرع الفتن فيهم، وتأجيج نار العداوة والبغضاء بينهم، مستغلين بذلك مرضى القلوب، وضعاف النفوس، والمشبوهين، والسذج، والهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق.

اللازم العمل لتخفيف حدة الخلاف المذهبي

وإذا كان أفراد المسلمين فعلاً مكتوفي اليد أمام الاختلاف السياسي المذكور، فإنهم يستطيعون نسبياً العمل لتخفيف حدة الخلاف المذهبي. وقد تقدم منا في جواب السؤال التاسع من الأسئلة السابقة الحديث حول هذا الموضوع، وبيان وجهة نظرنا فيه، فيحسن مراجعة ذلك بإمعان، والتدبر فيه بروية وموضوعية كاملة.

فإن ذلك بنفسه مكسب عظيم للمسلمين، حتى لو لم يترتب عليه بالآخرة جمعهم تحت حكم شخص واحد يقوم بأعباء الأمة، وإدارة أمرها وفق الشريعة الإسلامية.

بل حتى لو لم يتم على الصعيد العام المستوعب لجميع المسلمين، فإن حصوله بنحو فردي ـ مهما كان ضيقاً ـ مغنم مهم لا ينبغي الاستهوان به والتهاون فيه.

ومـن هنا كان الـلازم على كل فرد من المسـلمين، غيور عليهم وعلى الإسلام، ويهمه خيرهم وصلاحهم، وخيره وصلاحه، السعي له بما يسعه ويقدر عليه. فإن الميسور لا يسقط بالمعسور، وما لا يدرك كله لا يترك كله.

اللازم الرجوع إلى مبدأ المأساة والبحث عن أسبابها

ثانيهما: من الظاهر أن وضع الإسـلام والمسلمين المؤلم، بل المأساوي الفجيـع، لم يبـدأ بهـدم الخلافـة في القـرن المـاضي، وإنهـاء حكم الإسـلام رسـمياً، وإنما بدأ في عصور الإسـلام الأولى، واستمر بسلبياته ومضاعفاته في حلقـات متلاحقة من التدهور والتسـافل، بنحو لابـد أن ينتهي إلى هذه النهايـة الفجيعة، فهـي النهاية الطبيعية لتلك البدايـات من الانحراف عن خط الإسلام القويم.

وإلا فمـن هـوان الدنيا على الله تعالى أن تصـل الخلافة في هذا الدين العظيم إلى العثمانيين! ثم لم ترض الدنيا لنا بذلك حتى صار خروجها منهم بفجيعـة المسـلمين العظمـى، وذلك بإنهاء حكم الإسـلام رسـمياً، وإلغاء الخلافة رأسـاً، ثم تقسـيم بلاد الإسـلام التي كانت تحكمها تلك الخلافة، وقيام دول متعددة فيها، وفي بقية بلاد الإسـلام، علمانية، رسمياً أو عملياً. وهي تسعى جاهدة لإبعاد الإسلام، سياسياً، وثقافياً، وتقنيناً.

وبعد كل ذلك يا ترى ألا ينبغي للمسـلم ـ ولا سـيما المثقف المتبصر الغيور ـ أن يسـأل نفسه عن أسـباب هذا التدهور؟ وهل أن الله تعالى حين قضى أن يكون الإسلام هو الدين الخاتم للأديان، والباقي ما بقيت الأرض بأهلها، وحين أراد لهذا الدين أن يحكم في الأرض ويطبق عملياً فيها، لتنعم البشريـة بخيراتـه وثمراته، وحين علم ـ وهو العـالم بالغيب ـ بما يصير إليه أمر الإسـلام والمسـلمين من التسـافل والتدهور، حتى انتهـى إلى ما انتهى إليـه، وحين أكمل دينه وأتم نعمته بتشريعاته القويمة، أتراه مع كل ذلك لم

يعالـج هذه المشكلة في تشريعه؟!

وهـل من المعقول أنه لم يجعل في ذلك التشريع القويم الحلول الواقية مـن هذا التدهور والتسـافل، والكفيلة بعزة الإسـلام وحكمه في الأرض، وبقاء رايته خفاقة فيها، وبتنعم البشرية بخيراته، وصلاحها وسعادتها تحت ظله الوارف، وبعدله الشـامل، ومثله السـامية؟! أترى هل يتقبل المنصف ذلك؟! وهل يرضى المؤمن الغيور به؟!

ثـم ألا يكفي ذلك في إقامة الحجة عـلى أن ما حصل من اليوم الأول وانتهـى بهذه النهاية المأسـاوية إنما كان انحرافاً عن خط الإسـلام العظيم، وخروجـاً عـن تشريعه القويم، وصراطه المسـتقيم؟! وبعـد كل ذلك فهل يعذر المسـلم إذا لم يقف الموقف المناسب من ذلك الانحراف، ويبحث عن الحقيقـة الدينيـة القويمـة التي جعلهـا الله تعالى، وأكمل بهـا دينه وتشريعه وأتم نعمته على المسلمين؟!

كل هـذه الأسـئلة يجـب عـلى المسـلم التبـصر بهـا، والجـواب عنها بموضوعية كاملة، وتجرد عن التراكمات والمسلمات، التي أكل الدهر عليها وشرب ﴿قُـلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَـاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِـينَ﴾[1]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[2].

ومـا توفيقـي إلا بالله عليـه توكلت وإليـه أنيب. وهو حسـبنا ونعم الوكيـل. وتقـدم في أوائل جواب السـؤال الرابع من هذه الأسـئلة ما ينفع في المقام. فراجع.

---

(١) سورة الأنعام الآية:١٤٩.

(٢) سورة الغاشية الآية: ٢١ ـ ٢٢.

❑س٦ ما قولكم فيما ورد من أمر الرسول(ص) لأبي بكر الصديق (رض) بإمامة المسلمين في صلاتهم إبان اشتداد مرضه(ص)، أليس فيها إشارة إلى أنه ارتضاه خليفة له من بعده؟

ج: الجواب عن ذلك يكون ببيان أمور..

احتجاج كل فرقة بما تنفرد بروايته احتجاج عقيم

الأمر الأول: أن احتجاج المدعي على دعواه بما يختص هو بروايته ولا يشاركه فيه الخصم، احتجاج عقيم لا يثبت حقاً، ولا يدفع باطلاً، وهو احتجاج غير منطقي، ولا مقبول عند العقلاء. ومن ثم لا يكون حجة على الخصم، ولا ملزماً له.

ولو أراد الشيعة أن يحتجوا بما ينفردون هم بروايته، ويوثقونه وحدهم، من دون أن يبلغ حدّ التواتر ـ الملزم للكل ـ لزادت حججهم أضعافاً مضاعفة.

بل هو لا يكون عذراً بين يدي الله تعالى. وذلك لما يأتي في أواخر هذا الجواب ـ إن شاء الله تعالى ـ من أن الله عزوجل لابد أن يكون قد أوضح الحق في موارد الخلاف والنزاع، الموجب لافتراق المسلمين، حتى صار جلياً لا لبس فيه ولا غموض، بحيث لا يعذر الخارج عنه، بل هو إما معاند مكابر، أو مفرط مقصر.

فإن لازم ذلك أن يحتمل بدواً في حق كل طرف من أطراف النزاع أن يكون قد خرج عن الحق الواضح الجلي، عناداً أو تفريطاً. ومثل هذا لا

يوثق بما يرويه في تأييد مذهبه، مهما بلغ حسن ظن أتباع ذلك المذهب فيه، وتوثيقهم لهم.

نعم، بعد أن يعرف الحق، ويتميز عن الباطل ـ بأدلته القاطعة وبراهينه الجلية، التي لا لبس فيها ولا غموض ـ يعرف حينئذٍ المحق من المبطل، والأعمى من المبصر. ويتجه حينئذٍ حسن الظن بمن وفقه الله تعالى، فاهتدى للحق وأبصره، وتمسك به ولزمه. ويتعين الإعراض عمن خذله الله سبحانه وطبع على قلبه، فعمي عن الحق الواضح وجانبه، مهما كان شأنه عند أتباعه.

وإلى هذا يرجع قول أمير المؤمنين عليه السلام: «اعرف الحق تعرف أهله»[1] الذي تقدم في جواب السؤال الرابع من الأسئلة السابقة.

رواية الشيعة في أمر صلاة أبي بكر

أما الشيعة فتنكر أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر أبا بكر بأن يصلي بالناس. بل ترى وتروي أن عائشة هي التي أرسلت خلف أبي بكر تعلمه بحال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ليصلي بالناس، تشريفاً له، وتنويهاً به، في محاولة لتهيئته للخلافة، واستلابها من أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، وإقصاء أهل البيت عليهم السلام عموماً.

كما أن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها ولحفصة: «إنكن لصويحبات يوسف»، إنما كان إنكاراً منه صلى الله عليه وآله وسلم عليهما حين أرادت كل واحدة منهما أن يتقدم أبوها تشريفاً له.

وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد فوجئ بذلك. خصوصاً بعد أن كان قد أمر

---

(١) تفسير القرطبي ١: ٣٤٠. فيض القدير ١: ٢١٠، ٤: ١٧. البيان والتبيين ١: ٤٩١. تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٠ في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. أنساب الأشراف ٣: ٣٥ وقعة الجمل.

أبا بكر وعمر بالخروج في بعث أسامة، وأكد على خروج البعث وإنفاذه، كما تقدم في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة.

ولما رأى صلى الله عليه وآله وسلم أن ذلك قد نفذ فعلاً، وأن أبا بكر قد تقدم للصلاة، اضطر صلى الله عليه وآله وسلم على شدة مرضه لأن يحول بينه وبين ذلك، دفعاً للشبهة، فخرج يتهادى بين أمير المؤمنين عليه السلام والفضل بن العباس، ونحى أبا بكر من المحراب، وصلى هو صلى الله عليه وآله وسلم جالساً بالناس.

لكن ذلك لم ينفع في دفع الشبهة، لأن استيلاء الطرف المذكور بالآخرة على السلطة، وعلى مقدرات الإسلام ـ بما في ذلك الدعاية والإعلام ـ ومحاولة تحريف هذه الحادثة عن حقيقتها في بعض النصوص من أجل التشبث بها لتبرير ما حصل، كل ذلك حال دون رفع الشبهة، وظهور هذه الحادثة على حقيقتها.

عقيدة أمير المؤمنين في حادثة الصلاة بنظر بعض الجمهور

وقد ذكر ابن أبي الحديد قول أمير المؤمنين عليه السلام عن عائشة: «وأما فلانة فأدركها رأي النساء، وضغن غلا في صدرها كمرجل القين...»[1]، ثم عقب عليه بكلام طويل حكاه عن شيخه أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعاني، في أسباب الشحناء والعداء بين عائشة وأبي بكر من جانب، والصديقة سيدة النساء فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) من جانب.

وهو يبتني على مذهبه من أن من يفترض فيهم أن يكونوا من خواص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحبائه، وذوي المقام الرفيع في الدين والقرب من الله تعالى، لا يستغرب عليهم حب الظهور، وطلب الجاه، وأن يتعرضوا فيما بينهم

(١) شرح نهج البلاغة ٩ : ١٨٩.

للتهمة، وسوء الظن، والحسد، والبغضاء، والشحناء.

وهو يلتقي في الخطوط العامة مع ما سبق منك في السؤال الثاني. ويحسن بنا أن نثبت منه ما يتعلق بموضوع حديثنا هذا، وهو صلاة أبي بكر.

قال ابن أبي الحديد، وهو يعرض كلام شيخه المذكور ـ بعد أن أطال في ذكر أسباب التنافس والشحناء بين الطرفين في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسب قناعاته ـ:

«وبقيت الأمور على ما هي عليه، وفي النفوس ما فيها، حتى مرض رسول الله صلى الله عليه وآله المرض الذي توفي فيه... فتطاول هذا المرض. وكان علي عليه السلام لا يشك أن الأمر له، وأنه لا ينازعه فيه أحد من الناس. ولهذا قال له عمه، وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله: أمدد يدك أبايعك، فيقول الناس: عم رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا يختلف عليك اثنان. قال: يا عم، وهل يطمع فيها طامع غيري؟! قال: ستعلم. قال: فإني لا أحب هذا الأمر من وراء رتاج، وأحب أن أصحر به. فسكت عنه.

فلما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه، أنفذ جيش أسامة، وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار، فكان علي عليه السلام حينئذٍ بوصوله إلى الأمر إن حدث برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدث أوثق، وتغلب على ظنه أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلية، فيأخذه صفواً عفواً، وتتم له البيعة، فلا يتهيأ فسخها لو رام ضدّ منازعته عليها.

فكان ـ من عود أبي بكر من جيش أسامة بإرسالها إليه، وإعلامه بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يموت ـ ما كان، ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف، فنسب علي عليه السلام عائشة أنها أمرت بلالاً مولى أبيها أن يأمره فليصل بالناس. لأن رسول الله ـ كما روي ـ قال: ليصل بهم أحدهم. ولم يعين.

وكانت صلاة الصبح، فخرج رسول الله ﷺ، وهو في آخر رمق يتهادى بين علي والفضل بن العباس، حتى قام في المحراب، كما ورد في الخبر.

ثم دخل، فمات ارتفاع الضحى، فجعل يوم صلاته حجة في صرف الأمر إليه، وقال: أيكم يطيب نفساً أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله في الصلاة؟! ولم يحملوا خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلاة لصرفه عنها، بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن، فبويع على هذه النكتة التي أتهمها علي عليه السلام على أنها ابتدأت منها.

وكان علي عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً. ويقول: إنه لم يقل ﷺ: إنكن لصويحبات يوسف إلا إنكاراً لهذه الحال، وغضباً منها، لأنها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما، وأنه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب، فلم يجد ذلك، ولا أثر... فكانت هذه الحال عند علي أعظم من كل عظيم، وهي الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى. ولم ينسبها إلا إلى عائشة وحدها، ولا علق الأمر الواقع إلا بها، فدعا عليها في خلواته وبين خواصه، وتظلم إلى الله منها....

فقلت له رحمه الله: أفتقول أنت: إن عائشة عينت أباها للصلاة، ورسول الله ﷺ لم يعينه؟ فقال: أما أنا فلا أقول ذلك، ولكن علياً كان يقوله. وتكليفي غير تكليفه. كان حاضراً، ولم أكن حاضراً. فأنا محجوج بالأخبار التي اتصلت بي، وهي تتضمن تعيين النبي ﷺ لأبي بكر في الصلاة. وهو محجوج بما كان قد علمه، أو يغلب على ظنه من الحال التي كان حضرها... هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب رحمه الله. ولم يكن يتشيع، وكان شديداً في الاعتزال، إلا أنه في التفضيل كان بغدادياً»[1].

(١) شرح نهج البلاغة ٩ : ١٩٦ ـ ١٩٩.

وإنما ذكرناه بطوله لأنه يكشف عن عدم الاتفاق على تقديم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر للصلاة، وأن هناك من علماء السنة ـ فضلاً عن الشيعة ـ من ينسب لأمير المؤمنين عليه السلام إنكار ذلك، والتبرم مما حصل، وحمله على كونه محاولة لاستغلال مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وضعفه عن الخروج للصلاة، في إبراز أبي بكر في الواجهة، من أجل تهيئته لتولي الحكم والاستيلاء عليه، في سلسلة النشاطات المضادة للنص، التي أشرنا إليها في جواب السؤال الرابع من هذه الأسئلة، عند الكلام في دوافع الأنصار لمحاولة الاستيلاء على الحكم.

اختلاف الروايات في موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين خروجه

ويؤيد ذلك.. **أولاً**: أن روايات الصلاة المذكورة التي تضمنتها كتب الحديث لجمهور السنة، قد تضمنت خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك للصلاة. وهي مختلفة أشد الاختلاف في أنه صلى الله عليه وآله وسلم حينما خرج هل تقدم بنفسه للإمامة، فصلى بالناس جالساً، وقد ائتم به الناس بما فيهم أبو بكر، أو أن أبا بكر بقي هو الإمام وقد ائتم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الناس، ويبدو مما ذكره ابن حجر[1]، والشوكاني[2]، أن الأول هو الأقوى رواية.

وهو لو تم أنسب بدعوى الشيعة في المقام، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان بصدد تقديم أبي بكر للصلاة تنويهاً به من أجل ترشيحه للخلافة، فخروجه صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك، وإمامته للناس نقض لذلك الغرض. ولا أقل من كونه مثيراً للشبهة، التي تضعف احتمال ترتب الغرض المذكور، وظرفه صلى الله عليه وآله وسلم لا يسمح بذلك، لعلمه بدنو أجله، وعدم وجود الوقت الكافي لدفع الشبهات، وتدارك الأمور.

(١) فتح الباري ٢ : ١٥٥.

(٢) نيل الأوطار ٣ : ١٨٤.

بعض الفجوات في روايات الحادثة

وثانياً: أن تلك الروايات، مشتملة على فجوات ومفارقات تظهر للمتأمل. وربما يظهر بعضها مما سبق. وقد تعرض لها علماء الشيعة، ونبه بعض علماء الجمهور إلى بعضها، بنحو يغنينا عن تفصيل الكلام فيه، بل لا يسعنا ذلك، لأن الحديث فيه طويل متشعب.

غير أنه قد ألفت نظرنا أمر ربما أغفله الكثير. ففي حديث أبي بكر عبد الله بن أبي مليكة قال: «لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه إلى الصبح، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس، فعرف أبو بكر أن الناس لم يفعلوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ، فنكص عن مصلاه، فدفع رسول الله في ظهره، وقال: صل بالناس، وجلس رسول الله إلى جنبه، فصلى قاعداً عن يمين أبي بكر.

فلما فرغ من الصلاة، أقبل على الناس وكلمهم رافعاً صوته، حتى خرج صوته من باب المسجد يقول: يا أيها الناس سعرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني والله لا تمسكون عليّ شيئاً، إني لم أحل لكم إلا ما أحل لكم القرآن، ولم أحرم عليكم إلا ما حرم عليكم القرآن، فلما فرغ رسول الله ﷺ...»[1].

ولا نريد أن نناقش صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤتماً بأبي بكر، لأن ذلك ليس ممتنعاً عند الجمهور. وإنما الملفت للنظر خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الصلاة الشديدة اللهجة، والمناسبة لتهيؤ الأمة للفتن والانقلاب، حتى سعرت النار، وتنصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مغبة ما يحصل، لأنه لم يحل إلا ما

---

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٢٣١ في أحداث سنة إحدى عشرة. السيرة النبوية ٦ : ٧١ اليوم الذي قبض فيه رسول الله ﷺ. البدء والتاريخ ٥ : ٦١.

أحل القرآن، ولم يحرم إلا ما حرمه.

مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم لو كان قد أمر أبا بكر بالصلاة مشيراً إلى أنه يرضى خلافته، فالأمور بالآخرة قد جرت على وفق ما أراد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي هو موافق للقرآن المجيد. فيفترض أن يكون ذلك مفتاح عصمة الأمة من الفتن. ومعه لا موجب لتسعير النار، ولا للتهديد والوعيد الشديد. وإنما يتناسب ذلك جداً مع تفسير الشيعة المتقدم لحدث الصلاة.

وأما توجيه ذلك التهديد بالردة التي حصلت بعد ارتحال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للرفيق الأعلى، فهو لا يناسب تنصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي تضمنته الخطبة، لظهور أن التنصل بالوجه المذكور فيها إنما يحسن أن يوجه لمن يؤمن بالقرآن الشريف ويخصمه صلى الله عليه وآله وسلم به. لا لمن يكفر به، ويرتد عن الإسلام، كما لعله ظاهر.

وقد أثبتنا هذه الملاحظة لعدم عثورنا عاجلاً على من نبه عليها. وإن كان الجواب لا يتوقف عليها. والذي يهمنا هو عدم الاتفاق على صدور الأمر المذكور من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإبداء تحفظنا عليه، ولاسيما بملاحظة ما سبق في جواب السؤال الأول من تعرض السنة الشريفة للوضع والتحريف ضد أهل البيت عليهم السلام، ولصالح أعدائهم ومناوئيهم. فراجع.

حادثة الصلاة ليست نصاً ولم تلزم الصحابة ببيعة أبي بكر

الأمر الثاني: لا ريب في أن الحادثة المذكورة كيف كانت لا تبلغ مرتبة النص على أبي بكر، لما استفاض عند الجمهور من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعهد من بعده إلى أحد. وغاية ما يدعى أنها نحو من الإشارة له، كما ذكرته في السؤال. ومن المعلوم أن الحدث الواحد يمكن الاختلاف في مدلوله باختلاف الناس، وباختلاف الزاوية التي ينظرون منها إليه، والتي يحاول

بعضهم التأكيد عليها تبعاً لميله وهواه.

والشيء الذي لا ريب فيه أن هذه الحادثة لم تمنع الأنصار من محاولة الاستيلاء على السلطة، وبيعة سعد بن عبادة بالخلافة، ولم تمنع أبا بكر من ترشيح عمر وأبي عبيدة للخلافة، وتقديمهما للبيعة، ولا من قوله في مرضه: «أما إني لا آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهن، وثلاث وددت اني سألت رسول الله ﷺ عنهن، فأما الثلاث التي وددت أني لم أفعلهن... ووددت أني يوم سقيفة بني ساعده قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين أبي عبيدة أو عمر، وكان أمير المؤمنين وكنت وزيراً... وأما الثلاث اللاتي وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهن، فوددت أني سألته فيمن هذا الأمر فلا ينازعه أهله...»[1]

إذ لو فهم من حادثة الصلاة ترشيح النبي صلى الله عليه وآله وسلم له لهذا المنصب، فلا موقع للسؤال عمن هو أهل له، ولا لقذفه في عنق أحد الرجلين.

كما لم تمنع أمير المؤمنين عليه السلام وبني هاشم عامة وجماعة من خواص الصحابة وأعيانهم ـ ممن تقدم التعرض له في مطاوي جواب السؤال الثالث والرابع ـ من التقاعس عن بيعة أبي بكر والإنكار عليها، والطعن

---

(١) مجمع الزوائد ٥ : ٢٠٢ ـ ٢٠٣ كتاب الخلافة: باب كراهة الولاية ولمن تستحب، واللفظ له. الأحاديث المختارة ١ : ٨٩ ـ ٩٠ فيما رواه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه. المعجم الكبير ١ : ٦٢ ومما أسند أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ. الضعفاء للعقيلي ٣ : ٤٢٠ ـ ٤٢١ في ترجمة علوان بن داود البجلي. ميزان الاعتدال ٥ : ١٣٥ ـ ١٣٦ في ترجمة علوان بن داود البجلي. لسان الميزان ٤ : ١٨٩ في ترجمة علوان بن داود البجلي. تاريخ الطبري ٢ : ٣٥٣ ـ ٣٥٤ أحداث سنة ثلاث عشرة: ذكر أسماء قضاته (أي أبي بكر) وكتابه وعماله على الصدقات. تاريخ دمشق ٣٠ : ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢ في ترجمة عبد الله ويقال عتيق بن عثمان بن قحافة. وغيرها من المصادر.

فيها، ومحاولة نقضها.

وإذا كان ترشيح الأنصار لسعد بن عبادة، وترشيح أبي بكر لعمر وأبي عبيدة، يوم السقيفة، عمليتين ارتجاليتين، اقتضتهما طبيعة الصراع، بنحو أغفل عن حادثة الصلاة، وقد انتهتا في وقتهما، من دون أن يترتب عليهما أثر معتد به، فلا ريب في أن موقف أمير المؤمنين عليه السلام ومن اتجه وجهته حسابي مدروس، يبتني على الخصومة والاحتجاج والإصرار، كما يظهر مما سبق في جواب السؤالين الثالث والرابع.

وكذا ما تقدم من كلام أبي بكر في مرضه. لظهور أنه قد قاله بكمال التروي، بعد أن مرّ بتجربة الخلافة، وأدرك مسؤوليتها.

وذلك بمجموعه يكشف عن أحد أمرين لا ثالث لهما:

أولهما: أن الأمر بصلاة أبي بكر لم يصدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما كانت قضية الصلاة عملية أريد بها التشويش على النص، والالتفاف عليه، بإبراز أبي بكر للواجهة فجأة في الوقت الحرج، في محاولة لاستلاب الحكم من أهل البيت (صلوات الله عليهم) في سلسلة نشاطات المعارضة التي تصاعدت في الوقت المناسب، كما تقول الشيعة.

لا تلازم بين الأهلية لإمامة الصلاة والأهلية للإمامة العامة

ثانيهما: أن يكون أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصلاة أبي بكر ـ لو فرض صدوره ـ عفوياً، لا يحمل أكثر من مدلوله الحقيقي. لما هو المعلوم من عدم التلازم بين تأهيل الشخص لإمامة الصلاة وصلاحيته للإمامة العامة.

كما صلى عبد الرحمن بن عوف بالناس حينما طعن عمر بن الخطاب[1]،

(١) صحيح البخاري ٣: ١٣٥٤ كتاب فضائل الصحابة: باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان ابن عفان رضي الله عنه. صحيح ابن حبان ١٤: ١٩٣ كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم (رضي الله عنهم أجمعين): ذكر رضا المصطفى صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن

←

وكما أمر عمر صهيباً بالصلاة بالناس بعده في الأيام الثلاثة التي عينها لأهل الشورى، من أجل أن يختاروا الخليفة منهم[١]، وكما قدم أمير المؤمنين عليه السلام ـ حينما ضربه ابن ملجم على رأسه في مسجد الكوفة ـ جعدة بن هبيرة ليصلي بالناس صلاة الفجر[٢]... إلى غير ذلك.

← عفان رضي الله عنه عند خروجه من الدنيا. المستدرك على الصحيحين ٣ : ٩٧ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين عمربن الخطاب رضي الله عنه مما لم يخرجاه : مقتل عمر رضي الله عنه على الاختصار. السنن الكبرى للبيهقي ٣ : ١١٣ كتاب الصلاة: جماع أبواب موقف الإمام والمأموم: باب الصلاة بإمامين أحدهما بعد الآخر. المصنف لابن أبي شيبة ١ : ٤٠٦ كتاب الصلاة: التخفيف في الصلاة من كان يخففها. مسند أبي يعلى ٥ : ١١٦. حلية الأولياء ٤ : ١٥١ عند الحديث عن عمرو بن ميمون الأودي. كتاب الآثار: ٤٧. الثقات ٢ : ٢٣٨ في استخلاف عمر بن الخطاب. الطبقات الكبرى ٣ : ٣٣٧ في ترجمة عمر بن الخطاب: ذكر استخلاف عمر رحمه الله. نيل الأوطار ٦ : ١٥٨ كتاب الوصايا: باب وصية من لا يعيش مثله. موارد الظمآن : ٥٣٧ باب فضل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه . مجمع الزوائد ٩ : ٧٦ كتاب المناقب: باب وفاة عمر رضي الله عنه . مسند الحارث ٢ : ٦٢٢ كتاب الإمارة: باب ما جاء في الخلفاء. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) صحيح ابن حبان ١٥ : ٣٣٣ كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم (رضي الله عنهم أجمعين): ذكر رضا المصطفى صلى الله عليه وسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صحبته إياه. المصنف لابن أبي شيبة ٧ : ٤٣٧ كتاب المغازي: ماجاء في خلافة عمر بن الخطاب. مجمع الزوائد ٥ : ١٩٥ كتاب الخلافة: باب الخلافة في قريش والناس تبع لهم. الطبقات الكبرى ٣ : ٦١ في ترجمة عثمان بن عفان: ذكر الشورى وما كان أمرهم، ٣ : ٣٤١ في ترجمة عمر بن الخطاب: ذكر استخلاف عمر رحمه الله. فتح الباري ٧ : ٦٨. سير أعلام النبلاء ٢ : ٢٦ في ترجمة صهيب بن سنان. وغيرها من المصادر.

(٢) الاستيعاب ٣ : ١١٢٥ في ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه . مجمع الزوائد ٩ : ١٤١ باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتاب المناقب: في باب بعد باب وفاته رضي الله عنه . المعجم الكبير ١ : ٩٩ نسبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه : سن علي بن أبي طالب ووفاته رضي الله عنه . نظم درر السمطين : ١٤١. المناقب للخوارزمي : ٣٨٣. المنتظم ٥ : ١٧٣ أحداث سنة تسع وثلاثين: عند الحديث عن مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه . الكامل في التاريخ ٣ : ٢٥٦ أحداث سنة أربعين: ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ١ : ١١٤ باب في ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ذكر قاتله وما حمله على القتل وكيفية قتله وأين دفن.

ولا ينافي ذلك ما روي من تشبث عمر بها لتقديم أبي بكر وبيعته. فإن ذلك ـ لو صح ـ **أولاً**: قد لا يبتني على دعوى إشارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحادثة المذكورة للخلافة، وتأهيل أبي بكر لها. بل لا يزيد عن كونه فضيلة لأبي بكر تناسب تقديمه بنظر عمر، نظير قوله: «لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح، ثم وليته، ثم قدمت على ربي، فقال لي: لم استخلفته على أمة محمد؟ قلت: سمعت عبدك وخليلك يقول: لكل أمة أمين، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»(١).

وقوله: «ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته، فإن سألني ربي. قلت: سمعت نبيك يقول: إن سالماً شديد الحب لله»(٢).

وقوله: «لو أدركت معاذ بن جبل فاستخلفته، فلقيت ربي، فسألني عن ذلك، لقلت: سمعت نبيك يقول: إذا حضرت العلماء ربهم يوم القيامة، كان معاذ بن جبل بين أيديهم بقذفة حجر»(٣).

وثانياً: قد يبتني على استغلال عمر للحادثة المذكورة، وتفسيرها بالوجه الذي يخدم هدفه، في الوقت الحرج واللحظات الحاسمة، من أجل إنجاز مشروعه، في عملية ارتجالية مفاجئة. ولم يدع مجالاً للأخذ والرد،

---

(١) مسند الشاشي ٢ : ٩٣ من مناقب أبي عبيدة بن الجراح وغيره، واللفظ له. مسند أحمد ١ : ١٨ في مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فتح الباري ١٣ : ١١٩. تحفة الأحوذي ٦ : ٣٩٩. فيض القدير ٣ : ١٩٠. سير أعلام النبلاء ١ : ٣٧٢ في ترجمة خالد بن الوليد. صفوة الصفوة ١ : ٣٦٧. تاريخ الطبري ٢ : ٥٨٠ قصة الشورى. تاريخ دمشق ٥٨ ص٤٠٥ في ترجمة معاذ بن جبل. وغيرها من المصادر. وقريب منه في المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٠٠ كتاب معرفة الصحابة: ذكر مناقب أبي عبيدة بن الجراح، والطبقات الكبرى ٣ : ٤١٣ في ترجمة أبي عبيدة بن الجراح، وفضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٧٤٢، وتاريخ دمشق ٢٥: ٤٦١ في ترجمة عامر بن عبدالله بن الجراح، وغيرها من المصادر.

(٢) ، (٣) تقدمت مصادرهما في جواب السؤال الرابع في : ١٨٩.

ليتضح نظر غيره في هذه الحادثة، وتحديد مدلولها الحقيقي.

ومـا أكثـر ما يتشـبث ذوو الأهـداف في سـبيل الوصـول لأهدافهم وتنفيـذ مخططاتهم بالحجـج الواهية والخطابيات التي هـي ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1].

ولا سـيما وأن عمر ومن اتجه وجهتـه لم يحترموا أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتوجيهاتـه في مرضـه، ففي يوم الخميس حينما أمـر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤتى لـه بدواة وكتف، ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، ردوا عليه، وقالوا: إنه يهجر، أو: قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله. كما تقدم التعرض لذلك في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة.

مـع أن حادثة الصلاة قـد حصلت بعد ذلك. بل في بعض النصوص أنها كانت يوم الأثنين يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه.

عدم تركيز عمر على حادثة الصلاة في أحاديثه عن الخلافة

ويؤيد ما ذكرنا أن عمر قد تعرض بعد حادثة السقيفة لبيعة أبي بكر، وحـاول بيان مبرراتهـا في أحاديث له متعددة له مع ابـن عباس وغيره، ولم يشر فيها لحادثة الصلاة كحجة أو مبرر، في الوقت الذي تعرض فيه لمبررات هي أوهى من بيت العنكبوت، كصغر سـن أمير المؤمنين عليه السلام، وحبه لبني عبـد المطلـب، وكراهـة قريـش أن تجتمـع النبـوة والخلافة في بني هاشـم.

بل صرح هو وغيره بأن البيعة كانت فلتة، وقد سبق أن أهون ما قيل في معنى فلتة أنها كانت مباغتة من دون مشـورة. وربما ذكروا أنهم أسرعوا

---

(١) سورة النور الآية: ٣٩.

بها خوف الفتنة[١]. ولو كانت حادثة الصلاة بالنحو الذي يحاول بعضهم الاحتجاج به لكانت أولى بأن تذكر من جميع ما سبق.

فإنه يظهر من ذلك كله أن التشبث بها يوم السقيفة لو كان فإنما هو أمر اقتضته طبيعة الارتجال في تحقيق الهدف وتمريره على الخصوم، بغض النظر عن المدلول الحقيقي للحادثة، كما ذكرنا.

الأمر الثالث: ليس من المنطقي أن يتشبث المدعي لدعواه بمثل هذه الإشارة المدعاة إلا بعد مقارنتها بما يتشبث به الخصم، واستيضاح أنها أقوى دلالة مما يملكه الخصم من الإشارات والدلالات، فضلاً عن الحجج والبينات. ولا يسعنا في هذه العجالة استيعاب ما تملكه الشيعة من ذلك، غير أنا نستطرد بذكر جملة منها من أجل مقارنتها بحادثة الصلاة.

المقارنة بين حادثة الصلاة وما ورد في حق أمير المؤمنين عليه السلام

فها نحن نسأل المنصف هل يرضى لنفسه أن يدعي أن حادثة الصلاة أقوى دلالة على تهيئة أبي بكر للخلافة من اختصاص النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمير المؤمنين عليه السلام، وإيكال أموره صلى الله عليه وآله وسلم إليه عليه السلام في حياته وبعد وفاته، حتى جهزه ووضعه في حفرته، وتمييزه عن بقية الصحابة بمؤاخاته له[٢]،

---

(١) الرياض النضرة ٢ : ٢٠٦ القسم الثاني في مناقب الأفراد: الباب الأول في مناقب خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه: الفصل الثالث عشر في ذكر خلافته وما يتعلق بها من الصحابة: ذكر بيعة السقيفة وماجرى فيها.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٥،١٦ كتاب الهجرة. سنن الترمذي ٥ : ٦٣٦ كتاب المناقب: في باب لم يعنونه، بعد باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. علل الدارقطني ٩ : ٢٠٥. الطبقات الكبرى ٣ : ٢٢ في ترجمة علي بن أبي طالب: ذكر إسلام علي وصلاته. من حديث خيثمة : ١٩٩. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٥٩٧ فضائل علي عليه السلام، : ٦١٧ ومن فضائل علي رضي الله عنه من حديث أبي بكر بن مالك عن شيوخه غير عبدالله. البداية والنهاية ٧ : ٢٢٤ في أحداث سنة خمس وثلاثين ففيها مقتل عثمان: خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي

←

وتزويجه ابنته سيدة النساء عليها السلام بأمر الله تعالى[١]، حتى صار أبا ذريته[٢].

وبسد أبوابهم الشارعة إلى المسجد إلا بابه[٣]، فكان يحل له فيه ما يحل

← طالب رضي الله عنه. تاريخ الخلفاء: ١٧٠ في ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: فصل في الأحاديث الواردة في فضله. السيرة النبوية ٣: ٣٦ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. تاريخ دمشق ٤٢: ١٨،٥١،٥٢،٥٣،٦١،٩٦، في ترجمة علي ابن أبي طالب. تهذيب الأسماء: ٣١٨. فيض القدير ٤: ٣٥٥. الرياض النضرة ١: ٢٠٥ القسم الأول في مناقب الأعداد: الباب الأول فيما جاء متضمنا ذكر العشرة وغيرهم: ذكر أحاديث تتضمن جملتها إخاءه صلى الله عليه وسلم بين العشرة وغيرهم من المهاجرين والأنصار وذكر اسمه على بعضهم. التدوين في أخبار قزوين ٢: ١٢٦. تحفة الأحوذي ١٠: ١٥٢. تهذيب الكمال ٢٠: ٤٨٤ في ترجمة علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) مجمع الزوائد ٩: ٢٠٤ كتاب المناقب: باب مناقب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها: باب منه في فضلها وتزويجها بعلي رضي الله عنه. المعجم الكبير ١٠: ١٥٦ في مسند عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، ٢٢: ٤٠٧ ذكر سن فاطمة رضي الله عنها ووفاتها ومن أخبارها ومناقبها وكنيتها. ومن مناقب فاطمة: ذكر تزويج فاطمة رضي الله عنها. تاريخ دمشق ٣٧: ١٣ في ترجمة عبد الملك بن حبار، ٤٢: ١٢٦، ١٢٩ في ترجمة علي بن أبي طالب، ٥٢: ٤٤٤، ٤٤٥ في ترجمة محمد بن دينار العرقي. كنز العمال ١١: ٦٠٠ حديث: ٣٢٨٩١، ٦٠٦: حديث: ٣٢٩٢٩. وغيرها. البيان والتعريف ١: ١٧٤، ٢: ٣٠١. ميزان الاعتدال ٤: ٤٢٢ في ترجمة عبد النور بن عبد الله المسمعي. لسان الميزان ٤: ٧٧ في ترجمة عبد النور بن عبد الله المسمعي. الكشف الحثيث: ١٧٤ في ترجمة عبد النور بن عبد الله المسمعي.

(٢) مجمع الزوائد ٩: ١٧٢ كتاب المناقب: باب في فضل أهل البيت رضي الله عنهم. المعجم الكبير ٣: ٤٣ بقية أخبار الحسن بن علي رضي الله عنه. الجامع الصغير ١: ٢٦٢. الفردوس بمأثور الخطاب ١: ١٧٢. فيض القدير ٢: ٢٣٣. كنز العمال ١١: ٦٠٠ حديث: ٣٢٨٩٢. تاريخ دمشق ٤٢: ٢٥٩ في ترجمة علي بن أبي طالب. تاريخ بغداد ١: ٣١٧ في ترجمة محمد بن أحمد بن عبد الرحيم. ينابيع المودة ٢: ٩٠، ٢٣٧، ٢٩٢، ٣٤٥، ٣٩٩، ٤٤٧. ميزان الاعتدال ٤: ٣١٣ في ترجمة عبد الرحمن بن محمد الحاسب، ٧: ٢٠٧ في ترجمة يحيى بن العلاء. لسان الميزان ٣: ٤٢٩ في ترجمة عبد الرحمن ابن محمد الحاسب. العلل المتناهية ١: ٢١٤. كشف الخفاء ٢: ١٥٧. نيل الأوطار ٦: ١٣٩.

(٣) السنن الكبرى للنسائي ٥ كتاب الخصائص: ١١٣ ذكر خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ذكر خبر عمران بن حصين في ذلك، ١١٨، ١١٩ ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي. سنن الترمذي ٥: ٦٤١ كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: في باب لم يعنونه بعد باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. المستدرك على ←

للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (١).

ثم نصه صلى الله عليه وآله وسلم على أن المراد بأهل بيته ـ الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ـ هم أمير المؤمنين، وزوجته الصديقة فاطمة الزهراء سيدة النساء، وولداهما الحسن والحسين (صلوات الله وسلامه عليهم) (٢).

← الصحيحين ٣: ١٣٥ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مما لم يخرجاه: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقال بعد ذكر الحديث: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، : ١٤٣ قال بعد ذكر الحديث: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة». مسند أحمد بن حنبل ١ : ١٧٥ مسند أبي إسحاق سعد ابن أبى وقاص، رضي الله عنه ٣٣٠ : مسند عبدالله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم. معتصر المختصر ٢ : ٣٣٢ كتاب جامع مما يتعلق بالموطأ: فيما اختص به أبو بكر وعلي. مجمع الزوائد ٩ كتاب المناقب: باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، : ١١٤،١١٥ باب فتح بابه الذي في المسجد، : ١٢٠ باب جامع في مناقبه رضي الله عنه. مسند الروياني ١ : ٢٧٧ فيما رواه ميمون عن البراء. مسند أبي يعلى ٢ : ٦١ في مسند سعد بن أبي وقاص. السنة لابن أبي عاصم ٢ : ٥٩٩،٦٠٣ باب ما ذكر في فضل علي رضي الله عنه، : ٦٠٩ باب من كنت مولاه فعلي مولاه. الإصابة ٤ : ٥٦٨ في ترجمة علي بن أبي طالب. فتح الباري ٧ : ١٤ وقال بعد أن ذكر الحديث: «أخرجه احمد والنسائي وإسناده قوي وفي رواية للطبراني في الأوسط رجالها ثقات من الزيادة». تفسير القرطبي ٥ : ٢٠٨. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) تاريخ دمشق ٤٢ : ١٣٩،١٤٠ في ترجمة علي بن أبي طالب. مسند الشاشي ١ : ١٤٦. ميزان الاعتدال ٢: ٢١٠ في ترجمة حرام بن عثمان الأنصاري. لسان الميزان ٢: ١٨٢ في ترجمة حرام بن عثمان الأنصاري. مناقب الخوارزمي : ١٠٩. ينابيع المودة ١ : ١٦٠. تاريخ المدينة ١ : ٣٨.

(٢) صحيح ابن حبان ١٥ : ٤٣٢ كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم (رضي الله عنهم أجمعين): ذكر الخبر المصرح بأن هؤلاء الأربع الذي تقدم ذكرنا لهم أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم. السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٠٧ كتاب الخصائص: ذكر خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذكر صلاته قبل الناس وأنه أول من صلى من هذه الأمة. سنن الترمذي ٥ : ٣٥١ كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: باب ومن سورة الأحزاب، : ٦٦٣ كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. المستدرك على الصحيحين ٢ : ٤٥١ كتاب التفسير: تفسير سورة الأحزاب وقال بعد ذكر الحديث:

←

وأن مثلهم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى[١]، وأنهم أحد الثقلين الذين خلفهما في أمته ليعصماها من الضلالة. وقد تقدم الحديث عن ذلك في جواب السؤال السادس من الأسئلة السابقة.

ومعهم باهل نصارى نجران دون غيرهم[٢]، مشيراً إلى تميزهم بالقرب من الله تعالى بنحو يناسب نفوذ مباهلتهم واستجابته عز وجل لدعوتهم، وبأنهم حملة دعوة الإسلام المخاصمون عنها والمتعهدون بها.

← «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»، ٣ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أهل رسول الله ﷺ، : ١٥٨،١٥٩ وقال بعد ذكر الحديث: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». مسند أحمد ٤ : ١٠٧ في حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، ٦ : ٢٩٢ في حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ. معتصر المختصر ٢ : ٢٦٦ كتاب جامع مما يتعلق بالموطأ: في أهل البيت. مجمع الزوائد ٩ : ١٦٧ كتاب المناقب: باب في فضل أهل البيت رضي الله عنهم. مسند البزار ٦ : ٢١٠ فيما رواه إسماعيل ابن عبدالله بن جعفر عن أبيه. المعجم الكبير ٣ : ٥٣ بقية أخبار الحسن بن علي، رضي الله عنه ٢٥ : ٩ فيما أسند عمر بن أبي سلمة، ٢٢ : ٦٦ فيما أسند واثلة: مكحول الشامي عن واثلة. تفسير الطبري ٢٢ : ٦، ٧، ٨. تفسير ابن كثير ٣ : ٤٨٥،٤٨٦. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) تقدمت مصادره في جواب السؤال الرابع في ص : ١٨١.

(٢) صحيح مسلم ٤ : ١٨٧١ كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم: باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. سنن الترمذي ٥ : ٢٢٥ كتاب القراءات عن رسول الله ﷺ: باب ومن سورة آل عمران، : ٦٣٨ كتاب كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ: في باب لم يعنونه بعد باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٦٣ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أهل رسول الله ﷺ، قال بعد ذكر الحديث: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». السنن الكبرى للبيهقي ٧ : ٦٣ كتاب قسم الصدقات: باب إليه ينسب أولاد بناته. مسند أحمد ١ : ١٨٥ في مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. مسند سعد : ٥١ فيما رواه عامر بن سعد عن أبيه. فتح الباري ٧ : ٧٤. أسد الغابة ٤ : ٢٦ في ترجمة علي بن أبي طالب: فضائله رضي الله عنه. رجال مسلم ٢ : ٥١ في ترجمة علي بن أبي طالب. الإصابة ٤ : ٥٦٩ في ترجمة علي بن أبي طالب. معرفة علوم الحديث : ٥٠. تفسير الطبري ٣ : ٣٠١. تفسير القرطبي ٤ : ١٠٤. تفسير ابن كثير ١ : ٣٧٢. فتح القدير ١ : ٣٤٧،٣٤٨. زاد المسير ١ : ٣٩٨. روح المعاني ٤ : ١٨٨. أسباب نزول الآيات للواحدي : ٦٨. شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ١٥٦، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٤. وغيرها من المصادر الكثيرة.

ولهم قال: «أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم»[(١)]... إلى غير ذلك مما ورد في حقهم (صلوات الله عليهم).

ثم وصيته لأمير المؤمنين، حتى عرف (صلوات الله عليه) بالوصي[(٢)].

---

(١) تقدمت مصادره في جواب السؤال الرابع في: ١٨١.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٨٨ كتاب معرفة الصحابة: ومن فضائل الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ وذكر مولده ومقتله. مسند أبي يعلى ٤ : ٣٤٤ أول مسند ابن عباس. مجمع الزوائد ٩ : ١١٤،١١٣ كتاب المناقب: باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ: باب فيما أوصى به ﷺ. حلية الأولياء ٢ : ٧٤ في ترجمة أسماء بنت عميس. المعجم الكبير ٦ : ٢٢١ فيما رواه أبو سعيد عن سلمان ﷺ. الإصابة ٥ : ٥٧٦ في ترجمة كدير. فضائل الصحابة ٢ : ٦١٥ ومن فضائل علي ﷺ من حديث أبي بكر بن مالك عن شيوخه غير عبد الله. سير أعلام النبلاء ٤ : ١١٣ بقية الطبقة الأولى من كبراء التابعين: في ترجمة ابن الحنفية، ٨ : ٤٦،٤٤ في ترجمة السيد الحميري، ٢٣ : ٣٣٨ في ترجمة ابن الآبار. تهذيب الكمال ٢٦ : ١٥١ في ترجمة محمد بن علي بن أبي طالب القرشي. تهذيب التهذيب ٣ : ٩١ في ترجمة خالد بن عبيد العتكي. تاريخ دمشق ٤٢ : ٥٣٢،٣٩٢ في ترجمة علي بن أبي طالب. تاريخ واسط : ١٥٤ في ترجمة معلى بن عبد الرحمن بن حكيم. تاريخ بغداد ١١ : ١١٢ في ترجمة عبدالجبار بن أحمد بن عبيدالله السمسار، ١٣ : ٢٩٨ في ترجمة نصر بن أحمد أبي القسم البصري. الذرية الطاهرة : ٧٤. الفردوس بمأثور الخطاب ٣ : ٣٣٦. فتح الباري ٨ : ١٥٠. ميزان الاعتدال ٢ : ٤١٨ في ترجمة خالد بن عبيد، ٣ : ٣٧٥ في ترجمة شريك بن عبدالله، ٥ : ٤٨١ في ترجمة قيس بن ميناء، ٧ : ٥ في ترجمة ناصح بن عبدالله الكوفي. لسان الميزان ٢ : ١٠٢ في ترجمة جرير بن عبدالحميد الكندي، ٣ : ٣٨٧ في ترجمة عبدالجبار بن أحمد السمسار، ٥ : ١٣٩ في ترجمة محمد بن الحسين الأزدي. الكامل في ضعفاء الرجال ٤ : ١٤ في ترجمة شريك بن عبدالله بن الحارث بن شريك. المجروحين ١ : ٢٧٩ في ترجمة خالد بن عبيد العتكي. البداية والنهاية ١٣ : ٢٥٨ في أحداث سنة ثمان وستين وستمائة: في ترجمة القاضي محيي الدين ابن الزكي. تاريخ الطبري ٢ : ٦٩٦ في أحداث سنة خمس وثلاثين: ذكر ما رثي به (أي عثمان) من الأشعار، ٣ : ٣١٩ في أحداث سنة إحدى وستين. الكامل في التاريخ ٣ : ٤١٩ في أحداث سنة إحدى وستين: ذكر مقتل الحسين ﷺ: المعركة، ٥ : ١٥٢ أحداث سنة خمس وأربعين ومائة: ذكر ظهور محمد ابن عبدالله بن الحسن. المنتظم ١٠ : ١٢٨ في أحداث سنة أربع ومائتين. البدء والتاريخ ٥ : ٢٢٥ ذكر صفين. وفيات الأعيان ٥ : ٣٧٩ في ترجمة نصر الخبزأرزي. تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧١ في أيام عثمان بن عفان، : ١٧٩ في خلافة أمير

←

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «وأن وصيي لخير الوصيين»[١]، وقد سبق في جواب السؤال الرابع أن المراد بالوصية هنا وصاية النبوة.

كما كان (صلوات الله عليه) قاضي دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومنجز عداته[٢]، والذي يبين لهم ما يختلفون فيه من بعده[٣].

وكان وارث علمه[٤]، وباب مدينة علمه[٥]، الذي منه تؤتى، كما قال

← المؤمنين علي بن أبي طالب، : ٢٢٨ في وفاة الحسن بن علي. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) سيرة ابن إسحاق ٢ : ١٠٥، واللفظ له. مجمع الزوائد ٩ : ١٦٥ كتاب المناقب: باب في فضل أهل البيت رضي الله عنهم. المعجم الأوسط ٦ : ٣٢٧. المعجم الكبير ٣ : ٥٧ بقية أخبار الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(٢) مجمع الزوائد ٩ كتاب المناقب: باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، : ١١٣ باب فيما أوصى به رضي الله عنه، : ١٢١ باب جامع في مناقبه رضي الله عنه. الأحاديث المختارة ٢ : ١٣١ فيما رواه عباد بن عبدالله عن علي عليه السلام. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٦١٥ ومن فضائل علي رضي الله عنه من حديث أبي بكر بن مالك عن شيوخه غير عبدالله. تفسير ابن كثير ٣ : ٣٥١. مسند أحمد ١ : ١١١ في مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه. تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥٦، ٥٧، ٤٧١ في ترجمة علي بن أبي طالب. الفردوس بمأثور الخطاب ٣ : ٦١. المعجم الكبير ١٢ : ٤٢٠ فيما رواه مجاهد عن ابن عمر. ميزان الاعتدال ٦ : ٤٤٦ في ترجمة مطر بن ميمون المحاربي، ٧ : ٥ في ترجمة ناصح بن عبد الله الكوفي. الكامل في ضعفاء الرجال ٦ : ٣٩٧ في ترجمة مطر بن ميمون المحاربي. المجروحين ٣ : ٥ في ترجمة مطر بن ميمون. وغيرها من المصادر.

(٣) تقدمت مصادره في جواب السؤال الرابع في : ١٨٥.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٣٦ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مما لم يخرجاه: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. الآحاد والمثاني ٥ : ١٧٢ في ترجمة زيد بن أبي أوفى. المعجم الكبير ٥ : ٢٢١ فيما رواه زيد بن أبي أوفى. الرياض النضرة ١ : ١٩٨ الباب الأول فيما جاء متضمنا ذكر العشرة وغيرهم: ذكر أحاديث تتضمن جملتها إخاءه صلى الله عليه وسلم بين العشرة وغيرهم من المهاجرين والأنصار وذكر اسمه على بعضهم. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٦٣٨،٦٦٦ فضائل علي عليه السلام. تاريخ دمشق ٢١ : ٤١٥ في ترجمة سلمان بن الإسلام، ٤٢ : ٥٣ في ترجمة علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر.

(٥) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٣٧،١٣٨ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مما لم يخرجاه : ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. مجمع ←

عز من قائل: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

ثم هو (صلوات الله عليه) أقضى أمته[2]، وحامل رايته في الدنيا والآخرة[3].

← الزوائد ٩ : ١١٤ كتاب المناقب: باب مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: باب في علمه عليه السلام. المعجم الكبير ١١ : ٦٥ فيما رواه مجاهد عن ابن عباس. تذكرة الحفاظ ٤ : ١٢٣١ في ترجمة السمرقندي الحافظ الإمام الرحال أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن قاسم بن جعفر الكوخميثني. سير أعلام النبلاء ١١ : ٤٤٧ في ترجمة أبي الصلت. تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٧٨،٣٧٩،٣٨٠،٣٨٢،٣٨٣ في ترجمة علي بن أبي طالب. تهذيب التهذيب ٧ : ٢٩٦ في ترجمة علي بن أبي طالب، : ٣٧٤ في ترجمة عمر بن إسماعيل بن مجالد. تهذيب الكمال ١٨ : ٧٧،٧٨،٧٩ في ترجمة عبدالسلام بن صالح، ٢٠ : ٤٨٥ في ترجمة علي بن أبي طالب. تاريخ جرجان : ٦٥ في ترجمة أحمد بن سلمة بن عمرو الكوفي. تاريخ بغداد ٧ : ١٧٢ في ترجمة جعفر بن محمد أبي جعفر، ١١ : ٤٨، ٤٩، ٥٠ في ترجمة عبدالسلام بن صالح بن سليمان. كشف الخفاء : ٢٣٥. الفردوس بمأثور الخطاب: ٤٤. فيض القدير ٣ : ٤٦. الجرح والتعديل ٦ : ٩٩ في ترجمة عمر بن إسماعيل ابن مجالد. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) سورة البقرة الآية: ١٨٩.

(٢) الاستيعاب ١ : ١٧ في المقدمة. فتح الباري ٨ : ١٦٧. المعجم الصغير ١ : ٣٣٥. كشف الخفاء ١ : ١٨٤. الرياض النضرة ١ : ٢٢٨ الباب الثالث في ذكر ما دون العشرة من العشرة إن انضم إليهم غيرهم غير مختص بالأربعة الخلفاء أو بعضهم: ذكر ما جاء في وصف جمع كلا بصفة حميدة. تاريخ دمشق ٤٧ : ١١٢ في ترجمة عويمر بن زيد بن قيس أبي الدرداء. كنز العمال ١١ : ٦٤٢ حديث:٣٣١٢١. ينابيع المودة ٢ : ١٧٣. وغيرها من المصادر.

(٣) المعجم الكبير ٢ : ٢٤٧ فيما رواه سماك بن حرب عن جابر بن سمرة: فيما رواه أبو عبدالله عن سماك. تاريخ دمشق ٤٢ : ٧٥،٣٣١ في ترجمة علي بن أبي طالب، ٣٩ : ١٠٢ في ترجمة عثمان ابن عفان. الفردوس بمأثور الخطاب ١ : ٤٣٧، ٥ : ٣٦٧. حلية الأولياء ١ : ٦٦ في ترجمة علي ابن أبي طالب. العلل المتناهية ١ : ٢٤٦. كنز العمال ١١ : ٦١٢ حديث:٣٢٩٦٥، ١٣ : ١٣٦ حديث:٣٦٤٢٧. ينابيع المودة ٢ : ١٦٧. المناقب للخوارزمي : ٣٥٨. ميزان الاعتدال ٧ : ٥ في ترجمة ناصح بن عبدالله الكوفي. الكامل في ضعفاء الرجال ٧ : ٤٧ في ترجمة ناصح بن عبدالله. وغيرها من المصادر.

كما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أرسل أبا بكر بأوائل سورة براءة، ليؤذن بها المشركين، ثم أرسل أمير المؤمنين، ليأخذها منه، ويؤديها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولما رجع أبو بكر قال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: «لا، ولكن جبرئيل جاءني، فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت، أو رجل منك»[(١)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «علي مني وأنا من علي، لا يؤدي عني إلا أنا أو علي»[(٢)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي من فارقني فقد فارق الله، ومن فارقك يا علي فقد فارقني»[(٣)].

---

(١) مجمع الزوائد ٧ : ٢٩ كتاب التفسير: سورة براءة، واللفظ له. المستدرك على الصحيحين ٣ : ٥٣ كتاب المغازي والسرايا. تفسير ابن كثير ٢ : ٣٣٤. مسند أحمد ١ : ١٥١ مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فتح الباري ٨ : ٣٢٠،٣١٨. تحفة الأحوذي ٨ : ٣٨٦. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٧٠٣. تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٤٨ في ترجمة علي بن أبي طالب. شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ٣١١. كنز العمال ٢ : ٤٢٢ حديث: ٤٤٠٠. وغيرها من المصادر.

(٢) سنن الترمذي ٥ : ٦٣٦ كتاب كتاب المناقب: في باب لم يعنونه بعد باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واللفظ له. سنن ابن ماجة ١ : ٤٤ في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. السنن الكبرى للنسائي ٥ : ٤٥ فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم. مسند أحمد ٤ : ١٦٥ في حديث حبشي بن جنادة رضي الله عنه. الآحاد والمثاني ٣ : ١٨٣، في حديث حبشي بن جنادة السلولي رضي الله عنه. المعجم الكبير ٤ : ١٦ فيما رواه حبشي بن جنادة السلولي. السنة لابن أبي عاصم ٢ : ٥٦٦، ٥٩٨. تذكرة الحفاظ ٢ : ٤٥٥ في ترجمة سويد بن سعيد الحافظ. كشف الخفاء ١ : ٢٣٦. تهذيب الأسماء ١ : ٣١٨. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٥٩٩. سير أعلام النبلاء ٨ : ٢١٢ في ترجمة شريك بن عبدالله. تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٤٥ في ترجمة علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٣٣ كتاب معرفة الصحابة: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقال بعد ذكر الحديث: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، واللفظ له، : ١٥٨ ذكر البيان الواضح أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقي من خواص أوليائه جماعة وهجرهم.... مجمع الزوائد ٩ : ١٣٥ كتاب المناقب: باب الحق مع علي رضي الله عنه. مسند البزار ٩ : ٤٥٥ فيما رواه معاوية بن ثعلبة عن أبي ذر. معجم شيوخ أبي بكر الإسماعيلي ٣ : ٨٠٠. المعجم الكبير ١٢ : ٤٢٣ فيما رواه مجاهد عن ابن عمر. فضائل الصحابة ٢ : ٥٧٠. فيض القدير ٤ : ٣٥٧. ميزان

←

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله. ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني»[(١)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أوحي إلي في علي ثلاثة أشياء ليلة أسري بي: أنه سيد المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين»[(٢)].

وقد وصفه صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من مرة بأنه أمير المؤمنين[(٣)]. بل أمر صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من المسلمين بالتسليم عليه بذلك[(٤)].

وحينما ذهب صلى الله عليه وآله وسلم إلى غزوة تبوك استخلف أمير المؤمنين عليه السلام على المدينة، وقال: «إنه لاينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي»[(٥)]، وفي رواية

← الاعتدال ٣ : ٣٠ في ترجمة داود بن أبي عوف، : ٧٥ في ترجمة رزين بن عقبة. تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٠٧ في ترجمة علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر.

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٣١ كتاب معرفة الصحابة: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقال بعد ذكر الحديث: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، : ١٣٩ كتاب معرفة الصحابة: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. معجم شيوخ أبي بكر الإسماعيلي ١ : ٤٨٥. الكامل في ضعفاء الرجال ٤ : ٣٤٩ في ترجمة عبادة بن زياد. تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٠٧ في ترجمة علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر.

(٢) تقدمت مصادره في جواب السؤال الرابع في : ١٨٤.

(٣) تقدمت مصادره في جواب السؤال الرابع في : ١٨٤.

(٤) تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٠٣ في ترجمة علي بن أبي طالب.

(٥) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٤٣ كتاب معرفة الصحابة: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واللفظ له، وقال بعد ذكر الحديث: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». مجمع الزوائد ٩ : ١٢٠ كتاب المناقب: باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه: باب جامع في مناقبه رضي الله عنه. مسند أحمد ١ : ٣٣٠ مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم. المعجم الكبير ١٢ : ٩٨ فيما رواه ميمون عن ابن عباس. السنة لابن أبي عاصم ٢ : ٥٦٥،٥٦٦. الإصابة ٤ : ٥٦٨ في ترجمة علي بن أبي طالب. الرياض النضرة ٢ : ١٩٠ الفصل الثالث عشر: ذكر ماأخبره به النصارى مما يتضمن خلافة أبي بكر. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٦٨٤ ومن فضائل علي رضي الله عنه من حديث أبي بكر عن شيوخه غير عبد الله. وغيرها من المصادر.

« فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك»[١]، وقال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»[٢].

وفي حديث ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع بني عبد المطلب حين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ قال عليه السلام: «ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا بني عبدالمطلب... إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يوازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً.

وقلت ـ وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً ـ: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخي ووصيي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا.

قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»[٣].

وقد أثبت الله تعالى ولايته في قوله عزوجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٤]، حيث

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٢ : ٣٦٧ كتاب التفسير: تفسير سورة التوبة، وقال بعد ذكر الحديث: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، واللفظ له. كنز العمال ١١ : ٦٠٧ حديث:٣٢٩٣٣، ١٣ : ١٧٢ حديث:٣٦٥١٧. ينابيع المودة ١ : ٣٤٤. ميزان الاعتدال ٢ : ٣٢٤ في ترجمة حفص ابن عمر الأبلي. لسان الميزان ٢ : ٣٢٤ في ترجمة حفص بن عمر الأبلي. وغيرها من المصادر.

(٢) تقدمت مصادره في جواب السؤال الرابع في ص : ١٨٣.

(٣) تاريخ الطبري ١ : ٥٤٢ـ٥٤٣ ذكر الخبر عما كان من أمر النبي صلى الله عليه وآله عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبرئيل عليه السلام إليه بوحيه، واللفظ له. شرح نهج البلاغة ١٣ : ٢١٠. تفسير ابن كثير ٣ : ٣٥٢. وقد أبدل وصيي وخليفتي بكذا وكذا. وكذلك في كتابه البداية والنهاية ٣ : ٤٠ باب الأمر بإبلاغ الرسالة. وكذلك فعل الطبري في تفسيره ١٩ : ١٢٢.

(٤) سورة المائدة الآية: ٥٥.

استفاضت الأحاديث بنزولها في أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) [١].

كما أثبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له الولاية في قوله: «علي وليكم بعدي» [٢].

بل جعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم في واقعة الغدير التي تقدم الحديث عنها في جواب السؤال السابع من الأسئلة السابقة.

وذلك مساوق لإمامته على المؤمنين، لعدم صلوح الأولوية المذكورة إلا للإمام، وعدم تمامية الإمامة إلا بها، كما ذكرنا ذلك في التعقيب على مقدمة كتابك هذا... إلى غير ذلك مما ورد في حقه (صلوات الله عليه) وحق أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) عموماً.

ولسنا الآن بصدد تحقيق سند كل واحد من هذه المضامين ودلالته، وما قيل فيه من الأخذ والرد والنقض والإبرام، فإن ذلك يحتاج إلى كلام طويل قد يتجاوز المجلدات. وقد كفانا مؤنته علماؤنا الأبرار (رضوان الله

---

(١) تفسير القرطبي ٦ : ٢٢١. تفسير الطبري ٦ : ٢٨٨. تفسير ابن كثير ٢ : ٧٢. مجمع الزوائد ٧ : ١٧ كتاب التفسير: سورة المائدة. المعجم الأوسط ٦ : ٢١٨. فتح القدير ٢ : ٥٣. زاد المسير ٢ : ٣٨٢. أحكام القرآن للجصاص ٤ : ١٠٢ باب العمل اليسير في الصلاة. روح المعاني ٦ : ١٦٧. شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ٢١١، ٢١٠، ٢٠٩. تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٥٧ في ترجمة علي ابن أبي طالب، ٤٥ : ٣٠٣ في ترجمة عمر بن علي بن أبي طالب. كنز العمال ١٣ : ١٠٨ حديث: ٣٦٣٥٤. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) مجمع الزوائد ٩ : ١٢٨ كتاب المناقب: باب منه جامع فيمن يحبه ويبغضه. السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٣٣ كتاب الخصائص: ذكر خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ذكر قوله صلى الله عليه وسلم: علي وليكم بعدي. المعجم الأوسط ٦ : ١٦٣. مسند أحمد ٥ : ٣٥٦ في حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه. الفردوس بمأثور الخطاب ٥ : ٣٩٢. فتح الباري ٨ : ٦٧. تحفة الأحوذي ١٠ : ١٤٧، ١٤٦. فيض القدير ٤ : ٣٥٧. الإصابة ٦ : ٦٢٣ في ترجمة وهب بن حمزة. الرياض النضرة ٢ : ١٨٧. تاريخ دمشق ٤٢ : ١٨٩ في ترجمة علي بن أبي طالب. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٦٨٨. البداية والنهاية ٧ : ٣٤٦، ٣٤٤ أحداث سنة أربعين من الهجرة: تزويجه فاطمة الزهراء رضي الله عنها. وغيرها من المصادر.

تعالى عليهم) في مؤلفاتهم المذهبية. وإنما أشرنا إلى هذا العدد الكثير للعلم إجمالاً بصدور كثير منه ومن أمثاله، بنحو يغني عن الكلام في السند.

كما لا يهمنا فعلاً تحديد مدلوله تفصيلاً، بل يكفينا المتيقن من ذلك، من أجل المقارنة بينه وبين حادثة صلاة أبي بكر، ليرى المنصف أيهما أظهر دلالة على الخلافة والإمامة، وأشد مناسبة لها وأولى بأن يساق حجة عليها.

وبعد ذلك كله فلكل امرئ أن يختار ما يعجبه، ويراه الألصق بالواقع وبالأمارات المحيطة بالحدث، وما هو الأرضى لله تعالى، والأعذر عنده، حينما يعرض عليه ويقف بين يديه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾[1].

ولعله لما سبق وغيره تقدم في الوجه الرابع من جواب السؤال الرابع عن بعض المؤرخين أن عامة المهاجرين والأنصار كانوا لا يشكون في أن علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. كما تقدم أن أهل البيت عليهم السلام وجماعة كثيرة كانوا يرون الحق فيهم، وفي أمير المؤمنين عليه السلام خاصة.

أهمية أمر الخلافة تقضي بعدم الاكتفاء فيها بالإشارة

الأمر الرابع: أن أهمية الخلافة في الدين تقضي بعدم الاكتفاء فيها بالإشارة والتلميح، ولاسيما مع كونها معترك المصالح والمطامع.

فإن النصوص الصريحة في مثل ذلك قد يحاول المعارضون والطامعون تأويلها بما يناسب أهواءهم، وصرفها عما يراد بها من أجل تنفيذ مخططاتهم والوصول لأهدافهم، والدفاع عنها، فكيف بالإشارات والتلميحات التي قد يغفل عنها، كما يسهل التلاعب بها، والتحوير فيها، والخروج عنها؟!.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٣٠.

بـل يكون الاكتفاء بالإشـارة في مثل ذلك مثـاراً للاختلاف والفتنة، وشق كلمة الأمة، وتركها في التيه وحيرة الضلال. وهو مما ينزه عنه تشريع الإسلام القويم، ويجل عنه نبيه العظيم صلى الله عليه وآله وسلم.

لابد من كون الحقيقة واضحة لا لبس فيها

وقـد كثـر منا في جـواب الأسـئلة السـابقة التأكيـد عـلى أن الحقيقة واضحـة لا لبـس فيها، وأن الله تعالى قد أقام عليهـا الحجة الكافية، التي لا يخرج عنها إلا مشـاق معاند، أو مقـصر متهاون، لا عذر لهما عند الله تعالى. ويحســن بنـا أن نشـير إلى وجه ذلـك بغض النظر عـن تعيين تلـك الحقيقة وتحديدها. وقد سـبق لنا حديث في بعض ما كتبناه ينفع في ذلك، يحسن أن نذكره بمضامينه، بل بأكثر ألفاظه.

تعرض الدعوات الإصلاحية لمعوقات تحول دون تنفيذها

وهو أنه كثيراً ما تتعرض الدعوات الإصلاحية لتناقضات ومشاكل، تحـول دون تقدمهـا وانتشـارها وسـيطرتها عـلى المجتمعـات التي يفترض تكيفهـا معهـا، وتطبيقها فيهـا وتنفيذهـا لتعاليمها. إما لقصـور في الدعوة نفسها، أو لمعوقات خارجية تقف في وجهها.

من المعوقات الخلافات والانشقاقات الداخلية

وإن مـن أهم تلك التناقضات والمشـاكل ما يعـرض على الدعوة من خلافات وانشـقاقات، نتيجـة الاجتهادات الخاطئة في تفسـيرها، أو تعمد التحريـف لهـا، والخـروج المتعمـد عنهـا، من أجـل الأهـداف والمصالـح المناقضـة لصميم الدعوة وأهدافها، أو الضارة بها. وكم عصفت الخلافات والانشقاقات بالدعوات، حتى مسختها، وقضت عليها أخيراً.

محنة الأديان السماوية في الخلافات والانشقاقات

بل تنحصر محنة الأديان السماوية بذلك، لأنها في مأمن القصور والتناقضات، بعد أن كانت صادرة عن الله عزوجل، وهو الخالق المدبر اللطيف الخبير العليم الحكيم، الذي ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[١]، و﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾[٢]، وهو بكل شيء محيط. حيث لابد مع ذلك من كون النظام الذي يشرعه جل شأنه هو النظام الأكمل الصالح للتطبيق في الظرف الذي يشرع فيه.

شدة تحذير القرآن الكريم من الخلافات

ولعله لذا حذر القرآن الكريم من التفرق والاختلاف، وحث على الوحدة والوفاق، وأكد على ذلك وشدد فيه.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[٣].

وقال عزوجل: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤].

وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[٥]...إلى غير ذلك.

إعلان النبي صلى الله عليه وآله وسلم افتراق الأمة

ومع ذلك فقد أعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسبقاً عن اختلاف الأمة

(١) سورة غافر الآية: ١٩.

(٢) سورة سبأ الآية: ٣.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٠٥.

(٥) سورة الأنعام الآية: ١٥٩.

وتفرقها، كما تفرقت الأمم السابقة، واختلفت بعد أنبيائها. فقال: «اختلف اليهود على إحدى وسبعين فرقة، سبعون فرقة في النار، وواحدة في الجنة. واختلف النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، إحدى وسبعون فرقة في النار، وواحدة في الجنة. وتختلف هذه الأمة على ثلاثة (كذا في المصدر) وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون فرقة في النار، وواحدة في الجنة...»(١).

وهو المناسب لما ورد مستفيضاً أو متواتراً عنه صلى الله عليه وآله وسلم من أن هذه الأمة ستجري على سنن الأمم السابقة.

ففي الحديث: «لتتبعن سنن من كان من قبلكم شبر بشبر، وذراع بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!»(٢).

---

(١) مجمع الزوائد ٦ : ٢٣٣ كتاب قتال أهل البغي: باب منه في الخوارج، واللفظ له، ٧ : ٢٥٨ كتاب الفتن: باب افتراق الأمم واتباع سنن من مضى. تفسير القرطبي ٤ : ١٦٠. تفسير ابن كثير ٢ : ٧٨. سنن الدارمي ٢ : ٣١٤ كتاب السير: باب في افتراق هذه الأمة. مصباح الزجاجة ٤ : ١٧٩ كتاب الفتن: باب افتراق الأمم. مسند أبي يعلى ٦ : ٣٤١ فيما رواه أبو نضرة عن أنس. المعجم الكبير ٨ : ٢٧٣ فيما رواه أبو غالب صاحب المحجن واسمه حزور. اعتقاد أهل السنة ١ : ١٠٣. السنة لابن أبي عاصم ١ : ٣٢ باب فيما أخبر به النبي عليه السلام: أن أمته ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة وذمه الفرق كلها إلا واحدة، وذكر قوله عليه السلام: إن قوما سيركبون سنن من كان قبلهم. الترغيب والترهيب ١ : ٤٤. حلية الأولياء ٣ : ٢٢٧. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) صحيح البخاري ٦ : ٢٦٦٩ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لتتبعن سنن من كان قبلكم، واللفظ له، ٣ : ١٢٧٤ كتاب الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل. سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٢٢ كتاب الفتن: باب افتراق الأمم. مجمع الزوائد ٧ : ٢٦١ كتاب الفتن: باب منه في اتباع سنن من مضى. المستدرك على الصحيحين ١ : ٩٣ كتاب الإيمان. صحيح ابن حبان ١٥ : ٩٥ باب إخباره عن ما يكون في أمته من الفتن والحوادث: ذكر البيان بأن قوله: سنن من قبلكم، أراد به أهل الكتابين. مسند أحمد ٢ : ٣٢٧،٥١١ مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ٣ : ٨٩ مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. مسند الطيالسي ٢ : ٢٨٩ ما روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم: عطاء بن يسار عن أبي سعيد رضي الله عنه. وغيرها من المصادر الكثيرة.

حيث لا إشكال في افتراق الأمم السابقة، كما تكرر ذكر ذلك في الكتاب المجيد.

تحذير المسلمين من الفتن ووعدهم بها

وهو المناسب أيضاً لما تكرر في الكتاب العزيز والسنة الشريفة من تحذير المسلمين من الفتن، ووعدهم بها، وأنهم لابد أن يمتحنوا ويغربلوا، ويخرج بعضهم عن الطريق، ويرجعوا القهقرى.

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢].

وقال جل شأنه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٣].

وقال عزوجل: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[٤].

وقال عز من قائل: ﴿مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾[٥].

---

(١) سورة النور الآية: ٦٣.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٢٥.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٤٤.

(٤) سورة العنكبوت الآية: ٢ ـ ٣.

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٧٩.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، وقال في أحاديث الحوض: «ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقرى»... إلى غير ذلك مما تقدم كثير منه في جواب السؤال الثاني من الأسئلة السابقة.

قسوة التهديد في الاختلاف وبيان خطورة أثره

والملفت للنظر الحقيق بالانتباه أن ما مضى وغيره مما تضمن التحذير من الفتنة والاختلاف قد اشتمل على مضامين قاسية، كالتعبير بالانقلاب، والارتداد، والخبث، والكفر، والحكم على الفرق المخالفة للحق بأنها من أهل النار، حيث يناسب ذلك أن يكون الخروج عما عليه الفرقة المحقة ـ بغض النظر عن تعيينها ـ بحد من الخطورة والجريمة، بحيث يلحق بالكفر، ويكون سبباً للهلاك والخسران، ولا ينفع الإنسان معه الحفاظ على صورة الإسلام وإعلان دعوته.

وهو المناسب لما ورد في الأمم السابقة. قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاء اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾[٢].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٥٣.

الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

أهمية مواقع الاختلاف في الدين تلزم بوضوح الحجة عليها

وإذا كانت مواقع الخلاف بهذه الأهمية في الدين فلابد من وضوح الحجة عليها وجلائها، بحيث لا تقبل العذر والاجتهاد، بل لا يكون الخروج عنها إلا عن مشاقة وعناد متعمد، أو عن ضلال يعمي البصائر، مع التقصير في الفحص عن الحق والتعرف عليه، لتقليد، أو تعصب، أو نحوهما مما لا يعذر فيه الإنسان، كما قال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(٢).

فإن من المعلوم أن من أهم مقاصد البعثة والنبوة إقامة الحجة الكافية على معالم الهدى والإيمان، التي يتوقف على معرفتها النجاة من النار، والفوز بالجنة: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾(٣). و﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(٤).

وكما قال عز من قائل: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٥). وقد استفاضت بذلك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

وإذا كان الله عزوجل قد قال: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢١٣.

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٧٩.

(٣) سورة الأنفال الآية: ٤٢.

(٤) سورة النساء الآية: ١٦٥.

(٥) سورة التوبة الآية: ١١٥.

﴿تَفَرَّقُواْ﴾[١].

وقال: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢].

فهل يكفي ذلك في رفع الاختلاف، وعدم التفرق ولزوم صراطه تعالى، إذا لم يوضح جل شأنه ـ بوجه قاطع ـ حبله تعالى المتين وكيفية الاعتصام به، وصراطه المستقيم، وما يتحقق به اتباعه، بل يبقى الأمر فيها عرضة للتفسيرات المختلفة، والاجتهادات المتباينة، لتدعي كل فرقة أنها هي المعتصمة بحبل الله عزوجل، دون غيرها؟!

بل الأمر أظهر من ذلك، فإن الله سبحانه وتعالى أعدل وأكرم من أن يدخل عبيده النار من دون حجة واضحة ترفع الجهل وتقطع العذر، ولا تدع مجالاً للريب، ولا للنظر والتخرص والاجتهاد.

وذلك كله يقضي بما ذكرنا من أن الحقيقة في مواقع الخلاف الذي ينتهي بالآخرة إلى تفرق الأمة وانقسامها لابد أن تكون من البيان والجلاء ووضوح الحجة، بحيث ينحصر الخروج عنها في المشاقة والعناد المتعمد، أو العمى والضلال غير المعذر. ولا مجال لأن تكون مورداً للاجتهاد المعذر لو أخطأ.

ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[٣]، لظهوره في وجود البينات الكافية في المنع من اختلاف المسلمين لو تابعوها، ولم يتعمدوا الخروج عليها، ولا فرطوا في الوصول إليها.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٥٣.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٥.

ومثلـه قولـه صلى الله عليه وآله وسلم: «قد تركتكـم على البيضاء، ليلهـا كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[١].

لصراحتـه في وضوح الحـق وجلائه، بحيث لا يلتبـس على الأمة لو طلبته، وأن ليل الفتن، وظلمات المحن، ودياجي الشبهات والضلالات، لا تقوى على التلبيس فيه، وتضييع معالمه، وطمس آثاره.

من أهم أسباب الخلاف السلطة

إذا عرفـت هـذا فمن الظاهـر أن الإمرة على الناس والاسـتيلاء على السـلطة من أهم أسباب الخلاف والشقاق بين الأمم وأصحاب الدعوات الإصلاحية العامة..

أولاً: لأن حب السـلطة والإمرة من أعمق الغرائز في نفس الإنسان، وأشدها استحكاماً فيها، وهو يقتضي التسابق على السلطان والتغالب عليه.

وثانياً: لأن الحكم بالحق ـ الذي تقتضيه مبدئية الدعوة الإصلاحية ـ مرّ يصعب تحمله على عامة البشر، فهم يحاولون التمرد عليه والخروج عنه. ومـن ثم يثقل عليهم أن يتسـنم السـلطة ذوو المبادئ الذيـن يحافظون على حرفية التشريع وحدوده، فيحاولون الخروج عليهم، وإبعادهم عن السلطة.

وإلى هـذا يشـير عمر بن الخطـاب في قوله لابن عبـاس: «والله يا ابن عبـاس إن عليـاً ابن عمك لأحق الناس بها، ولكن قريشـاً لا تحتمله. ولئن

---

(١) مسـند أحمد ٤ : ١٢٦ حديث العرباض بن سـارية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واللفظ له. تفسـير القرطبي ٧ : ١٣٨. سـنن ابن ماجة ١ : ١٥ باب اتباع سـنة الخلفاء الراشـدين المهديين. المسـتدرك على الصحيحين ١ : ١٧٥ كتاب العلم. السنة لابن أبي عاصم ١ : ١٩. المعجم الكبير ١٨ : ٢٤٧ ما رواه عبدالرحمن بن عمرو السـلمي عن العرباض ابن سـارية، : ٢٥٧ ما رواه جبير بن نفير عن العربـاض. الترغيـب والترهيب للمنذري ١ : ٤٧. مصباح الزجاجة ١ : ٥ كتاب اتباع السـنة. وغيرها من المصادر.

وليهم ليأخذنهم بمر الحق، لا يجدون عنده رخصة. ولئن فعل لينكثن بيعته، ثم ليتحاربن»[١].

الخلاف على السلطة أول خلاف ظهر في الأمة وأخطره

ومن هنا كان الخلاف في الإمامة والخلافة هو الخلاف الأول الذي ظهر بين المسلمين بعد الفراغ الذي حصل برحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم للرفيق الأعلى.

وقد جرّ من الويلات على الأمة من صدر الإسلام ما لا يحيط به البيان، حتى انتهى بها إلى ما انتهت إليه من وضع بائس شنيع.

فلابد من أن يكون البيان الشرعي في الإمامة من الوضوح والجلاء والقوة والرصانة، بحيث يجعلها من الواضحات الجلية، وتكون بيضاء ليلها كنهارها، ليكون اختلاف المسلمين المذكور فيها اختلافاً منهم بعد أن جاءتهم البينات، وتظاهرت عليهم الحجج، التي يكون الخروج عنها سبباً للضلال، والهلاك، والخسران الدائم، والخلود في النار، كما تضمنته الأدلة المتقدمة.

التشديد في وجوب معرفة الإمام والائتمام به

وهو المناسب للأحاديث الكثيرة المتضمنة: أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، أو أن من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، أو نحو ذلك مما تقدم ذكره في جواب السؤال الرابع من الأسئلة السابقة.

لظهور أن شدة العقوبة وترتب الهلكة على عدم معرفة الإمام، وعدم الائتمام به والإذعان له، تناسب وضوح الحجة عليه، بحيث لا يعذر الجاهل بها والخارج عنها.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٥٩ في أيام عمر بن الخطاب.

مبدئية الحاكم نقطة ضعف مادية فيه يعوضها صرامة التشريع

ولا سيما وأن مبدئية الحاكم الصالح ـ التي تفترض فيمن يعينه النظام الإلهي لهذا المنصب الخطير ـ تمنعه من أن يسلك الطرق الملتوية لفرض سلطانه واستيلائه على الحكم. وهي نقطة ضعف مادية فيه لا يعوضها إلا التشريع الإلهي في وضوحه وجلائه، وشدته وصرامته، وما يترتب على ذلك من وعد ووعيد مناسبين له. ليمنع ـ على الأقل ـ أهل الدين والتقوى من صالح المؤمنين وخاصتهم من تجاوز حدود التشريع في هذا الأمر الخطير، ولو من أجل أن يتمسكوا بالحق ويعلنوا دعوته ـ لتقوم بهم حجته على الناس، ولا تضيع معالمه عليهم ـ في جميع العصور.

يمتنع اكتفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإشارة في أمر الخلافة

وعلى ذلك يمتنع عادة وعقلاً أن يكتفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإشارات والتلميحات في أمر الإمامة والخلافة، بل لابد فيه من بيان واضح صريح، لا لبس فيه ولا غموض، كي لا يخرج عنه إلا معاند مكابر، أو جاهل مفرط لا يعذر في جهله. وهو مما لا تدعيه أنت في حادثة الصلاة، ولا يظن بأحد أن يدعيه.

لابد من فرض نظام متكامل للخلافة

الأمر الخامس: أن أمر الخلافة في الإسلام من الأهمية والتعقد بحدّ يمتنع معه أن يقتصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه على ترشيح أبي بكر لها، أو أي شخص آخر. بل حتى بتعيينه لها، مهما كان بيانه من الظهور والوضوح.

بل لابد فيه من تشريع نظام شامل متكامل صالح للتطبيق مادام في الأرض إنسان يعمرها مكلف باعتناق الإسلام، الذي هو خاتم الأديان، الباقي في الأرض إلى يوم القيامة.

ولابد فيه من الوضوح والجلاء بنحو تقوم به الحجة الواضحة،

ويمنـع من الاختلاف بوجـه يعذر فيه، في جميع عصور الإسـلام الباقي ما بقيت الدنيا. لعين ما سبق.

وقد تقدم منا في جواب السـؤال الرابع من الأسـئلة السـابقة إيضاح ذلك بما يغني عن إعادته هنا. فليرجع له من يهمه معرفة الحقيقة والوصول إليها، والعمل عليها، والخروج عن عهدتها.

هذا ما تيسر لنا في جواب سـؤالك. ومن الله سـبحانه وتعالى نستمد العون والتوفيق، والتسديد والتأييد. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

☐ س٧ هــل يصح اختصـــاص الأئمة بعلم قضايــا حيويـــة وضروريـــة في الديـــن، دون غيرهم؟مـــع أن الله تعالى يقــول: [اليــوم أكملت لكم دينكـــم وأتممـــت عليكـــم نعمتي ورضيـــت لكـــم الإســـلام دينـــاً] المائدة/٣.

ج: يحسن التعرض في جواب ذلك لأمور..

اختصاص الأئمة عليهم السلام بعلم الدين لا ينافي إكماله

الأمـر الأول: أن اختصـاص الأئمة(صلـوات الله عليهـم) بـشيء مـن علـوم الدين لا ينـافي إكماله. فإن إكــال الدين عبارة عـن تشريع جميع أحكامـه، وتثبيتهـا في حق الأمة. أمـا إيصالها للناس وتبليغهـم بها، وإقامة الحجـة عليها، فهو أمـر خارج عن جعلهـا وإكمالها، وإنما يكـون بعد ذلك في مرحلة لاحقة.

ونظـير ذلك في عصورنا القوانين الوضعية السـائدة. فإنها تقنن أولاً مـن قبـل المجلس التشريعـي كاملة، ثم تعلـن للناس بعد ذلـك من طريق الجريدة الرسمية أو الإذاعة أونحوهما.

نعـم لا تترتـب الفائـدة مـن تشريـع الأحـكام إلا بتبليغهـا للناس، ليعملـوا عليها، وينتفعوا بها. فلابد من صدوره من قبل الله تعالى، بمقتضى حكمتـه، ولطفه بعباده. وعـلى ذلك تبتني قاعدة اللطف، التي اسـتدل بها الإماميـة على وجوب إرسـال الرسـل ونصـب الأئمة. وهو أمـر آخر غير توقف إكمال الدين على التبليغ.

يكفي تمكين الأمة من معرفة الأحكام بتعيين المرجع فيها

لكن ذلك لا يقتضي إعلام جميع أفراد الأمة بها وتبليغهم بها مباشرة، بحيث لا يحتاجون في معرفتها إلى غيرهم. بل يكفي فيه تمكينهم من معرفتها. وذلك بإيداع الأحكام عند الأئمة عليهم السلام، أو إطلاعهم على مفاتيح العلم بها، ثم نصب الأئمة عليهم السلام على الأمة، وجعلهم أدلاء لها على الحلال والحرام، ومرجعاً لها في معرفة التشريع والأحكام، والتنويه بهم عليهم السلام وإقامة الحجة الكافية عليهم، لترجع الأمة إليهم وتتفقه عنهم.

نظير الحال في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث لا ريب في عدم معرفة جميع أفراد الأمة المعاصرين له بجميع أحكام الدين وتشريعاته، وإنما كان علمها عنده صلى الله عليه وآله وسلم، مع تمكين أفراد الأمة منها، بأمرهم بالرجوع إليه صلى الله عليه وآله وسلم والأخذ منه، والطاعة له.

بل لا ريب عند جمهور السنة بل جميع المسلمين في أن عامة الناس في جميع العصور تجهل كثيراً من الأحكام، التي يتضمنها الكتاب المجيد والسنة الشريفة وسائر الأدلة ـ على الخلاف في تعيينها ـ وأنهم لا يستطيعون معرفتها إلا بالرجوع للفقهاء الذين يستطيعون استنباط الأحكام من تلك الأدلة، من دون أن ينافي ذلك كمال الدين وتمام التشريع.

ومن الظاهر أن الأئمة من أهل البيت (صلوات الله عليهم) عند الشيعة أولى من أولئك الفقهاء، بأن يكونوا مرجعاً للأمة، لأنهم عليهم السلام معصومون من الخطأ، وإيكال الأمر إليهم لا يضيع شيئاً على الأمة، بخلاف الفقهاء، حيث قد يضيع بالرجوع إليهم كثير من الأحكام، نظراً لنقصهم وتعرضهم للخطأ والخلاف، كما هو ظاهر.

نعم لو أن أئمة أهل البيت عليهم السلام كتموا ما عندهم من علم الدين

وبخلوا على الأمة به لكان تخصيصهم بشيء منه سبباً في ضياعه على الأمة وحرمانها منه.

لكن من المعلوم أنهم عليهم السلام لم يكتموا علم الدين عمن طلبه منهم، وأنهم قد تهيئوا لهداية الأمة وإرشادها وتثقيفها بالثقافة الدينية الصحيحة. بل اشتهر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني»[1]، وسبق في جواب السؤال الثالث نحو ذلك عن ولده الإمام الصادق عليه السلام.

إلا أن الأمة ـ بسلاطينها وولاتها، ومن سار في فلكهم، وتوجه وجهتهم ـ قد اعرضت عنهم، بل ضيقت عليهم وحاصرتهم، وكان نتيجة ذلك حرمانها من خيرهم ومعارفهم. ومع ذلك فقد ظهر منهم الكثير الطيب، وفاز شيعتهم بأفضل نصيب، كما سبق في جواب السؤال الثالث.

روى الجمهور من السنة لكثير من الصحابة الامتياز بالعلم

الأمر الثاني: أن جمهور السنة يدعون لكثير من الصحابة الامتياز ببعض المعارف الدينية، والتفرد بمعرفة بعض أحكام الشريعة، ويروون الحديث في ذلك.

فعن مسروق أنه قال: «كنا نأتي عبد الله بن عمرو، فنتحدث إليه ـ وقال ابن نمير: عنده ـ فذكرنا يوماً عبد الله بن مسعود، فقال: لقد ذكرتم رجلاً لا أزال أحبه بعد شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد ـ فبدأ به ـ ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة»[2].

---

(١) تقدمت مصادره في جواب السؤال الثالث في: ١٠٧.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٩١٣، واللفظ له، : ١٩١٤ كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم: باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما. صحيح البخاري ٣ كتاب فضائل الصحابة: ١٣٧٢

←

وعن ابن غنم: «سمعت أبا عبيدة وعبادة بن الصامت ـ ونحن عند أبي عبيدة ـ يقولان: قال رسول الله ﷺ: معاذ بن جبل أعلم الأولين والآخرين بعد النبيين والمرسلين. وإن الله يباهي به الملائكة»[١].

وعن ابن عباس أنه قال: «خطب عمر بن الخطاب الناس بالجابية، وقال: يا أيها الناس من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي ابن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإن الله جعلني له والياً وقاسماً»[٢].

وقال ابن حجر العسقلاني: «وصح عن عمر أنه قال: من أراد الفقه فليأت معاذاً»[٣].

← باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه، وباب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ؛ ١٣٨٥ باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه، ٤ : ١٩١٢ كتاب فضائل القرآن: باب القراء من أصحاب النبي ﷺ. المستدرك على الصحيحين ٣: ٢٥٠ كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه، ٣: ٦٠٥ ذكر عبدالله بن عمرو بن العاص ابن وائل السهمي رضي الله عنه. سنن الترمذي ٥ : ٦٧٤ كتاب كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ: باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. السنن الكبرى للنسائي ٥ : ٩ كتاب فضائل القرآن: ذكر الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ. مسند أحمد ٢ : ١٨٩ مسند عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ : ٣٠٤ كتاب معرفة الصحابة: ذكر مناقب أحد الفقهاء الستة من الصحابة معاذ بن جبل رضي الله عنه، واللفظ له. سير أعلام النبلاء ١ : ٤٦٠ في ترجمة معاذ بن جبل. الكشف الحثيث ١ : ١٧٨ في ترجمة عبيد بن تميم. لسان الميزان ٤ : ١١٨ في ترجمة عبيد بن تميم.

(٢) مجمع الزوائد ١ : ١٣٥ كتاب العلم: باب أخذ كل علم من أهله، واللفظ له. المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٠٦ كتاب معرفة الصحابة: باب ذكر مناقب أحد الفقهاء الستة من الصحابة معاذ بن جبل رضي الله عنه. السنن الكبرى للبيهقي ٦ : ٢١٠ كتاب الفرائض: باب ترجيح قول زيد بن ثابت على قول غيره من الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) في علم الفرائض. السنن الكبرى للنسائي ٢ : ١٥٦ كتاب الجهاد: باب ما جاء في فضل المجاهدين على القاعدين. وغيرها من المصادر.

(٣) فتح الباري ٧ : ١٢٦.

وعـن يزيـد بن عمير قال: «لما حضر معاذ بـن جبل رضي الله عنه الموت قيل لـه: أوصنا يا أبا عبد الرحمن. قال أجلسـوني، فإن العلـم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما، يقول: ذلك ثلاث مرات. فالتمسوا العلم عند أربعة: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسـعود، وعند عبد الله بن سلام، الذي كان يهودياً فأسلم، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنه عاشر عشرة في الجنة»[1]... إلى غير ذلك.

وما أدري لماذا لا يسـتكثر ذلك على هؤلاء، ويسـتكثر مثله على أئمة أهـل البيـت (صلـوات الله عليهم)؟!، ولمـاذا لا يكون اختصـاص هؤلاء ببعض العلم منافيـاً لكمال الدين، ويكون اختصاص أئمة أهل البيت عليهم السلام ببعـض العلم منافياً لكماله؟! مع أن أئمة أهـل البيت قد توارثوا ما عندهم مـن العلم أباً عن جد عن أمير المؤمنين عليه السلام، الذي لا أظنك تسـتكثر عليه أنه من علماء الصحابة وسـاداتهم، إذا لم تقبل من الشـيعة وجماعة من السنة أنه أعلمهم وسيدهم.

اعتراف السنة بتميز أهل البيت عليهم السلام بالعلم

الأمـر الثالث: أن تميز أئمة أهل البيت (صلـوات الله عليهم) بالعلم أمر لا يختص بالقول به وبروايته الشيعة، بل ذكر الجمهور من السنة الكثير من ذلك.

١ ـ فقد اشتهر الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن أمير المؤمنين (صلوات

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ : ٣٠٤ كتاب معرفة الصحابة: ذكر مناقب أحد الفقهاء الستة من الصحابة معاذ بن جبل رضي الله عنه. صحيح ابن حبان ١٦ : ١٢٢ باب صفة النار وأهلها: ذكر البيان بأن عبدالله بن سـلام عاشر من يدخل الجنة. السـنن الكبرى للنسـائي ٥ : ٧٠ كتاب المناقب: عبـدالله بن سـلام رضي الله عنه. مسـند أحمـد ٥ : ٢٤٢ حديث معاذ بـن جبل (رضي الله تعـالى عنه). وغيرها من المصادر.

الله عليه) أعلم المسلمين، أو الصحابة[١]، وأقضاهم[٢].

٢ ـ وفي حديث لعبد الله بن مسعود: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا له ظهر وبطن. وإن علي بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن»[٣].

٣ ـ وفي حديث لابن عباس، قال: «كنا نتحدث أن النبي ﷺ عهد إلى علي سبعين عهداً لم يعهدها إلى غيره»[٤].

٤ ـ وفي حديث أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»[٥].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ : ٥٧١ كتاب معرفة الصحابة: ذكر مناقب أبي إسحاق سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه. مجمع الزوائد ٩ كتاب المناقب: باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ١٠١، ١٠٢ باب إسلامه رضي الله عنه، : ١١٤ باب في علمه رضي الله عنه. الفردوس بمأثور الخطاب ١ : ٣٧٠. مسند أحمد ٥ : ٢٦ حديث معقل بن يسار (رضي الله تعالى عنه). المعجم الكبير ١ : ٩٤ صفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ٢٠ : ٢٢٩ ما أسند معقل ابن يسار: عمرو بن ميمون الأودي عن معقل. الاستيعاب ٣ : ١٠٩٩ في ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. المصنف لابن أبي شيبة ٦ : ٣٧١، ٣٧٤ كتاب الفضائل: فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. المصنف لعبدالرزاق ٥ : ٤٩٠ كتاب المغازي: تزويج فاطمة (رحمة الله عليها). الآحاد والمثاني ١ : ١٤٢ ومن ذكر علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم. وغيرها من المصادر.

(٢) تقدمت مصادره في جواب السؤال السادس في : ٢٨٦.

(٣) تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٠٠ في ترجمة علي بن أبي طالب، واللفظ له. فيض القدير ٣ : ٤٦. حلية الأولياء ١ : ٦٥ في ترجمة علي بن أبي طالب. ينابيع المودة ١ : ٢١٥، ٣ : ١٤٦.

(٤) تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٩١ في ترجمة علي بن أبي طالب، واللفظ له. السنة لابن أبي عاصم ٢ : ٥٦٤ باب في ذكر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. مجمع الزوائد ٩ : ١١٣ كتاب المناقب: باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه: باب فيما أوصى به رضي الله عنه. المعجم الصغير ٢ : ١٦١. فيض القدير ٤ : ٣٥٧. تهذيب التهذيب ١ : ١٧٣ في ترجمة أبي داود أربدة. تهذيب الكمال ٢ : ٣١١ في ترجمة أربدة. ينابيع المودة ١ : ٢٣٣. حلية الأولياء ١ : ٦٨ في ترجمة علي بن أبي طالب.

(٥) تقدمت مصادره في جواب السؤال الرابع في : ٢٢٢.

٥ ـ وقال الشافعي: «لولا علي لما عرف حكم البغاة»[(١)].

٦ ـ وفوق كل ذلك ما اشتهر أو تواتر من أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم[(٢)]، وحكمته[(٣)]، وأنه وارث علمه[(٤)]، وعيبته[(٥)]، وخازنه[(٦)]، ووعاؤه[(٧)].

٧ ـ وكذا ما ورد عنه عليه السلام من قوله: «علمني رسول الله ألف باب، كل باب يفتح ألف باب». هذا الحديث الذي رواه الجمهور[(٨)]. ورواه

(١) تطهير الجنان واللسان في هامش الصواعق المحرقة : ٧٩.

(٢) تقدمت مصادره في جواب السؤال السادس في : ٣٤٠، وراجع أيضاً الغدير ٦ : ٦١ وما بعدها.

(٣) سنن الترمذي ٥ : ٦٣٧ كتاب كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: في باب لم يعنونه بعد باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. من حديث خيثمة : ٢٠٠. حلية الأولياء ١ : ٦٤ في ترجمة علي بن أبي طالب. فضائل الصحابة ٢ : ٦٣٤ فضائل علي عليه السلام. تهذيب الأسماء : ٣١٩. علل الترمذي للقاضي : ٣٧٥. فيض القدير ٣ : ٤٦. ميزان الاعتدال ٥ : ٥٣ في ترجمة عثمان بن عبدالله الأموي، ٦ : ٣١ في ترجمة محفوظ بن بحر الأنطاكي، : ٢٧٩ في ترجمة محمد بن عمر الرومي. المجروحين ٢ : ٩٤ في ترجمة عمر بن عبدالله الرومي. لسان الميزان ٤ : ١٤٤ في ترجمة عثمان بن عبدالله الأموي، ٥ : ١٩ في ترجمة محفوظ بن بحر الأنطاكي. الكامل في ضعفاء الرجال ٥ : ١٧٧ في ترجمة عثمان بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان. الكشف الحثيث : ٢١٤ في ترجمة محفوظ بن بحر الأنطاكي. تهذيب الكمال ٢١ : ٢٧٧ في ترجمة عمر بن إسماعيل بن مجالد بن سعيد الهمداني. تاريخ بغداد ١١ : ٢٠٣ في ترجمة عمر بن إسماعيل بن مجالد بن سعيد الهمذاني. علل الدارقطني ٣ : ٢٤٧. سؤالات البرذعي : ٥١٩. كشف الخفاء ١ : ٢٣٥.

(٤) تقدمت مصادره في جواب السؤال السادس في : ٢٨٥ .

(٥) تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٨٥ في ترجمة علي بن أبي طالب. فيض القدير ٤ : ٣٥٦. ميزان الاعتدال ٣ : ٤٤٩ في ترجمة ضرار بن صرد. الكامل في ضعفاء الرجال ٣ : ١٠١ في ترجمة ضرار بن صرد. التدوين في أخبار قزوين ١ : ٨٩. العلل المتناهية ١ : ٢٢٦. الجامع الصغير ٢ : ١٧٧ حديث: ٥٥٩٣. ينابيع المودة ١ : ١٥٩، ٣٨٩، ٣٩٠، ج٢: : ٩٦، ٧٧. المناقب للخوارزمي : ٨٧. شرح نهج البلاغة ٩ : ١٦٥.

(٦) شرح نهج البلاغة ٩ : ١٦٥.

(٧) كفاية الطالب : ١٦٧ ـ ١٦٨ باب:٣٧ في أن عليا عليه السلام قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

(٨) كنز العمال ١٣ : ١١٤ ـ ١١٥ حديث:٣٦٣٧٢، واللفظ له. تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٨٥ في ترجمة ←

الشيخ الصدوق بخمس طرق عن أمير المؤمنين عليه السلام، وبأكثر من عشرين طريقاً عن الأئمة من ولده (صلوات الله عليهم)، عدا بعض المضامين المؤيدة له[١].

وفي حديث بكير: «وحدثني من سمع أبا جعفر عليه السلام يحدث بهذا الحديث.

ثم قال: ولم يخرج إلى الناس من تلك الأبواب غير باب أو اثنين. وأكثر علمي أنه قال: باب واحد»[٢].

وفي حديث أبي بصير: «قال أبو عبد الله عليه السلام: فما خرج منها إلا حرفان حتى الساعة»[٣]... إلى غير ذلك.

وقد اشتهر رجوع الأولين إليه ـ خصوصاً عمر بن الخطاب ـ في معضلات المسائل.

وقد تقدم في جواب السؤال الرابع من هذه الأسئلة قول ثابت ابن قيس بن شماس الأنصاري عندما بويع أمير المؤمنين عليه السلام: «ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك، ولا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك»[٤].

← علي بن أبي طالب. سير أعلام النبلاء ٨ : ٢٤، ٢٦ في ترجمة عبد الله ابن لهيعة. البداية والنهاية ٧ : ٣٦٠ أحداث سنة أربعين من الهجرة: شيء من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: حديث آخر. فتح الباري ٥ : ٣٦٣. ميزان الاعتدال ٢ : ٤٠١ في ترجمة حيي بن عبدالله، ٤ : ١٧٤ في ترجمة عبد الله بن لهيعة. الكامل في ضعفاء الرجال ٢ : ٤٥٠ في ترجمة حيي بن عبد الله. الكشف الحثيث ١ : ١٦٠ في ترجمة عبد الله بن لهيعة. المجروحين ٢ : ١٤ في ترجمة عبد الله بن لهيعة. العلل المتناهية ١ : ٢٢١. نظم درر السمطين : ١١٣. ينابيع المودة ١ : ٢٢٢، ٢٣١.

(١) الخصال : ١٦٤.

(٢) الخصال : ٦٤٢ـ٦٥٢ عند ذكر علم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ألف باب يفتح كل باب ألف باب.

(٣) الخصال : ٦٤٩ عند ذكر علم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ألف باب يفتح كل باب ألف باب.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٩ في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

حتى روي أنه سئل الخليل بن أحمد الفراهيدي عن الدليل على إمامة علي عليه السلام على نحو الكل في الكل، فقال: «احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل»[1].

وقد ورث الأئمة من ولده عليهم السلام علمه (صلوات الله عليه)، كما ورث هو علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وورث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم الأنبياء عليهم السلام. وقد روى شيعتهم عنهم عليهم السلام الكثير من علم الدين وغيره. وكان لهم كيانهم العلمي والثقافي المتميز ببركتهم (صلوات الله عليهم). وقد تقدم في جواب السؤال الثالث من هذه الأسئلة ما ينفع في المقام.

والحمد لله رب العالمين.

(١) معجم رجال الحديث ٨ : ٨١ في ترجمة الخليل النحوي.



المحتويات

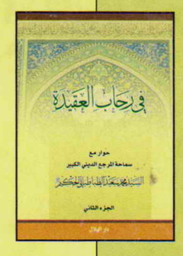
إلى السيد العلامة فضيلة الشيخ محمد سعيد الحكيم. حفظكم الله تعالى وأطال عمركم..

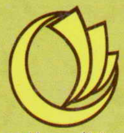
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد..

فقد وصلني بحمد الله تعالى ردكم على الأسئلة التي وجهتها لكم. وهو جواب فيه جهد عظيم مشكور. فلكم الشكر الخاص بتوليكم للإجابة عليها، وعلى وسع صدركم، بأن فتحتم الحوار بين أهل السنة ومعاشر الشيعة. وهو موضوع في غاية الأهمية، وخاصة فيما يتعلق بفهم القضايا الشيعية حسب تصوراتهم الشرعية، مما يؤدي لإزالة الغموض والتفسير الخاطئ لدى بعض أهل السنة، فيتم تحديد موقفهم اتجاه الآراء الشيعية تحديداً منصفاً، يتسم بالموضوعية.

وربما كانت هناك بعض التعليقات على هذه الأجوبة. لكنها ـ كما تعلمون ـ تحتاج إلى جهد كبير جداً، إذ لابد من قراءة هذه الأجوبة بدقة وتمعن شديدين، وكذا معرفة رأي علماء أهل السنة في بلدنا، وموقفهم من هذا الحوار وهذه الأجوبة، وإعلامكم بذلك بمراسلات أخرى إن شاء الله تعالى.

نعم تيسر لنا ـ والحمد لله تعالى ـ بعض الأسئلة الأخرى تحمل نفس الهدف. وها أنا أرسلها إليكم، وأرجو من فضيلتكم الإجابة عليها، من أجل التعرف على وجهة نظركم.






ISBN 964-8276-15-3
9789648276152

دار الهلال
طباعة . نشر . توزيع
http://www.alhelal.org
E.mail:info@alhelal.org
العراق ـ النجف الاشرف ـ هاتف: ٣٣٢٩١٣-٣٣-٠٠٩٦٤